الاسلام هو الدين الحق

تأليف: م. عزام حدبا

اهداء: الى كل باحث عن الحق بصدق راجين من الله ان يشرح صدره للدين الحق وينير دربه للايمان.

شكر: اتقدم بأسمى آيات الشكر والإمتنان الى الدكتور اغيد لتطوعه بمراجعة الكتاب.

للمراجعة والتعليقات: hayran.info@gmail.com

الباب الاول: فكرة عامة عن هذا الكتاب

تمهيد: بم يتميز هذا الكتاب؟

الجديد في هذا الكتاب انه مبسط ومختصر ويحتوي اهم الشبهات التي تطرح ضد الاسلام من جانب بقية العقائد. وفي حين يدعي الملحدون ان كتابا مثل "حوار مع صديقي الملحد" للدكتور مصطفى محمود هو كتاب مبسط ينتصر انتصارا وهميا على ملحد ضعيف وفي حين يدعي النصارى ان كتب الداعية ديدات تنتصر على قساوسة نصارى وهميين وجدنا انه من الضرورة بمكان ان نكتب كتابا شاملا يناقش بموضوعية اقوى ما يوجهه المخالفون ضدنا ولكن يحرص في الوقت نفسه ان يكون مبسطا ومبوبا بطريقة علمية على خلاف كثير من الكتاب التي ردت على كتابات الملحدين بطريقة الرد "فقرة ضد فقرة" دون ان ننكر طبعا اهمية هذه الكتب لطبقة المثقفين (مثال على ذلك كتاب "معركة مع الملحدين حتى العظم" الذي كتبه الدكتور حسن حبنكة الميداني ردا على كتاب "نقد الفكر الديني" للمفكر الملحد صادق جلال العظم.)

1-1- الهدف من هذا الكتاب

1- يعمل هذا الكتاب على رفع معنويات الامة حيث يبين مدى تفوق الاسلام على سائر الاديان والعقائد الموجودة في عصرنا هذا.
2- يجيب على تساؤلات ضعاف الايمان والمتشككين.
3- يصلح كمرجع لمحاورة المخالفين من ملحدين وعلمانيين واهل الكتاب في اصول الدين لا في فروعه وتفاصيله، فذلك له مبحث آخر لا يتسع المجال لذكره هنا.
4- يتعرض لكل الشبهات ضد الاسلام ويجيب عنها بشكل اجمالي واضعا قواعدا واصولا للرد على مثيلاتها او فروعها.
5- لا يكتفي بالدفاع والرد على الشبهات فقط انما يبين الحكمة الخفية من وراء هذه الامور.. وفي المقابل يطرح على المخالفين اسئلة جوهرية تهز اركان عقائدهم.
6- يبين زيف الادعاء ان الاسلام بني على خرافات واساطير وتقاليد قديمة في موازاة ان الالحاد بني على العقل والعلم..
7- قد لا يفلح في هداية المخالفين الى الاسلام فالهداية بيد الله وحده ولكن على الاقل يستطيع ان يغير نظرتهم السلبية عن الاسلام ويقيم الحجة عليهم بواجب التبليغ.

1-2- كيف نقرأ هذا الكتاب

1-2-1- مقدمة

الكتاب مقسم الى عشرة أبواب رئيسية مقسمة بدورها الى فصول فرعية تخاطب مختلف العقائد والاديان والقناعات.. ولما كانت الشبهات ضد الاسلام كثيرة ومتشعبة فقد ارتأينا ان نعالجها على دفعات عبر تناول قسم صغير منها في كل فصل نخاطب فيه عقيدة ما او قناعة ما. نحن ننصح القارئ بأن يقرأ تمهيد كل باب ومقدمة كل فصل حتى يقرر ان كان يهمه الإطلاع عليه ام لا فإذا كان يهمه فليقرأه بتمعن وليسجل على الكتاب او على دفتر مرافق ما يلفت نظره من رؤوس اقلام و إن لم يكن يهمه يستطيع ان يقرأ عناوينه الفرعية بصورة سريعة وينتقل الى الباب أو الفصل الذي يليه.

1-2-2- مسار الكتاب

يسير الكتاب وفق المسار التالي:

الباب الاول- وضع قواعد عقلية ومنطقية عامة:

- التوطئة لوضع قالب علمي للموضوع
- جذب القارىء المتنور الى اي دين انتمى للتعرف على الاسلام بطريقة تخاطب الفكر والعقل.

الباب الثاني- الاطار العام للنقاش مع المخالف

يعرض هذا الباب للاطار العام للحوار مع المخالف حيث يتناول المنطلقات النفسية والفكرية للطرفين بهدف التمهيد لحوار سليم يقوم على اسس اقرب ما تكون للموضوعية.

الباب الثالث: الحجج الاساسية للملحدين

هذا الباب يناقش الحجج الاساسية للملحدين ويخرج بخلاصة ضرورة وجود خالق للكون

الباب الرابع: نقاش المتشكك في الدين

بعد ان حددنا كيفية التعامل مع الملحد دعونا نحدد كيفية التعامل مع الباحث عن الحق الذي قد يكون من دين آخر او مسلم غير مقتنع تماما بدينه بل حائر فيه... وننطلق في نقاشنا معه من تجارب عملية عشناها مع بعض الاخوة ممن تنطبق عليهم هذه المواصفات وممن استفادوا من حوارنا معهم والحمد لله.

الباب الخامس: صفات إله الاسلام

وصلنا في الابواب السابقة الى استنتاج حتمية وجود خالق للكون وفي هذا القسم سنحاول استجلاء نظرة الاسلام الى هذا الإله وصفاته والرد على ما تبقى من الشبهات المطروحة في هذا الموضوع.

الباب السادس: القرآن والرسول

بينا في الابواب السابقة ضرورة وجود خالق للكون ومن ثم بينا ماهية الايمان وصفات الإله من وجهة نظر الاسلام ولكن يبقى علينا ان نشرح للمتشكك سبب يقيننا بالإسلام.. اليس هناك امكانية ان يكون دينا مزيفا كسائر الاديان؟ جوابنا اننا نؤمن ان الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما اخبر عن ربه وان القرآن الكريم معجزة خالدة.. فهل بعد هذا من دليل؟

الباب السابع: مناقشة النصرانية

1- يقنع النصارى بزيف عقائدهم
2- يدحض شبهة اساسية للالحاد الذي ينفي وجود الله بدعوى ان كل دين يظن نفسه على حق وبالتالي لا احد منهم على حق.
3- يطمئن قلب المتشكك الذي يشعر ان الاسلام صحيح ولكنه يتساءل: الا يظن كل انسان دينه صحيح؟
4- يقوي ايمان المسلم الضعيف حينما يرى الفارق ناصعا بين دينه وبين بقية الاديان.

الباب الثامن: ما هو الدين الحق؟

وصلنا في الباب السابق الى ان النصرانية دين محرف، وعرفنا ان الاسلام بالمقابل دين موثوق به ومتجانس ومثبت تاريخيا..
ولكن هل من سبيل للاقتناع بالاسلام بطريق آخر؟؟ بطريقة المتن هذه المرة وليس السند.. هل مضمون الاسلام وفكره يؤهله لمقارعة سائر العقائد والانتصار عليها؟ هل يمكن للباحث عن الحق ان يصل الى قناعة بالاسلام فقط من خلال دراسته لتعليماته وافكاره وفلسفته بدون ان يعرف أي شيء عن خلفيته التاريخية او مواصفات نبيه؟

الباب التاسع: القرآن الكريم يتحدث عن الاسلام

في الابواب السابقة ذكرنا كل ما في جعبتنا من ادلة عقلية على كون الاسلام هو الدين الحق. وهذا الباب لا يهدف الى اعطاء مزيد من الادلة العقلية انما لترسيخ ايماننا القلبي بصحة ديننا عبر تدبر جوانب ايمانية سامية من آيات الذكر الحكيم.

الباب العاشر: تأصيل الرد على الشبهات

هذا الباب الاخير في الكتاب ومهمته هي مراجعة ما مر معنا من قواعد وتطبيقها على الشبهات التي يطرحها المخالفون في مقالاتهم واكثرها لم يمر معنا سابقا والهدف هو ان نتعلم كيف نقارع المخالفين بالحجة والمنطق دون الدخول معهم في تفاصيل هذه الشبهات التي تبدو للوهلة الاولى كثيرة جدا من حيث العدد ولكن اكثرها يعود الى اصول اشبعناها تمحيصا في الكتاب.

1-3- قواعد عامة تحكم منهج الحوار

1-3-1- مقدمة

هذا الفصل لارساء قواعد عامة سنتستخدمها في كل الكتاب ان شاء الله لذا ليس من الضرورة ان يقرأه القارىء بتمعن بل يكفي ان يلقي عليه نظرة سريعة ويعود اليه عند ذكر احد هذه القواعد في الفصول اللاحقة..

1-3-2- قواعد علمية عامة

1- البينة على من ادعى

بمعنى انك ان ادعيت امرا ما فعليك اثباته اما ان نفيت امرا فهو اقرار يؤخذ به وليس عليك اثباته بل على المتضرر ان يثبت انك كاذب. مثال: شخص ما ادعى ان هذا المال الضائع الذي وجدناه هو له فعليه ان يأتي باثبات.. اما شخص نفى ان يكون له هذا المال فلا يحتاج الى ذلك... وهذا شبيه بمن يقول ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته..

2- لا يعدل إلى دليل آخر في حال وجود دليل قوي..

مثال: اميركا هاجمت أفغانستان مركزة على قيام طالبان بإيواء من ضرب أبراج نيويورك.. ولم تستعمل اي ذريعة اخرى.. في حين انها لما أرادت مهاجمة العراق بررت ذلك بأعذار كثيرة منها:

امتلاك أسلحة دمار شامل..

روابط مع القاعدة...

محاسبة حكامها على جرائمهم..

تحرير البلد من الدكتاتورية

ولو أن أي منها كان مبررا فعليا بنظرها امام الرأي العام الأميركي لاكتفت به وركزت عليه كما اكتفت بدليل واحد في قضية مهاجمة أفغانستان.

3- الأدلة المتناقضة تسقط بعضها البعض

بيّنا في الفقرة السابقة أن تكديس الأدلة يضعفها ومما يزيد هذا الضعف تناقضها.. بمعنى أنك إن ادعيت أن فلانا مجنون وكاذب وعظيم في الآن نفسه فقد أدخلت الأمور ببعض.. فالكاذب والمجنون لا يكون عظيما.. والمجنون لا يمكن أن يكون كذابا لأن الكذاب عليه ان يكون ذكيا يحفظ كذبه..

4- كي تقبل البينة عليها أن تكون مفصلة لا مجملة

كي تثبت أن فلانا قام بجريمة ما لا يكفيك مجرد الاتهام.. إن كنت متأكدا أن فلانا قد سرق شيئا من مكان ما في زمان ما فعليك تحديد المكان والزمان والادلة على وجوده وإلا كان اتهامك مجرد تشهير..

5- أكثر الناس دراية بموضوع ما هم أكثر الناس قدرة على الحكم عليه

بمعنى انك إن أردت أن تشتري حاسوبا جديدا فستسأل خبير الحاسوب عن مواصفاته.. وإن اردت ان تجرب دواء جديدا ستسأل طبيبا من أهل الاختصاص فيه... ولو جاءك وسواس أن الدواء غير نافع مع تأكيد كل الأطباء انه نافع فستكذب وساوسك وتأخذ بكلامهم...

6- لا تحكم على السيارة من سائقها

ان الحكم على دين ما لا يكون من خلال تصرفات المنتسبين اليه فهؤلاء قد لا يعكسون بالضروة تعاليم دينهم، انما يكون بالحكم على تعاليمه واوامره ونصوصه.

7- لا تضع كل البيض في سلة واحدة

والمقصود عدم التعميم.. انت لا تستطيع ان تتحدث عن الدين بشكل مطلق مثلا كما يفعل الملحدون فالاديان متصارعة فيما بينها وتحمل فلسفلات متشاكسة، فالنصرانية مثلا خاصت حربا طويلة مع العلم وهي تمجد الرهبانية وتدنس الجسد وعانت طويلا من سيطرة الاكليروس فيما الاسلام لم يمر بهذه المراحل فكيف يوضع في سلة واحدة معها ويقال: الدين يحارب العلم.. الدين يحارب الفطرة الانسانية.. الخ الخ..

1-3-3- ثوابت عامة ارتكزنا عليها

1- لا نملك آلة الزمن

ان النقاش الطويل في حجج تاريخية غير موثقة لا يكون مفيدا نظرا لأن كل طرف يحمل الرؤية الخاصة به عن الموضوع ولا احد يستطيع ان يحسم النقاش.

2- لا عبرة بالخلاف الاصطلاحي

مثال: اذا قلت انا مع الحرية ولكن بقيود الشرع وقال شخص آخر انا ضد الحريات الا ما اباحه الشرع منها فعمليا نحن في نفس الموقف ولكن بتعابير مختلفة وللاسف فنحن نرى ان كثيرا من خلافات الفرق الاسلامية اساسها اصطلاحي ويمكن تقريب وجهات النظر بينها.

3- حبل الكذب قصير

ان من يكذب كذبة سيضطر لالحاقها بكذبة اخرى ليواري كذبته الاصلية وهكذا الى ما لا نهاية.. والصادق لا يتعب في حمل الحقيقة فليس عليه ان يتذكر الا ما حصل اما الكاذب فعليه دوما ان يتذكر كذبته ولواحقها من الكذبات التي قالها لمواراتها كذلك عليه ان يحفظ تبعاتها فمن انكر معرفة شيء يعرفه عليه ان ينتبه الا يزل لسانه ويقول امرا متعلقا بهذا الشيء. ولهذا يعرف المحققون طرقا ابداعية لكشف المجرم الكاذب فهو سيدعي بداية بأنه لا يعرف الضحية ولكن بعد اخذ ورد واسئلة متلاحقة سريعة سيقع في الفخ ويشير الى احدى المعلومات عن الضحية دون ان ينتبه. يقول العلماء ان شئت ان تكون كاذبا فكن ذكورا.. طبعا على معنى التحذير لا التشجيع.

4- الواقع اكبر دليل

كمثال على ذلك نذكر مفارقة زينون المصري الذي ادعى اننا لا يمكن ان نقطع مسافة ما لأن علينا اولا ان نقطع نصفها ثم نصف الباقي منها ثم نصف الباقي من النصف وهكذا دواليك الى ما لا نهاية.. ومع ان القانون يبدو منطقيا الا ان الواقع اكبر دليل على بطلانه لأنه جرت العادة اننا نقطع المسافات مهما كانت طويلة.. (في الحقيقة حل الاحجية رياضيا هو انه حينما نقسم المسافات الى ما لا نهاية تصبح المسافات لا متناهية في الصغر ايضا اي قريبة من الصفر)

5- الاحتكام للارقام

من القاعدة السابقة ممكن نفرع القاعدة التالية الا وهي ضرورة الاحتكام للارقام : هناك معيار لا يخطىء في تقييم اي حدث تاريخي الا وهو لغة الارقام.. من يملك وسائل الاعلام يهرب من هذه النقطة ويسلط الضوء على تصرفات عدوه فقط ويضخم ما يقوم به في حين يتجاهل ما قام به هو ولا يذكر الضحايا التي سقطت على يديه الا كأرقام ولو استطاع لاخفاها ولكنه يفضل ان يبدو ذا مصداقية امام الناس.

6- شهادة الخصم على نفسه شهادة معتبرة

وهو ما نعبر عنه بعبارة "**شهد شاهد من اهلها**".. فاذا شهد الخصم او احد محبيه بأمر يتفق مع اتهامنا له كان ذلك حجة لان محبي الخصم احرص الناس على الدفاع عنه فيستحيل ان يلصقوا به تهمة كاذبة.

7- من ساواك بنفسه فما ظلمك

هذا وقد يشوب بعض كلامنا نبرة قد تبدو فوقية للبعض في حين انها عزة نفس المؤمن بدينه وليست تكبرا.. فنحن نعتبر ان المؤمن بدينه واع للهدف من وجوده بينما الملحد طائش عن الهدف الذي خلق لاجله. هذه عقيدتنا التي نناقش من خالفنا على اساسها.. فالمؤمن كالبصير بنظرنا والملحد كالاعمى.. طبعا نكرر هذا بنظر المؤمن.. وبالمقابل لا يضيرنا ان يعتبرنا الخصم ضالين عن الحق.. فهذا اصلا هو هدف الحوار.. تتصارع الفكرتان ولا يبقى في النهاية الا الحق.. "**كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**".

8- المحاكمة التاريخية الموضوعية للرجال والاحداث

فالغرب يحكم على القادة التاريخيين بأنهم ابطال اذا كانوا تابعين له وبأنهم مجرمين ان كانوا ضده وكذلك يحكم على الاحداث بنفس المعيار فالمقاومة بطولة ان كانت منه وارهاب ان كانت ضده.. ولا عجب فالتاريخ يكتبه المنتصرون ..

1-4- الاصول التي اعتمدناها في هذا الكتاب

1-4-1- الاستشهاد بحجج القرآن الكريم لا بتقريراته ضد الملحدين.

لا يحق لنا ان نستعمل تقريرات القرآن الكريم كأدلة ضد الملحد ولكن يحق لنا في المقابل ان نستعمل الحجج التي علمنا الله اياها ... لنقرب الصورة اكثر: اذا جاء مشرك يؤمن بآلهة متعددة وأخبرناه بأن القرآن الكريم يقول "**قل هو الله احد...**" سيرد ببساطة "انا لا أؤمن بالقرآن" ولكن ان قلنا له " **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ...**" فهل يستطيع ان يقول لنا: انا لا أؤمن بالقرآن فلن ارد على هذه الحجة؟؟؟ بالطبع لا لأنه في هذه الحالة يقف امام سؤال وليس امام خبر ومن يواجه سؤالا او حجة عليه ان يرد عليه ويدحضه لا ان يجادل في هوية طارحه.

1-4-2- شرح الاسلام للمخالف لا اقناعه بالضرورة

لا نناقش المخالف كي نقنعه بالاسلام بالضرورة ولا نخوض الحوار بنفسية المحارب الذي يريد ان ينتصر بأي ثمن بل نحاول ان نشرح له كيف يفهم الاسلام فحسب لاننا اكتشفنا ان هناك جهلا فاضحا عند المخالفين بطبيعة ديننا الحنيف ومع ذلك فهم يجادلون فيه بدون علم في حين ان المسلم المثقف يدرس عادة الدين او العقيدة محور النقاش بتمعن ومن مصادره..

1-4-3- استخدام لغة العصر

علينا ان نعترف بتقصيرنا في المجال الدعوي فهذا الجهل الفاضح للآخرين بديننا عائد في جزء منه الى ضعف الدراسات الفكرية الاسلامية حيث ما زلنا نكتب بلغة واساليب وعناوين العصور الوسطى للأسف.. فيما ينشط العلمانيون في المقابل بكتابة مقالات فكرية جذابة وسلسة تقدم بإطار معاصر يجذب القارىء.. فهلا تصدينا لهم بنفس اسلوبهم؟

1-4-4- لا نملك اجوبة لكل سؤال

يجب ان يفهم المخالف اننا لا نملك اجوبة لكل شي يسأله.. وفي محطات عديدة نحن نسأل انفسنا عن الحكمة من كثير من امور ديننا.. لكن لم يحدث يوما ان جعلنا هذه التساؤلات حكما على ديننا نفسه.. بل نعترف دوما ان فهمنا قاصر عن ادراك الحكمة من هذه الامور.

1-4-5- التركيز في الحوار على الجانب الفكري لا الروحي

ينطلق الايمان بالعادة من منبع روحي ولكن لما كان من الصعب بمكان نقل التجربة الروحية من شخص الى آخر فلا مفر من التركيز على الجانب الفكري كونه يقبل النقاش والحوار.

1-4-6- هذا الكتاب للحوار وليس للدعوة

في هذا الكتاب لا نتعامل مع المخالف مع منطق الداعية.. فذاك مبحث آخر يحتاج لكثير من الجهد والعناء والتعاطي الشخصي وبما انه لا توجد لنا أي طريقة للتواصل الشخصي مع المخالف فهذا الدور ملقى على القارىء الذي يعرف هذا المخالف.. ان كان مهتما فعليه ان يعيد فبركة المعلومات التي ننقلها بالطريقة التي يظن فيها محاوره انه يتقبل الدين فيها.

نحن نتحاور هنا مع الملحد من منطلق الند للند دون الاخلال بمبدأ احترام شخصه.. لكن لن نستعمل اساليب الدعاة من التدرج في تبيان المعلومات ومن الحرص على عدم مهاجمة الاعتقادات الخاطئة للطرف المدعو بل سنتبع الاسلوب العلمي الصريح متوقعين من القارىء ان يتفهم خلافنا المبدئي معه في الرأي ..

1-4-7- لا نعتبر كتب المخالفين المقدسة حجة لنا او علينا

مثال على ذلك لا نحبذ الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب المقدس للنصارى ذلك إننا لا نعترف بكون هذا الكتاب المقدس هو الإنجيل الذي انزله الله على عيسى عليه السلام وبالتالي فأن أي استدلال منه هو بمثابة اعتراف منا بحجيته، كما انه يفتح الباب للنصارى أن يفسروا لنا القرآن على هواهم كما حاولنا تفسير كتابهم بما يوافق عقائدنا (وهذا ما يجري بالفعل). لكن طبعا هذا الأمر لا يمنعنا من الاستدلال ببعض المقاطع من هذا الكتاب على تناقضه أو على تكذيب ادعاء معين من قبلهم أو رد شبهة يعيروننا بها (مثل تعدد الزوجات، القصاص والحرب) وفقا لمبدأ شهد شاهد من اهلها.

1-4-8- لا نحبذ الخوض في القضايا الغيبية المجردة

الجدل في صفات الله او القضاء والقدر مع الملحد والجدل في التثليث والاقانيم مع النصارى هو جدل في امور غيبية صرفة لا يستطيع الانسان الوصول فيها الى نتيجة حاسمة لانها فوق مستوى قدرته على الاستيعاب فكيف يستوعب الشخص الفاني المحدود ما هو ليس بمحدود فالافضل دائما ان نتوقف عند حدود قدرتنا على الاستيعاب مع التسليم طبعا بصفات الله حتى لو لم نستوعبها ان وصلنا اليها بدليل عقلي لا يحمل الجدل او بدليل نقلي ثابت كأن اخبرنا الله عن نفسه هذا الامر.

1-4-9- لا كبير اعتماد على التواتر

مع ان عددا كبيرا من العلماء المسلمين يعتمدون على حجة التواتر لاثبات حوادث تاريخة معينة او صحة نقل الاحاديث فإننا لا نحب ان نعتمد على هذه الأدلة لانها لا تشكل دليلا دامغا مفحما ضد المخالف الذي قد لا يقبل بها.. لا شك ان التواتر امر مهم ولكن من ضمن اقناع افراد الطائفة نفسها اما ان نستعمله كدليل ضد المخالف فنستبعد ان ننجح في اقناعه خاصة وأن هناك امورا سياسية معاصرة جرى ما يشبه الاجماع على صحتها وتبين فيما بعد انها مختلقة ومكذوبة من قبل جهات عليا.. فما بالك بالأحداث القديمة ؟؟؟ على ان ذلك لا يمنعنا من ان نعترف بالتواتر في اثبات حدث ما اجتمعت عليه فرق متناحرة لا مصلحة لها بالتواطؤ على الكذب. فاثبات الهزائم والانتصارات في المعارك هي امور اتفق عليها معنا الخصم قبل الصديق.

1-4-10- لا يصلح الاستدلال بالتاريخ كحجة

نحن لا نملك الة الزمن حتى نعود الى الوراء ونحدد بدقة كيف تصرف هذا الشخص او ذاك وماذا كانت دوافعه والتاريخ كان دائما عرضة لمختلف التأويلات والتفسيرات.. لذلك لا لزوم للجدل في امر تاريخي لا نملك اثباتا عليه.. على سبيل المثال يخالفنا غير المسلم في كثير من الامور التاريخية حيث يتهمنا اننا نجمل التاريخ فيها كتصوير المعارك التي جرت بين الصحابة على انها قضايا اجتهادية لا حظ للشيطان او لحب الدنيا فيها.. كذلك يرفض المخالف المثالية التي نصور بها اهداف الفتوحات الاسلامية وانحصارها بهم اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد. لذلك سنحاول وضع هذه الامور خارج الجدل مع اقرارنا بأن الصحابة بشر يصيبون ويخطئون فعلى رغم كونهم افضل البشر بعد الانبياء فقد تجرف الدنيا بعضهم احيانا بدليل قوله تعالى: "**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن**

بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ { آل عمران152}". كذلك نعترف بأن الفتوحات الاسلامية لم تكن دائما منزهة عن الاخطاء البشرية. غير ان هذه الامور كلها لا تمس بالمنهج الاسلامي العظيم الذي يترفع فوق الاشخاص..

1-4-11- الادلة العقلية المجردة بدأت تفقد تأثيرها على الناس

مع اعترافنا بقوة الادلة العقلية المجردة مثل القوانين العلية والسببية والنظام. الان انها قابلة للجدل عند كثير من الناس لذلك نعدل عنها في العادة الى ادلة حسية ملموسة لمس اليد او الى حقائق علمية مثبتة فالعصر عصر علم ومعارف والقضايا الجدلية الفلسفية اصبحت مجرد ذكرى من التاريخ.

1-4-12- نموذج الجدل الابراهيمي: الانتقال الى الحجة الاقوى

على رغم ما ذكرناه في الفقرة السابقة من كون الادلة الفكرية المجردة بدات تفقد الزخم الا اننا سنذكر في هذا الكتاب –ولو باختصار– كل الحجج الاسلامية على اختلاف توجهاتها من منطقية وحسية وفلسفية ونرجو الا يعاب علينا هذا فدافعنا الى ذلك ان بعض الناس ميال الى الاقتناع بالمنطق اكثر من الحس ولكن لما كنا شخصيا نجد ان الواقع اكبر برهان فنحن دوما نفضل استعماله للخروج من الجدل وقد كان لنا اسوة حسنة في سيدنا ابرهيم عليه السلام حينما ترك الحجة القابلة للجدال مع انها صحيحة وانتقل الى ما لا يقبل الجدال من الأدلة.. : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـــي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـــي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (البقرة 258)**

1-4-13- نموذج قصة البقرة: الجواب البسيط لا يخفي بالضرورة ناحية خفية

هناك ناحية بتنا نلاحظها في مجتمعنا المعاصر الا وهي ان الاجوبة البسيطة لم تعد تستهوي كثيرا من المثقفين الذين اصبحوا ميالين الى الاجوبة المعقدة على مبدأ أن من يتكلم بطريقة معقدة لا تفهم عليه فيها فلا بد وانه مثقف متبحر في هذا العلم.. فإذا جئنا وشرحنا قضية القضاء والقدر او التسيير والتخيير بطريقة سهلة مثلا ظن البعض اننا نسطح القضية التي لا يمكن ان تكون بهذه السهولة وانه لا بد وان هناك امرا مخفيا فيما نقول، وهذا يذكرنا بتصرف مماثل انتهجه بنو اسرائيل حينما امرهم الله ان يذبحوا بقرة فظنوا انه لا بد ان تكون بقرة مميزة في حين انهم لو ذبحوا اي بقرة لأجزأتهم. **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (البقرة 67)**.. كمثال آخر على ذلك اذا قلنا للملحد "**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**" او نفينا عن بعض صفات الله الكيفية لاعتبرنا نتهرب منه او نعجز عن الرد عليه وكأن هذا الرد بمثابة لا ادري عنده.. لا ادري مشابهة للأدريته في تفسير خلق الكون. لذلك وجب التنبيه ان ما نقوله من تبسيط للمواضيع ليس تسطيحا لها ولا استخفافا بعقل المحاور او اخفاء لبعض التفاصيل عنه بل هي اجوبة حقيقية وكاملة تحاول تجنب التعقيدات اللفظية والغيبية عبر تقسيم الموضوع الى قسمين: قسم يخصنا له ثمرات على ارض الواقع وقسم غيبي ماورائي لا قدرة لعقلنا على استيعابه اوالاحاطه به فنرده الى الله علام الغيوب.

1-4-14- الهدف النهائي: الاسلام هو الدين الحق

بكل بساطة يقدم الاسلام نفسه على انه الدين الوحيد الذي تكلم الله به بشكل مباشر وما زال محفوظا الى الآن في حين ان بقية الاديان تفتقر لهذا الاعلان لسببين:

- اما انها من اختراع بشر
- ان هذا الاعلان قد حرف وحور.

حتى اذا رسخت هذه القاعدة في النفوس لعبت بقية الادلة دور الاستئناس.. والسؤال اذن لم يختار الكافر الكفر؟ في الحقيقة هو اختار الكفر لتهربه من اعباء الاسلام وتكاليفه وصار يبحث عن ما يؤكد رأيه من ادلة.. فليست الادلة هي التي دفعته لرفض الاسلام انما هي ذرائع واهية يتذرع بها للجحود.

الباب الثاني: الاطار العام للحوار مع المخالف

تمهيد

يعرض هذا الباب للاطار العام للحوار مع المخالف حيث يتناول المنطلقات النفسية والفكرية للطرفين بهدف التمهيد لحوار سليم يقوم على اسس اقرب ما تكون للموضوعية.

2-1- لم نناقش افكار المخالفين؟

2-1-1- مقدمة

نلاحظ حينما نعرض موضوع مناقشة افكار المخالفين على الناس ان كثيرا من الملل والتململ قد ينتابهم ومرد هذا الشعور يعود الى سببين رئيسيين:

2-1-2- السبب الاول: اين الجديد واين الفائدة؟

1- لماذا الحوار في ظل وجود العديد من الردود على النت؟

الهدف هو كتابة سلسلة رسائل ميسرة ومختصرة عن الموضوع، سهلة الحفظ والاستذكار وتجيب بشكل عام على كل شبهات المخالفين.. اذ لا نرى من المنطقي ان يجادلك احد في هذه الشبهات فتقول له ان يذهب الى النت لمجرد انك لا تعرف الردود المناسبة.. يجب على كل مؤمن برأينا ان يتثقف اكثر في هذه القضايا وان يكون داعية صغيرا الى الله تعالى.

2- وهل الكفر والالحاد موجود بقوة في بلادنا العربية حتى نجادلهم؟

القضية أساسا ليست بالكثرة او بالقلة.. هناك فكر مستشر يجب فضحه وهناك هجوم على الاسلام ينبغي التصدي له.. على ان الكفر والالحاد ليسا قليلين ابدا في بلادنا بل من خلال محاورتنا للعديد من الناس اكتشفنا ان كثيرا من افكارهم تخالف الدين وان لديهم الكثير من الشبهات ضد الدين لكن ليس كلهم يجرؤ على المجاهرة اولا و ليس كلهم يحمل بالضرورة فكر انكار وجود الاله او فكر اعتناق دين آخر ثانيا بل اكثرهم يحرم ويحلل حسب ما يهوى بحيث ينطبق عليه قوله تعالى " **أرأيت من اتخذ إلهه هواه**" وهذا امر خطير.

3- الا نخشى من ان يضل الناس بعرض هذه الشبهات؟

- العملاق لا يخاف من ذباب يحوم حوله وهذه الشبهات مفضوحة وضعيفة بحيث لا خوف من ان تزعزع الايمان القوي، اما بالنسبة لضعيف الايمان فالرد على هذه الشبهات سيقوي ايمانه ان شاء الله لأن أي قارىء محايد لا بل حتى كاتب المقال الكفري نفسه لا يمكنه الا ان يعترف بمقدار ضعف ادلته وحججه وتهافتها امام الردود المنطقية عليها.. ليس هذا ادعاء فارغا او تفاخرا في غير محله ولكن هذه حقيقة فرضتها وقائع مثبتة وهي ان الكافر كما تبين لنا جاهل تماما بالاسلام ولا يعرف عنه شيئا وهو يتقدم ليجادل اشخاصا تعلموا دينهم من مصادره الموثوقة.
- هذا من جهة ومن جهة اخرى فنحن في عصر النت فلم يعد يجدي اخفاء الشبهات فمن لم يقرأها هنا سيقرأها في مكان آخر بدون ردود.

2-1-3- السبب الثاني: اليس الحق واضحا؟

السبب الثاني الذي يجعل القراء يزهدون في هذه المواضيع هو انهم يجدون الحق محسوما.. فالملحد او الكافر غير منطقي وهو يكذب على نفسه والايمان هو الشيء البديهي و للرد على الكلام اطرح عدة توضيحات و تساؤلات:

1- ماذا لو لم يكن اهلنا مسلمين؟

هل سألنا مرة انفسنا هذا السؤال.. الحمد لله على اهم نعمة الا وهي نعمة الاسلام.. ونعمة اننا خلقنا في اسرة مسلمة لأبوين مسلمين ذلك انها فتنة كبيرة ان تولد لأهل كافرين.. فليس من السهل التحول عن دين نشأنا على محبته وتقديسه الى دين آخر..

2- كيف يكون موضوعا بديهيا وغالبية الناس يعانون منه؟

اننا لو حسبنا عدد سكان العالم لرأينا أن عدد المسلمين منهم هو حوالي الخمس ومن هؤلاء يشكل المسلمون الملتزمون بدينهم حقا اقلية ايضا.. فان كان الاسلام امرا مفروغا منه لا يرفضه الا مكابر فلماذا نسبة المسلمين الملتزمين ضئيلة الى هذا الحد؟؟

3- ليس الهدف هو مكافحة الالحاد فقط انما المظاهر الالحادية والكفرية ايضا

كثير من الناس يعترف بوجود إله ولكنه إله صاغ صفاته على هواه.. او هو قد يؤمن بوجود إله الاسلام ولكنه يرفض بعض الصفات له او بعض احكامه.. فهل يعتبر هذا الرجل مؤمنا؟ ام يكون كمن آمن بنصف الكتاب وكفر بنصفه الآخر؟ للتذكير فانه حتى المشركين العرب في الجاهلية اعترفوا بوجود رب خالق "**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنا يؤفكون**" ولكنهم كفروا واشركوا حينما عبدوا الاصنام بدعوى انها تقربهم الى الله.. "**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ...**" فلم ينفعهم ايمانهم بالله.. وهكذا عدد كبير ممن يدعون الايمان اليوم هم مؤمنون على طريقتهم الخاصة ويعانون من امراض وشبهات كفرية ولهؤلاء نتوجه بحديثنا بغية الارشاد والنصح.

2-2- ملاحظات حول مناقشة افكار الملحد او المرتد

2-2-1- مقدمة

كثيرا ما نتابع جلسات حوارية بين الاديان والعقائد المختلفة منها ما هو حي ومنها ما هو مكتوب. فنهز رأسنا اسفا لمستوى الحوار المتدني فهو لا يخرج عن واحدة من الحالات التالية:

1- جدال هو اقرب الى السباب والشتم منه الى حوار يخاطب العقل والمنطق.

2- حوار مجاملات من نوع وحدة الاديان والاستخفاف بالعقول والقفز فوق الاختلافات الجوهرية.

3- حوار في الفروع يضيع وقت المستمع او القارىء في تفاصيل لا تغني ولا تسمن من جوع نظرا لغياب الارضية المشتركة التي ينطلق منها الطرفان.

لذلك وكي نخرج من هذا الاطار السلبي ونقدم مادة جديدة تفيد القارىء ولا تهدر وقته فعلينا ان نلتزم بثلاث ضوابط

1- الموضوعية التامة بحيث لا ننطلق في الحوار بهدف طحن الخصم بقدر ما نسعى الى ايصال وجهة نظرك له.

2- المصداقية العلمية بعيدا عن الاستخفاف بالعقول.

3- وضع مبادىء واصول عامة تشكل ارضية مشتركة للحوار.

ولا ندعي ان النجاح سهل في هذه الضوابط الثلاث فالموضوعية المطلقة مستحيلة والمصداقية العلمية ليست حاسمة في العلوم الانسانية كما هي الحال في العلوم التطبيقية كما ان المبادىء والاصول التي سيضعها كل طرف هي نتيجة تراكم خبراته الشخصية وخبرة محيطه وبالتالي قد لا تكون شاملة لكل ما يجب ان يوضع من قواعد في هذا المضمار، فلا ريب ان كل طرف سيذكر اشياء وتغيب عنه اشياء. لكن جل ما نسعى اليه هو وضع حجر اساس يكون مدخلا لبناء هرم ضخم اسمه اصول الحوار بين الاديان. ونأمل ان يأتي غيرنا ويكمل ما بدأنا به ويضع فرضياته التصحيحية او المضادة لما وضعنا كي نخرج بمادة غنية تنفع كل باحث عن الحقيقة.

هذا سنحاول فيما يلي اعطاء ملاحظاتنا حول الحوارات التي تقوم بين المسلمين من جهة والمرتدين او الملحدين من جهة اخرى محاولين ان نتخذ موقفا موضوعيا وان نعطي كل ذي حق حقه لذلك سنبدأ بالنقد الذاتي.

2-2-2- سوء تصرف المسلمين في باب الدعوة

1- يقدم المرتد في العادة نموذجا عن رجال ومعلمي الدين الذين تعامل معهم وكيفية مجابهة تساؤلاته بقسوة .. ونحن نحزن حقا لان امثال هؤلاء لو تعرفوا على من يتعامل معهم بطريقة اخرى لربما لم يصلوا الى هذه المواصيل .. لا احد يعرف..

2- نحن نعترف ان نسبة كبيرة من المتدينين لا يتمتعون بروح الاسلام السمحة من جهة ولا يملكون الفهم الصحيح للاسلام من جهة اخرى.

3- ان مشكلة التشدد الديني والفكر المغلق هي آفة اصابت بعض علماء الدين وحتى نحن كمسلمين ملتزمين نعاني ما نعانيه خلال حوارنا مع هؤلاء الاشخاص

4- التعليقات التي تكتب ردا على مقالات الملحدين والمرتدين للاسف تكون جلها من نمط التهديد والتنفير والاستعلاء والكبر وتجاهل الحجج الواردة في مقالات هؤلاء وهذا ما يهدف اليه المرتد فنحن نثبت عندها -بنظره ونظر من يفكر مثله- ما يقوله عن ديننا في مقاله..

2-2-3- تفهم اسباب الغضب عند المسلمين في مواجهة كلام الكافر

كي نكون منصفين علينا ان نتفهم ردة فعل المسلمين على هذه المقالات فهم يبررون تصرفهم بالتالي:

- يأتي الكافر بالعادة لا ليناقش بل ليسوق التهم جزافا ويشتم ثم يذهب وينصرف
- ان هؤلاء مكابرون ودعاة فتنة والتعامل معهم برقة وسماحة سيجرأهم على المزيد من السباب والشتم والتعدي.
- المسلم ممكن أن يتنازل عن حقه ولكن لا يسمح بأن يهان رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن هنا عبارة "الا رسول الله" التي اطلقتها بعض الهيئات الاسلامية لدى نشر الدنمارك للصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم..

2-2-4- ضرورة الوصول الى طريقة لادارة الحوار ترضي الطرفين

وسط هذا الاختلاف في الرؤى بين الطرفين علينا البحث قدر الامكان عن تفاهم مسبق حول شروط الحوار حتى نتوصل لطريقة حوار مقبولة من الطرفين وهذه بعض مقترحاتنا.

- عدم الحكم على النوايا مسبقا فليس كل من يجادلنا مكابر يعرف الحق ويجحده بل إن قسما كبيرا من المخالفين لنا مقتنعون حقا بمذهبهم وينفرون حقا من ديننا.. فالواجب في هذه الحالة الحكم على الظاهر.
- في النهاية دائما هناك حضور محايد.. والخوف كل الخوف ان الملحد يثبت لهم اننا وقحون وانه مفكر متنور.
- هذا المخالف مهما هذب عباراته سيجرح بالاسلام بطريقة ما ولو مؤدبة..
  - مثلا النصراني لا يعترف بمحمد كرسول لله وبالتالي فهو يتهمه اما انه مجنون او كاذب في ادعاء الوحي.
  - الملحد ينكر وجود الله.. وهذا يجرح مشاعر المسلمين..
  - النصراني ينسب البنوة لله وهذا تجريح بالذات الالهية..
- لذلك علينا ان نفرق بين التجريح المقصود كاهانة وبين التجريح الناجم عن فكر معين و قناعات شخصية ولا ننسى اننا نحن أيضا نجرح بالنصارى والملحدين حينما نقول عنهم انهم على ضلال او أنهم كافرون ولا نقصد بهذا اي اهانة بل بيان عقيدتنا تجاههم فحسب.

2-3- فهم طريقة تفكير المخالف أمر ضروري قبل مناقشته

2-3-1- مقدمة

قبل ان تناقش أي انسان عليك ان تطلع على خلفيته الفكرية وبيئته الثقافية فذلك سيساعدك على فهمه وتفهم ما يقول ان بغرض مناقشته او للتأثير عليه.. وبدون ذاك سيصبح الحوار معه حوار طرشان. وهذه عينة من النموذج العام الذي يميز الملحد في بلادنا

2-3-2- نظرة الملحد الى نفسه كانسان ثوري ونظرته الينا نظرة فوقية

الملحد او العلماني او الشيوعي او الغربي ينظر الى غيره دائما نظرة فوقية.. فهو يتصور ان غيره غارق في بحر الجهل والتخلف وهو ثائر ضد التقاليد يفكر بعقله ولا يؤمن الا بما يقتنع به.. وفوق هذا كله هو يظن ان من يخالفه في الاعتقاد متطرف او غبي او مجبر على ذلك..

لا يستطيع ان يصدق الغربي ابدا ان هناك امراة محجبة بارادتها.. دائما يعتبرها اجبرت على ذلك من قبل اهلها.. دائما يعتبر الحجاب رمز تخلف واضطهاد ولا يستطيع ابدا ان ينظر اليه كاعتقاد داخلي او حرية شخصية فعقله المبرمج سلفا نحو نظرة واحدة للاسلام والايمان لن يستطيع ان يريه ما يمكن ان يفكر به الطرف الآخر.. ومن الغريب ان ينجحوا في فهم ثقافة العري والاباحية ولا يستطيعون فهم ثقافة الستر مع ان الستر فطرة انسانية.. ولو قارنا نظرة مثقفيهم بنظرة مثقفينا المسلمين المعتدلين لاكتشفنا انه رغم كرهنا للالحاد وثقافة الغرب فنحن نعرف كيف يفكرون ونستطيع احيانا ان نتفهمهم لا وبل نعذرهم في بعض

الاعتقادات او التصرفات انطلاقا من معرفتنا بالبيئة او الضغوط او الصورة المشوهة للاسلام التي صادفوها... لكن للاسف هم لا يبالون ابدا بمجرد محاولة الاطلاع على ديننا من مصادر واعية مثقفة متمكنة في الفكر الاسلامي..

2-3-3- ميل الملحد الى الاقتباس من اعداء الاسلام

الناحية الثانية التي لفتت نظرنا ان عداوة الملحد للاسلام تدفعه الى مجانبة الصواب والى معاداة شعبه والانتصار لخصوم الاسلام والعرب التاريخيين... وهو لايفتأ يجمع الشبهات ضد الاسلام من اي مكان حتى لو من مصادر صهيونية تبشيرية هندوسية.. فليت شعري ما هذه النفسية التي تجعل الانسان يصدق ويروج لافكار تعاديه هو كإنسان ومواطن قبل ان تعادي دينه.. واشد ما يدهشني هو تعمق الملحد او المخالف لك بالدين في دراسة كتب المستشرقين وكل ما اثاروه من شبهات وترى هذا الملحد المتعالم يدخل في احاديث ضعيفة انت نفسك قد لا تعرفها ويجادلك في قوة اسانيدها وفي معانيها دون ان يكلف خاطره بالقاء نظرة عامة وشاملة عن الثقافة الاسلامية. فمتى كان الانسان يتعلم علما بطريقة معكوسة؟ ومتى كان يدخل في سراديبه قبل ان يطلع على باحاته وساحاته؟؟؟

2-3-4- تشابه في تجاربهم الذاتية

هل تعرفون ما هو القص واللصق؟ كل من استعمل الحاسوب يعرفه.. وللاسف نرى ان معظم مقالات الملحدين هي قص ولصق.. نحن لا نتهمهم بالسرقة الادبية فلربما هو مجرد توارد افكار ولكن نقصد اننا نجد انفسنا امام مقالات متشابهة في المضمون والاسلوب.. دائما تجارب الملحدين على هذا الشكل..

- يبدأ بالقول انه كان ذكيا ما شاء الله عليه، وواجه المعلمة او الشيخ باسئلة عجزوا عن الرد عليها فاستشاطوا غضبا وطردوه وكفروه .. وهذا فيه ايحاء ان اسئلته مفحمة في حين انها لا تعدو ان تكون اسئلة سطحية جدا من نمط "من خلق الله" طرحت ملايين المرات من قبل واجيب عنها بمثل هذا العدد وبشمولية تامة
- ثم ينقل بعد ذلك في سرد الشبهات التي سرقها بخفة من هنا ومن هناك حتى لو كانت من اعداءه واعداء وطنه الشخصيين.. والتفنن في صياغة المقال هو فقط في اعادة ترتيب الافكار وتغيير مكانها..
- هذا عن الملحد اما المتنصر فيبدأ ببداية مشابهة ثم ينتقل ليقول انه رأى المسيح الفادي المخلص في المنام يكلمه ويدعوه للايمان به فاعتنق النصرانية.. وكان من الأفضل له ان يعترف انه تعرف على مبشرين امدوه بالمال واحسنوا اليه فلحق بركابهم على عماها..

2-3-5- انتحال مزيف للموضوعية والعقلانية والتجرد

يطرح الكافر اسئلة محايدة ومهمة توحي لك بان هذا الشخص سينصفك.. فعقب احداث 11 ايلول طرح سؤال مهم يشف عن رغبة الغرب في اصلاح اخطائه تجاهنا بعنوان "لماذا يكرهوننا؟" .. لكن الجواب للاسف جاء خاليا من اي فائدة اذا تبين لهم ان سبب كرهنا لهم هو غيرتنا منهم او لانهم يدعمون الدكتاتورية في بلادنا او لاننا فقراء وهم اغنياء متناسين ان اهم سبب لكرهنا لهم هو عدوانهم المباشر ضدنا ودعمهم اللامحدود لاسرائيل في عدوانها ضدنا. وهذا يوحي لك ان سؤالهم لم ينطلق من نية سليمة في الاصل او انطلق من نية سليمة ولكن من عقلية متحجرة احادية النظرة تصم آذانها عن الاستماع لغيرها كونها ترى انه اقل منها مقاما و "يغار منها" كمثل لسان حال فرعون حينما قال "**ما اريكم الا ما ارى**".

2-4- فهم نفسية المؤمن مدخل ضروري لفهم الاسلام

2-4-1- مقدمة

بالمقابل على الكافر كي يفهمنا بموضوعية ويفهم الاسلام بحق ان يتعرف على نفسية المؤمن فلنتذكر ان الممثل الذي يريد ان يمثل دورا في فيلم يأخذ قرابة الستة اشهر في دراسة الشخصية التي يتناولها الفيلم سواء كانت شخصية رجل بدوي او رجل معاق.. او.. او.. لذلك يطلب ممن يريد ان يتصدى لأهم موضوع في حياته الا وهو "الغاية من وجوده" ان يأخذ قليلا من الوقت وينصت لنا..لا بل ينصت لفطرته قبل ان ينصت لنا.. فما كلامنا الا ترداد لهمسة الفطرة البشرية التي يحاول ان يخنقها بيديه. عليه ان يفهم الاسلام حقا.. ان يحاول تخيل نفسية المسلم.. وليس أي مسلم بل المسلم الملتزم بدينه المقتنع به..

ليتخيل من يكفر بالله او من يعترض على حكمه وجود الله بالصفات التي يشعر بها المؤمن.. ليفترض ان ما نقوله أسطورة في بادىء الأمر.. لا مانع.. الا يتخيل احدنا نفسه سوبرمان أحيانا؟؟ الا يتخيل نفسه مع حبيبة قلبه؟؟ هناك امور كثيرة نتخيلها وهي غير واقعية.. فلم يرفض من يكفر بالله ان يتخيل وجود الله – أكيد حسب التصور الإسلامي– ولو لمدة أسبوع ويحاول ان يتصرف على هذا الأساس ويعيش هذه الفترة – لن أقول كمسلم – بل كمؤمن بالله فحسب وينقل لنا خلاصة تجربته.. هل سيتفق معنا فيما قلناه ام لا؟

لم نتفهم نحن المسلمين الكفار والملحدين ونتفهم كل الشبهات التي تعترض طريقهم؟ لم نتلمس لهم الأعذار والتبريرات ونقول موقفهم صعب.. تارة نقول هم لم يتربوا على الإسلام.. وتارة نقول الإسلام اليوم مشوه.. بالمقابل هم مطالبون بتقديم أي جهد للتقرب من طريقة تفكيرنا ومحاولة فهمها. مرة أخرى.. لا نقصد فهم المسلمين فقط بل أي مؤمن بعقيدة ما كخطوة أولى.. لقد توصلنا لقناعة بالنهاية وهي ان البصير يستطيع ان يتخيل بسهولة طريقة إحساس الأعمى والضرير.. فما عليه الا ان يغمض عينيه ويتخيل نفسه محروما من نعمة البصر.. ولكن أنى للأعمى ان يتخيل طريقة تفكير وشعور المبصر.. وهو أمر لم يذقه ولم يعهده ولا يعرف ماهيته.. مستحيل طبعا.. لن يستطيع ان يفعل هذا الا إذا نقل له المبصر تجربته بأمانة كما نحاول ان نفعل هنا.. ولكن حتى في هذه الحال فلن يشعر شعور المبصر الا حينما تزول الغشاوة عن قلبه ويبصر حقا..

2-4-2- اعتراف المؤمن بقصور العقل عن ادراك بعض الحقائق ("وما أوتيتم من العلم إلا قليلا".,)

عندما كنا اطفالا كنا نستغرب تصرفات اهالينا او مدرسينا ولا نراها منطقية البتة.. لماذا الذهاب الى المدرسة مثلا وما النفع؟؟ ولماذا نتعلم هذه المواد؟؟ لماذا لا يتركوننا بحالنا نمرح ونلعب؟؟ الخ الخ... طبعا حينما نكبر سوف تتضح الامور لنا.. ويتبين لنا ان ما كنا نظنه مستغربا كان ناشئا عن محدودية فكرنا في هذا السن.. في حين ان القيمين علينا كانوا اكثر وعيا لمصلحتنا ليس فقط لانهم اكبر منا سنا بل لأنهم كانوا يرون الصورة كاملة.. وكانوا يدركون ان هذه الامور التي لا نرى منها أي جدوى الآن ستنفعنا فيما بعد بطريقة او بأخرى... وتدور الايام ونمر بنفس المرحلة الآن مع اطفالنا.. حيث نجدهم غير قادرين على فهم تصور حقيقة الوضع فبالنسبة للطفل الصغير مثلا لا مشكلة لديه ان يتعطل الحاسوب لأن والده قادر ان يشتري حاسوبا – على منطق ان المرأة والطفل الصغير يعتقدان أن الرجل على شراء كل شيء قدير– طبعا ظنه مبني على كون الوالد فعل ذلك من قبل حينما كسر الطفل لعبة زهيدة عنده.. فهو في هذا العمر غير قادر على تمييز الفرق في السعر بين لعبة وحاسوب لأنه لا يعرف تقييم الاشياء بعد وتثمينها..

قد نسأل ما علاقة هذا بذاك؟ نقول ان القضايا متشابهة اكثر مما نظن... فنحن أكثر من اطفال على مستوى الكون.. الا تقدر نسبة ما نعرف من هذا الكون بنسبة ما يعرفه الطفل الصغير عن حياته القادمة؟ الا نشك ولو للحظة واحدة ان منطقنا الذي قد يبدو لنا عقلانيا جدا لا يحمل من المنطق الا صورته تماما كمنطق الاطفال؟ واننا اذا اقتنعنا ان اهلينا ومربينا في مرحلة ما كانوا الاقدر على تقدير مصلحتنا.. اليس من الاسهل علينا ان نتقبل ان خالق هذا الكون الفسيح.. الرب العالم الحكيم المحيط بكل شيء هو الاقدر على معرفة مصلحتنا؟ اذا اقتنع معنا صديقي المخالف بهذه الخاطرة فسهل جدا اتمام الحوار معه .. اما ان كانت هذه الخاطرة لا تدخل من ضمن مسلماته فسنظل نتحاور في التفاصيل الى ما شاء الله دون الوصول الى النتيجة اذ ان العقول تتغاير حتى قيل "ان ابن ادم اعترض على توزيع كل شي من النعم من مال وجمال وشخصية وبيئة محيطة الا عقله لم يعترض عليه بل اعجبه ورضي به.."

2-4-3- ادراك طبيعة ضعفنا البشري وحاجتنا للحماية ("إن الإنسان خلق هلوعا")

"إن الإنسان خلق هلوعا(19) إذا مسه الشر جزوعا(20) وإذا مسه الخير منوعا(21) " (المعارج)

تكلمنا في المقطع السابق عن الناحية العقلية في الموضوع والآن سنتناول الناحية النفسية مستعملا نفس الامثلة.. مثال الطفل والاهل.. في الحقيقة ان كل انسان منا ضعيف مهما تنكر لضعفه.. وهو من الداخل يخاف كثيرا.. هلوع جزوع. منا من لا يخفي هذا الضعف البشري وراء هالة من العند والتكبر والشجاعة الكاذبة.. لكننا في داخلنا نخاف.. واذا صادفت شخصا لا يخاف فتأكد انه لم يتعرض للشيء الذي يخاف منه بعد.. فليس كل الناس يخافون من نفس الامور.. منهم من يخاف من الظلمة ومنهم من

يخاف من الوحدة ومنهم من يخاف من المرض... الفرق بيننا وبين الاطفال ان الطفل يعترف بخوفه وبحاجته للحماية ولا يستحي من اظهاره.. لكننا نحن نكابر في كثير من الاحيان ونكبت خوفنا او نتجاهله... تماما كما تدفن النعامة رأسها في الرمال فتعتقد ان الخطر لم يعد موجودا لمجرد انها لا تراه.. فإذا كان هذا هو الحال لدينا.. وما دام الخوف مكتوبا علينا فلم لا نخاف من رب العالمين وهو خالقنا وبارئنا؟؟ وان كنا بحاجة للحماية دوما فلم لا نلجأ الى الركن الشديد؟ وما دامت العبودية قد كتبت علينا؟ فلم لا نكون عبيدا لله عز وجل بدل ان نكون عبيدا للبشر؟ ليس هناك من حرية حقيقة في هذا الكون.. كلنا عبيد.. وهذا الذي يظن نفسه حرا.. هو عبد لشهواته واهوائه تسيره كيفما شاءت وتحطمه على تروس الحياة بدون شفقة او ضمير.. " **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا**" اما رب العالمين فهو رحيم بنا وارأف بنا من الأم برضيعها.. كل شيء تخاف منه تفر منه الا الله تخاف منه فتفر اليه..

2-4-4- ضرورة انصياع المؤمن لرب العالمين

واذا عدنا الى مثال الطفل والاب.. هل نرى الطفل الذي يجادل أباه يجادله في كل ما يأمره به ويطلبه منه؟ ويظل يسأل ماذا تهدف من ذلك يا ابتاه؟ وما الحكمة من ذلك؟ او لن انفذ ما تريد حتى تشرح لي لم تريدني ان افعل هذا؟ الا يعد هذا سوء ادب في عرف الناس؟ هل يسأل الجندي قائد الجيش في كل امر يطلبه منه ويناقشه مسفها خططه العسكرية؟ ليست القضية فقط في كون هذا القائد يعرف اكثر من الجندي فهذه الناحية تكلمنا عنها في المقطع السابق بل هناك ايضا وعي كل انسان لقدره ومستواه في الحياة وكما يقولون "العين لا تعلو عن الحاجب".. لماذا اذن حينما نأتي لأوامر الله لا نجد في انفسنا حرجا في مناقشة كل امر وتقليبه من جميع وجهات النظر.. أليس في هذا سوء أدب مع رب العالمين؟؟ (ان كان بوجه الاعتراض والتذمر طبعا) الا يدل هذا على إننا في قرارة انفسنا لا نقدر الله حق قدره.. " **ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز**" وان انصياعنا لابائنا وطاعتنا لهم هي اهم من انصياعنا لربنا ورب آبائنا وزعمائنا ورؤسائنا؟؟؟ وكل هذا لماذا؟ لأن رب العالمين يمهل ولا يهمل.. يبدو إننا طمعنا في كرمه ونسينا قدر انفسنا.. سبحانه وتعالى "**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**".

2-4-5- هل الضعف الايماني غريب عن الشعور الانساني؟

لا ليس غريبا.. لتقريب الفكرة الى الذهن فلننظر الى شعور المرأة نحو زوجها..فالمرأة – نعني بها المرأة الطبيعية – تقر ضمنيا بضعفها امام الرجل وتحب من شريكها ان يكون اقوى منها وافضل منها كي يحميها وتجد لذة غريبة في طاعته وارضائه.. وهو امر يسعد الرجل كثيرا وان كان يثير استغرابه فالمعتاد في الانسان ان يجد لذة في ان يكون مسيطرا متحكما متفوقا.. ذكرا كان ام انثى.. فحتى الانثى التي تحب ان تمارس سيطرتها على اولادها او قريناتها.. فقط مع زوجها تحب ان تكون ضعيفة.. ومع ذلك فهذا الرجل يتفهم شعور المراة نحوه ولا يسخر منها او يتهمها بالقصور العقلي..

نقول هذا الكلام كي نثبت ما قلناه آنفا ان شعور المسلم تجاه ربه والذي يحتوي التذلل والخوف والرهبة والاجلال الى جانب المشاعر المألوفة من محبة ورغبة في التقرب ليس غريبا البتة بل هو شعور انساني يوجد له مثيل في عواطفنا البشرية.. ليس مقبولا أن يأتي المخالف ليسخر منا في شعورنا هذا ويتهمنا بالتخلف او الغباء.. وفي المقاطع السابقة تفسير وشرح يغني عن اعادة الكلام..

2-5- مسلمات المسلم في نقاش افكار المخالف

2-5-1- المقدمة

بعد ان حددنا نفسية كل طرف من طرفي الحوار حتى نفهم كيفية التعامل معه دعونا نحدد سويا بعض المسلمات التي سيرتكز عليها الطرف المسلم لادارة نقاش افكار مخالفه.

2-5-2- اختلاف الأذواق لا يعد تناقضا

في حياتنا العادية نفرق بين اختلاف الاذواق وبين الخلافات المبدأية .. بمعنى انك تستطيع ان تتفهم ان فلانا يحب اللون الاحمر فيما تحب انت الابيض.. لكنك لا تستطيع ان تقبل ان يقول لك ان الثلج احمر وان الدم ابيض.. وبالمثل في القضايا الدينية نجد ان

معظم ما يظنه الملحد حقائقا تدحض ديننا ما هي الا اذواق او آراء شخصية له.. ولو تركنا الحكم للهوى الشخصي او الذوق في اثبات او نقض ما يصل الينا من حقائق فلن يكون لكلامنا اي قيمة فعلية على ارض الواقع الا بمقدار التأثير فيمن يملكون نفس ذوقنا واحساسنا..

وما قلناه آنفا يطبق في المحاكم حيث لا ياخذ القاضي او المحامي بالكلام كدليل (وهو ما يعرف بكلمة ضد كلمة) بل يبني حكمه او مرافعته على حقائق ثابتة وملموسة وعلى ادلة وبراهين.. مثال: اذا انا رفعت قضية ضد فلان انه اساء الي وهو انكر ذلك.. فالمحكمة لن تاخذ بكلامي في الاتهام ولا بكلامه في دفع الاتهام بل ستأخذ بالحقائق فان كانت هذه الحقائق غير موثقة ولم يطلع عليها شهود فالقضية ستغلق لعدم كفاية الادلة.

فها نحن نرى النصراني او الملحد يستغرب تحريم الخمر ففي نظره قليل من الخمر يشرح قلب الانسان ويعترض على الحجاب وله مآخذ ربما على طريقة أداء الصلاة لكن السؤال هلا شرح لنا الملحد اين مجافاة المنطق فيمن اختار الخيار المعارض له؟؟ ام تراه يا ترى يعتبر ان كل ما يعارض ذوقه وهواه هو ضد المنطق وضد العقل؟؟؟

2-5-3- الشبهات لها وجهان: غرابة أو اعجاز

لا زلت اذكر حينما كنت صغيرا في سن السادسة واخبرني صديقي يومها ان الملح يستخرج من البحر فضحكت عليه وعلى غبائه اذ لم ار اي منطق في هذا الادعاء فالملح كسائر المأكولات التي اعرفها لا بد وانه مستخرج من نبات معين.. الا ان والدتي حفظها الله ما لبثت ان اكدت لي ما قاله لي صديقي فصدمت صدمة عنيفة لا تزال ترافقني الى الآن بدليل اني ما زالت اذكر هذه الحادثة حتى الآن في حين طوى النسيان كثيرا من الامور الاخرى .. الصدمة هي صدمة انسان يكتشف لاول مرة ان الاحكام التي يقتنع بها بشدة قد لا يكون لها اسس منطقية متينة بل هي مجرد انطباعات استقرت في ذهنه لكثرة ما الفه من احداث شبيهة.. فالإنسان قد لا يصدق وجود بقرة حمراء لان كل البقر التي يعرفها سوداء او بيضاء او بنية حتى يصادف بنفسه بقرة حمراء مثلا.. وقس على ذلك. والشبهات التي تهاجم الاسلام هي كلها تندرج ضمن هذا النمط: اشياء غير مألوفة لم يعتد الناس عليها لاختلاف بيئتهم ولكنها في طياتها قد تحمل نتائجا عكس ما يتخيله الملحد تماما.. فبدلا من ان تكون الشبهة دليلا على نقض هذا الدين قد تكون دليل اعجاز هذا الدين... لنعط مثلا بسيطا على ذلك فان الغربيين انتقدوا القرآن الكريم لأنه سمى حاكم بلد مصر باسم الملك في حين انه يسمى بفرعون في كتبهم المقدسة حتى جاءت الابحاث التاريخية واكدت ان يوسف عليه السلام عاش في فترة الملوك الهكسوس وهي فترة قصيرة سقطت فيها مصر الفرعونية بيد غزاة من البدو.. فتحولت القضية من شبهة الى اعجاز.

2-5-4- النفي صعب اما الاثبات فسهل

وهذا قانون رياضي معروف اذ كي تثبت ان شيئا ما هو موجود يكفي ان تأتي به او تبرهن على وجوده اما كي تنفي وجود شيء فليست القضية بهذه السهولة... مثال: كي تثبت ان هناك طيورا ثديية بامكانك ان تاتي بخفافيش.. ولكن كي تنفي وجود مخلوقات فضائية او الارواح او الجن مثلا فهذا ليس في متناول اليد فمجرد عدم رؤيتهم لا يدل على نفي وجودهم.. وعادة اثبات النفي لا يمكن الا يكون عقليا (اثبات تناقض الوجود مع امر مثبت الوجود).

وكمثال على ما نقول: نحن كمؤمنين عندنا عشرات الادلة على وجود الله من ادلة عقلية وحسية وفطرية ووجدانية بالمقابل لا يملك الملحد ولا نصف دليل على نفي وجوده فكما بينا ادلة النفي لا يمكن ان تكون الا عقلية بحته والعقل لا يحيل وجود إله بل على العكس يجيزه ويوجبه.. ومن هنا فرار معظم الملحدين من فكرة النفي الى فكرة الشك.. فكما سيمر معنا في الامثلة هناك شك في كل شيء: وجود الله.. وجود الشيطان.. وجود الملائكة..

2-5-5- التفريق بين النظريات العلمية والحقائق العلمية

وهذا ايضا شيء سهل على الشرح والاستيعاب.. فالارض كروية.. هذه حقيقية علمية مثبتة بالتجارب والحس خاصة مع وجود صور الاقمار الصناعية.. ربما كان هذا الموضوع نظرية علمية في يوم مضى ولكنه ارتقى مع الوقت لمرتبة الحقائق.. اما نظريات فرويد في علم النفس فهي ليست حقائق علمية انما هي مجرد نظريات طرحها رجل ما لتفسير بعض الاحداث المعينة وكذا الامر فيما يتعلق بنظرية داروين عن النشوء والارتقاء فلا يصح بعد ذلك ان تعتبر هذه النظريات التي لم تثبت اصلا ادلة او

حججا ضد الدين علما انها حتى لو ثبتت (وهي لن تثبت) فهي ليست حجة للالحاد ضد الدين لأن مجالها تفسير الكيف والدين مجاله تفسير اللماذا كما سيمر معنا فيما يلي..

2-5-6-النظرية العلمية تكتسب قوتها من قدرتها على تفسير النتائج

بمعنى ان مقدار مدى قبول النظرية العلمية يتوقف على قدرتها على تفسير امور معينة والتنبؤ بها.. مثلا نظرية النسبية (على غرابتها لجهة اعتبار الزمن والمكان خصائصا للشيء المتحرك تتمدد وتتقلص حسب اقتراب سرعته من سرعة الضوء) نجحت في تفسير ظواهر عديدة وبنيت عليها اختراعات مهمة تختص بالجزئيات والتفاعل النووي.. وقوانين نيوتن عن الجاذبية فسرت كيفية سقوط الاشياء نحو الاسفل وكيفية دوران الاجرام حول الشمس ومع ان الجاذبية مفهوم خفي وغير ملموس وغير مرئي الا ان هذه النظرية وجدت قبولا عند العالم لنجاحها في تفسير هذه الظواهر وينعت من ينكرها بالجاهل .. فاذا كان هذا هو الحال في النظريات العلمية نسأل الملحد المنصف – الذي يدعي امتلاك العقلية العلمية– سؤالا بسيطا: اي نظرية تصلح ان تفسر نشوء الكون؟ الصدفة, نظرية الطبيعة غير العاقلة ام نظرية اله قادر قوي وعالم وجبار؟ نقول هذا مع يقيننا طبعا ان وجود الله يرقى لمستوى الحقيقة المطلقة ..

2-5-7- القليل من التفكر يردك الى الدين

ليس الاسلام دينا تقليديا من صنع البشر ولا فلسفة مثالية مجنحة بل هو قانون رباني وضعه خالق البشر للبشر فهو يحتوي انسب القوانين التي تعطي افضل النتائج الاجتماعية.. وبالتالي من الطبيعي ان يأتي احيانا باحكام تقصر افهامنا عن استيعابها.. احكام تحتاج لكثير من التفكر حتى نصل الى الحكمة فيها.. وما اجمله من قول حينما رد احد الاخوة قولا يدعي ان حكم الرجم ليس انسانيا بقوله: نعم هو ليس انساني بل هو رباني.. واختم بكلام جميل قرأته في كتاب "قصة الايمان" لمفتي طرابلس السابق الشيخ نديم الجسر "الفلسفة بحر على خلاف البحور يجد راكبه الخطر والزيغ في سواحله وشطآنه، والامان والايمان في لججه واعماقه"... وهو قول ينطبق على كل شيء.. على الفلسفة والعلم والتفكر والحوار وكل وسيلة اخرى للمعرفة.. ان التعمق سيكشف امامك حقائقا جديدة وينير دربك وستكتشف ان الشكوك التي ساورتك هي عين الايمان .. طبعا ليست هذه دعوة لاتباع الفلسفة ولكن لدحض ما يشيعه الملحد من ان الفلسفة تقود حتما الى الالحاد فكما اثبت الشيخ الجسر في كتابه "قصة الايمان".. العقول السليمة تصل بالانسان الى شاطىء الايمان في النهاية..

2-5-8- مجال العلم هو الكيف وليس لماذا

كان الإنسان القديم يرى السماء تمطر وكفى ، لكننا اليوم نعرف كل شيء ممكن عن عملية تبخر الماء فى البحر حتى نزول قطرات الماء على الأرض، وكل هذه المشاهدات صور للوقائع، وليست فى ذاتها تفسيرا لها، فالعلم لا يكشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانين؟ وكيف قامت بين ألارض والسماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة، حتى أن العلماء يستنبطون منها قوانين علمية؟ والحقيقة أن ادعاء الإنسان بعد كشفه لنظام الطبيعة انه قد كشف تفسير الكون – ليس سوى خدعة لنفسه، فإنه قد وضع بهذا الإدعاء حلقة من وسط السلسلة مكان الحلقة الأخيرة .

وبهذه الحجة يتكلم القرآن الكريم فيقول: **أفرأيتم الماء الذي تشربون(68)ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون(69)لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون(70)** اي ان كل ما تدعوه من امتلاك وسائل العلم التي تقدم تفسيرا مقنعا لنشوء الكون لا يتعدى كونه تعداد القوانين الموجودة التي خلقها الله ليسير بها الكون. ولا يستطيع العلم ان يجيب عن اللماذا بل الكيف فقط. يقول لنا العلم كيف تحرق النار وما هي العوامل التي تساعدها في خاصية الاحراق ولكنه لا يستطيع ان يفسر لنا لماذا تحرق النار ولا تبرد ؟؟؟ ولماذا تعمل كل القوانين الطبيعية لمصلحة الانسان وليس ضده؟؟؟ ولماذا تكون مياه المطر عذبة لا مالحة كمياه البحر كما تقرر الآيات القرآنية.

2-5-9- عدم قدرتك على تخيل الشيء لا يعني عدم وجوده

يقولون ان الله ليس موجود لأننا لا نراه ولا نستطيع تخيله.. فيا عجبا.. الا نستدل على الجاذبية من آثارها ونحن لا نراها؟؟ مثال ابسط من ذلك.. نحن البشر نفكر و نعيش ولا ندري كيف يحصل هذا؟؟ لم يجد العلم اي تفسير مقنع لمفهوم الوعي عند الانسان..

نحن لسنا مثل الحاسوب.. الحاسوب يفكر لكنه لا يعي انه موجود.. نحن نفكر ونعي اننا موجودون.. هذا الوعي لا تفسير علمي له.. ولا يفسر الا بوجود الروح.. والسؤال: من يعرف شيئا عن هذه الروح؟؟ اين تسكن؟؟ ما هي صفاتها؟؟ الى اين تذهب بعد الموت؟؟ فإذا كنا عاجزين عن فهم واستيعاب عملية الوعي داخلنا والروح التي تعيش بين اضلعنا فكيف نحيط بخالق الكون تبارك وتعالى .

2-6- استراتيجية الحوار مع المخالف

2-6-1-مقدمة :

في العادة المخالف للاسلام يهاجمه بضراوة وينظر اليه كدين متخلف رجعي عنيف سخيف متناقض شهواني ... فالسؤال الذي يطرح نفسه هو على اي جبهة يجب ان نركز دفاعنا؟

نظن انه بعد قراءتك لهذا الكتاب ستمتلك ان شاء الله المعلومات العامة الكافية عن الاسلام لتغيير نظرة هذا المهاجم للاسلام عنه وتحسينها للافضل.. ليس المطلوب منك ان تقنعه بالاسلام ابتداء فهذا امر قد يكون صعبا حسب شخصية المتلقي ولكن يجب ان تستطيع تغيير نظرته تجاه هذه الشبهات على الاقل.

في المناظرات الفكرية دائما هناك اشياء اسهل من اشياء اخرى.. مثلا نجد احيانا انه من الصعوبة بمكان ان نثبت قاعدة عامة لأن ذلك يحتاج لأدلة عقلية قابلة للجدل اما نقض قاعدة عامة فأمر اسهل بكثير لانه يكفي ان تجد مثالا واحدا ينقض هذه القاعدة.

وبالمثل فمهمة المدافع عن الاسلام سهلة جدا .. فبما انه دين مهاجم بشدة وضراوة خلافا لبقية الاديان يكفيك ان تثبت انه جدير بالاحترام وان صدقيته تستحق التفكير وعند هذه النقطة تصبح دراسته عبر مصادره مفروضة على الباحث عن الحق لما يترتب عن تجاهلها من تعريض النفس للخطر.

2-6-2- رفض وضع الاديان في سلة واحدة

من الثوابت الاساسية التي ينبغي توضيحها هو تمايز الاسلام عن بقية الاديان. فنحن نرفض وبشدة وضع كل الاديان في سلة واحدة نظرا لاختلاف العقائد والشرائع والفلسفات فيما بينها.. وينبغي التنبه عندها لشبهة اخرى مضادة تطرح في هذا المجال الا وهو انه ان كانت العقائد متناقضة فمعناها ان كل دين يظن نفسه على حق والتالي فالدين هو وهم.. والجواب سهل وسبق وبيناه في القواعد العلمية الرئيسية حينما تحدثنا عن التواتر المعنوي وقلنا حينها ان اثبات حادثة معينة تدل على كرم حاتم طي صعب ولكن الحوداث التي تواترت عن حاتم طي كلها تشير الى كرمه فإن طبقنا هذا المنطق على الاديان (التي تعرف بالسماوية بشكل خاص) نجد انها كلها ركزت على نفس الانبياء وعلى كثير من الأحداث التاريخية المشتركة وعلى روحية الوصايا العشر اما الاختلاف فيما بينها فسببه التحريف البشري الذي طال الاصل وبالتالي فليست قضية الدين وهما او اختراعا بشريا كما يزعمون انما هي حقيقة واحدة حرفها البعض.

2-6-3- فيما يخص الشبهات ضد الدين

- ينبغي ان تقنع الطرف المقابل ان الاسلام يقدم نفسه كحقيقة ولذا فهو غير قابل للتقييم من خلال الظواهر الحالية فليس هو بنظام اجتماعي او نظرية اقتصادية وان كان يحتوي على هذه الامور ولكن لا يقتصر عليها بل هي فروع من جذع عميق متجذر فينا اسمه الاسلام.

- كذلك لا يقيم الاسلام وفقا لاي حركة او مذهب انحرف عنه لأن هذا المذهب اصبح منهجا مختلفا عن الاسلام مهما حمل من نقاط مشتركة معه الا ان يكون الخلاف من النوع المقبول ضمن الاجتهادات التي اقرتها المذاهب المعروفة.

-لا يقيم الاسلام كذلك وفقا للشروحات التي كتبها العلماء لأن هذه الشروحات مربوطة بزمن وفهم معين وبعضها قد لا يكون صحيحا بمعنى آخر فالنص مقدس ومعصوم والتفسير والشرح غير معصوم خاصة حينما يتعلق بالحقائق العلمية حيث ان النظريات العلمية كما نعلم متطورة مع الزمن والعالم ابن بيئته.

–لا يقاس الاسلام بتطبيقات البشر لان البشر من طبيعتهم الخطأ والعصيان والانانية وهذا تماما كما في حالة السيارة حيث لا يحكم على جودتها من اداء سائقها.

2-6-4- وجوب الاحتكام لقواعد علمية لا قواعد عاطفية

يستغل المخالف للاسلام براعة قلمه وصدى كلماته وتركيز الاعلام على احداث معينة كي يجعل الناس تتعاطف معه وتقتنع معه الى درجة اننا مع كوننا ضحايا لهمجية الغرب يصل بنا الحال احيانا الى ان نتعاطف معهم ومع جروحاتهم وننسى ما فعلوه بنا..
لذلك ينبغي إجبار المخالف على الارتهان للقواعد العلمية التي سبق ذكرها في الفصول السابقة ونخص بالذكر:

– الاحتكام للارقام في رد تهمة العنف

هناك معيار لا يخطىء في تقييم اي حدث تاريخي الا وهو لغة الارقام.. من يملك وسائل الاعلام يهرب من هذه النقطة ويسلط الضوء على تصرفات عدوه فقط ويضخم ما يقوم به في حين يتجاهل ما قام به هو ولا يذكر الضحايا التي سقطت على يديه الا كأرقام ولو استطاع لاخفاها ولكنه يفضل ان يبدو ذا مصداقية امام الناس. لذلك من يجادلك في عنف ووحشية الاسلام فعليك ان تحوله الى التاريخ والوقائع والارقام حيث تثبت الارقام ان اكبر المجازر ارتكبت من قبل غير المسلمين وبالمقابل فإن المسلمين في العصر الحديث هم ضحية اغلب هذه المجازر.

– المحاكمة التاريخية الموضوعية للرجال

لماذا تتم محاسبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمعايير مختلفة عن تلك التي يحكمون فيها على القادة التاريخيين؟ لم يكون نابوليون والاسكندر وهنيبعل ابطالا في نظر التاريخ في حين يحاول هؤلاء الحاقدون –عبثا– تشويه سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه قد حقق انجازات اهم منهم بكثير ومع كون اخلاقه افضل منهم بكثير.. فهو الرجل الوحيد في التاريخ الذي كان مصلحا ومشرعا وقائدا عسكريا ورئيس دولة وقام بنهضة اساسية في التاريخ استمرت بعده حتى عصرنا هذا ووضع اسس أكبر امبراطورية في التاريخ. طبعا نحن هنا نتكلم عنه كشخص لا كنبي لأننا نرضى ابتداء ان ينصف كرجل ويعطى حقه من طرفهم.

2-6-5- الرد بشكل اجمالي على الشبهات

بما ان الشبهات كثيرة وغير متناهية فلا احد يمكنه ان يجيب عليها كلها لذا عليك ان تضع دائما تصنيفا معينا تجيب على اساسه بمعنى انه بدلا من الرد على شبهة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من امهات المؤمنين عائشة وصفية وزينب رضي الله عنهن كل واحدة على حدا. فبامكانك نقل الموضوع الى مستوى اعلى من خلال الرد على شبهة شهوانية الرسول صلى الله عليه وسلم.
واجمالا تنقسم الشبهات الى المحاور التالية:

– حول الدين بشكل عام: كأن يقال ان الدين يحث على الكره والبغض او ان الدين يحارب العلم والعقل ويحث على التحجر الفكري..

– حول الله: من خلق الله ولم خلقنا الله؟ وكيف لا يتناقض وجود الشر مع وجود اله عادل وحكيم..

–حول الرسول صى الله عليه وسلم: شهواني، كاذب، مجنون، دموي

–حول الشريعة: الشريعة قاسية وعنيفة .. الشريعة جامدة

– حول عقيدة المسلم: لم تكون جنة المسلمين مادية؟

– حول القرآن: القرآن متناقض.. فيه اخطاء لغوية.. فيه اخطاء تاريخية..

وفيما يلي ثلاث نماذج عن الشبهات وكيفية الرد عليها :

1- هل الاسلام سخيف؟

لعل اسهل الشبهات التي نستطيع دحضها هي كون الاسلام سخيفا فمن يقرأ كتب مفكري الاسلام سيجد ان هذا الدين العظيم ما ترك ناحية من نواحي الحياة الا وله فيها رأي واضح ومحدد ومدروس.. ولكن مشكلة اعداء الاسلام انهم يتركون هذه الكتب الفكرية المهمة وينكبون على قراءة غرائب الاقوال والافعال والاحداث والفتاوى وليس غريبا على اي دين ان يكون قد تراكم فيه خلال عشرات القرون من الزمن الكثير من هذه الامور .. حتى ان احدنا ليبهت من مقدار براعة هذا المخالف الذي يستخرج لك قولا او

تفسيرا او فتوى لم تسمع بها انت المسلم رغم تعمقك بالدين ولكن ان عرف السبب بطل العجب فصاحبنا هذا لم يقرأ اصلا غير هذه الانواع من المقولات التي تصادف هواه وآثر ان يحكم على الاسلام من خلالها..

هذا ولا ننكر ان البعض من المسلمين يفعل الشيء نفسه احيانا ضد النصرانية واليهودية والالحاد اوحتى الفرق المنحرفة عن عقيدة اهل السنة والجماعة. ولكن ما يميزنا عنهم هو اننا قادرين- حينما نوضع على المحك- ان ندحض هذه الاديان ونجادل المدافعين عنها بدون استعمال هذه الاساليب الملتوية حيث نستطيع ان نركز مع النصراني حول الوهية المسيح ومع الملحد حول قضية خلق الكون ولسنا مضطرين بالتالي ان نناقشهم في غرائب اقوال بولس او ماركس او فرويد و تصرفاتهم..

2- هل الاسلام متناقض؟

وثاني الشبهات التي نستطيع دحضها بسهولة هي كون الاسلام متناقضا فالإسلام دين منسجم مع نفسه وواقعي يتعامل بمرونة تامة في التفاصيل وبصلابة في الاسس وعلى عكس النصرانية لا يوجد فيه اي تناقضات عقلية او فكرية او مثالية مجنحة. هذا على صعيد التشريع ونفس الامر ينطبق على القرآن الكريم الذي لا يوجد فيه اي تناقض رغم ان اعداء الاسلام حاولوا كثيرا الخوض في هذا المضمار لكنهم فشلوا فشلا ذريعا وكل محاولاتهم في هذا المجال كانت كمحاولات تلميذ في الابتدائي يجادل بروفسورا في المادة ولمزيد من الشرح حاول ان تنظر في ادعاء الاخطاء اللغوية في القرآن والرد عليه.

3- هل يتسم الاسلام بالعنف؟

ان موضوع القسوة او العنف في الاسلام موضوع طويل وهي تهمة لا ننكرها بشكل قاطع فالعنف ضروري احيانا لحماية الدين وللدفاع عن النفس ولتحرير الناس ولكن نرد تهمة الهمجية والفوضوية التي الصقت بنا ظلما وعدوانا كما بينا في ما سبق حينما تحدثنا عن الارقام.

2-6-6- نقطة الصعوبة الاساسية

خلال حواراتنا مع المخالفين خاصة الذين ينتمون للثقافة الغربية نصل في النهاية الى نقطة يتفهم فيها الغربيون معتقدنا ولكن يبقى هناك حاجز اساسي يمنعهم من اخذ الموضوع بجدية الا وهو ان ثقافتهم مبنية على الحرية المطلقة وهي مرادف عندنا لما يعرف بالهوى او -ان شئنا تلطيف الامور- مرادفة للذوق الشخصي فمن الصعب جدا بالتالي ان يفهموا عقلية التسليم بالامور التي يعتنقها المسلم بل دائما ينظرون للامور بنظرتهم الخاصة للامور غافلين ان فهم الانسان قاصر على ان يحيط بكل ابعاد اي موضوع اجتماعي حتى يكتشف الافضل للامة.

الباب الثالث: مناقشة الالحاد

تمهيد

هذا الباب يناقش الحجج الاساسية للملحدين ويخرج بخلاصة ضرورة وجود خلق للكون

3-1- شبهات الملحدين

3-1-1- مقدمة

سنركز في هذا الفصل على شبهات الملحدين الاساسية المتعلقة خاصة بانكار وجود الله.

3-1-2- الالحاد بدعة جديدة..

ان سؤال "من خلق الله؟" هو سؤال مستجد نسبيا.. ومقصد السؤال ليس بالطبع البحث عن اجابة عليه بل التشكيك بوجود الله عبر طرح شبهة في عقول الناشئة.. وقديما كان العرب المشركون يعبدون الاصنام ولكن لم تنتشر بينهم فكرة الالحاد " **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله.**" كان هناك شرك، كان هناك وثنية، تعدد الآلهة، انكار للآخرة والحساب.. ولكن الالحاد لم ينتشر بشكل واسع.. الا حديثا

3-1-3- حجة الملحد.. من خلق الله؟

ومما قرأناه لأحد مفكري الشيوعيين في الشرق الدكتور صادق جلال العظم.. "من خلق الله؟؟ لا احد يجيبنا على هذا السؤال.. اننا لسنا بحاجة لكائن لا نعرف من خلقه .. فبدلا من ان نخترع كائنا وهميا نضلل فيه الناس كي نفسر من خلق الكون.. فلنعترف اننا لا نملك حلا مقبولا للجواب على سؤال من خلق الكون.. فنكون امام لغز واحد لا لغزين

3-1-4- استغلال الثورة العلمية

وبداية ازدهار الالحاد كانت مع الفلسفات المعاصرة.. مثل الماركسية والوجودية.. وغيرها.. وكانت تعتمد على مكتشفات العلم لتبرر الالحاد.. فقد كان الناس يظنون قديما ان المطر ينزل من السماء لأن الله ينزله مباشرة وان الافلاك تدور في الفضاء لأن الله يتعهد هذا الامر مباشرة... ثم اتى العلم واكتشف ان هناك نواميس ثابتة تحكم هذا العالم فعدل الغربيون من نظرتهم وافترضوا ان الله وضع هذه القوانين الاساسية في الكون ثم تركه يمشي كالساعة (طبيعي ان هذا كفر.. فقدرة الله تتجلى في كل لحظة.. ولا يغفل عن خلقه..) ثم تطور الفكر الالحادي مع (هيوم) الذي تخلص من هذا "الإله الميت" بقوله : "لقد رأينا الساعات وهي تصنع في المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعاً" ؟ وطبعا لا ننسى ان الكنيسة يومها كانت تحارب العلم وتضطهد العلماء..

3-1-5- علم النفس يؤازر

ثم جاء علم النفس مع فرويد ليؤازر هذا التوجه الالحادي حين يفسر كل تصرفات الانسان على انها رغبات مكبوتة في العقل الباطن فادعى ان وجود الاله حاجة نفسية.. وان الله لم يخلق الانسان بل الانسان خلق الله بمعنى انه اخترعه ليرضي نفسه التواقة الى الشعور بالامان مع كائن اعظم منها ولا نهائي القوة.. كذلك اخترع فكرة الآخرة ليرضي نفسه التواقة الى العدل في عالم تسوده شريعة الغاب.. ومن هنا قال ماركس الدين افيون الشعوب لأنه يلهي الشعوب عن الثورة على الظلام ويقنعهم بالرضوخ الى الامر الواقع على انه قضاء وقدر..

3-1-6- الطبيعة والصدفة

ومن الملحدين من ادعى ان الكون تخلق بطريقة الصدفة معتمدا على نظرية النشوء والارتقاء التي وضعها داروين فيقول مثلا ان الحياة بدأت من ذرات تآلفت لتشكل خلية حية ثم تكاثرت وتطورت بالنشوء والارتقاء حتى اصبحت بشرا.. واستمع إلى قول :هكسلي" لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين ، فلا نستبعد أن نجد فى بعض

الأوراق الأخيرة التى كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير ! فكذلك كان الكون، الموجود الآن، نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين."

3-2- ادلة وجود الله العقلية

3-2-1- مقدمة

لم يعد الملحد المعاصر يفضل الجدال في الامور العقلية كونه يعتبرها غيبية وحمالة اوجه ويفضل الجدال في الامور العلمية كونها محسوسة اكثر.. ولكن لا مفر للمؤمن مع ذلك من ذكر هذه الادلة ولو لم تعجب صديقنا الملحد مع التوضيح ان العلم يؤيد هذه الادلة ولا ينفيها كما سنرى.. ولما كنا قد ذكرنا فيما سبق ان الدعوة الى الله تخاطب العقل والوجدان والعاطفة دعونا نتأمل الادلة التي تخاطب هذه العناصر..

3-2-2- الحجة المنطقية التي تخاطب العقل

يحدد قانون السببية بوضوح ان كل متغير له سبب رجح تغيره او تحركه.. فلا بد وان الكون المتغير له علة اولى .. له خالق.. اذ لا يتقبل العقل ان يرى شيئا يتغير دون ان يستنتج ان له سببا دفعه الى هذا التغير.. هذا من اقوى الحجج المستعملة واسمه قانون العلية او العلة الاولى.. قيل لإعرابي كيف تستدل على وجود الله فقال: سبحان الله :"الا تدل البعرة على البعير والخطوة على المسير؟ ارض ذات فجاج وسماء ذات ابراج الا تدل على خالقها؟

العلم يدعم هذه الحجة

ومعنى ذلك أن العالم يؤمن بوجود شيء غائب بمجرد ظهور نتائجه وآثاره ، فكل حقيقة نؤمن بها تكون دائماً (فرضاً) في أول أمرها ، إلى أن نكشف حقائق جديدة تدعم صدقها ، فنزداد يقيناً بها. حتى نبلغ حق اليقين : وإذا لم تؤيدها الملاحظات اللاحقة تخلينا عنها . ومن أمثلة هذه الحقائق: حقيقة الذرة التي لا سبيل إلى إنكارها، برغم أنها لم تشاهد قط بالمعنى المعروف، ولكنها تعتبر أكبر حقيقة علمية كشفت في هذا العصر. وكذلك الجاذبية.. لم يرها احد وليس لها اي وجود مادي باستثناء انها ظاهرة نفسر فيها بعض الوقائع.. فمن غير المنطقي ان نقول ان التفاحة وقعت لأنها تحب ان تقع او تميل الى النزول الى تحت كما كان يظن الاغريق.. التفاحة وقعت لوجود نظام يشدها الى الارض اسمه الجاذبية.. ولا يضيرنا اننا لم نر هذ النظام بحواسنا فقد دل عقلنا على وجوده من خلال آثاره... والعقل اصدق من الحواس.. فتلك يقع عليها الوهم فترى قطعة النقد بنفس حجم قرص الشمس.. ولولا حكم العقل ببعد الشمس الهائل عن الارض لما استطاعت الحواس ان تحسم اي امر..

3-2-3- الحجة الوجدانية..

وما يسمى قانون الحكمة او النظام في الكون.. حيث نجد ان الكون على ابلغ مثال من التنظيم والدقة.. وخاصة اذا تأملنا في خلق السموات والاراض وفي خلق البشر.. فكيف نقتنع ان هذا النظام العجيب هو وليد الصدفة.. قانون النظام نفسه ارتكز عليه معظم العلماء المسلمون لأنه اقرب للفهم الى عقل العامة. فالانسان حين يرى آلة معقدة شكلها غريب ثم يراها تعمل فيدخل من طرفها مواد خام ويخرج من طرفها الآخر بضائع مكتملة يوقن بقرارة نفسه ان لهذه الآلة مصمم اخترعها بدقة لتؤدي العمل المطلوب منها. فهل يعقل أن الانسان وهذا الكون البديع المتجانس وجد بالصدفة ؟ يقول القرآن الكريم "**سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**" . فقوله سنريهم دلالة على مخاطبة الكفار وها نحن نرى ان معظم الاكتشافات العلمية تقع على ايديهم والاعجاز موجود في الكون (الآفاق)، وفي الجسم الانساني والفكر الانساني (انفسهم) فدلنا ان السبيل على الإيمان هو "دليل النظام" دون ان يهمل "دليل السببية" حين قال "انه على كل شيء شهيد" والتي يفهم منها بأنه الصانع الفعلي الحقيقي لكل شيء في هذا الكون.

العلم يدعم هذه الحجة..

لم يكتف العلم بالرد منطقيا على حجج الملحدين بل تعدى الامر ليخاطب عقول العلماء وفطرتهم.. اذ يتبين لنا يوما بعد يوم عظمة الله في خلقه.. اذ تثبت المكتشفات الحديثة ان الارض لو كانت اكبر من حجمها بقليل لانجذبت الى الشمس واحترقت ولو كانت اصغر لخرجت عن مسارها و ضلت في الفضاء ولو كانت تدور اسرع لقذفت كل من عليها بقوتها الطاردة ولو كانت ابطأ لتغيرت

دورة الفصول الاربعة.. ولو لم تكن مائلة 23 درجة لاصبح وسطها صحراء تحترق... وهذه أدلة غيض من فيض على النظام في الكون..

3-2-3- دليل الفطرة

الأشياء الفطرية هي التي لا تحتاج إلي تلقين ولا إلى تعليم ولا إلى اكتساب بل يولد الإنسان عليها، فالإنسان مفطور على أنه يؤمن بإله بقوة فوق هذا الكون، مجبول على أنه يميل إلى الجنس الآخر، الانسان يحب من أحسن إليه فكما قالوا جُبِلت النفوس على حب من أحسن إليها، الإنسان أسير الإحسان، الناس مفطورون على حب الصدق وكراهية الكذب، حب الأمانة وكراهية الخيانة، ويظل الإنسان سائرا فى غفلته وبعده عن الله فإذا دخل فى أزمة حقيقية تهدد جسمه بالفناء تذكر فى لحظة الكرب فطرته القديمة عندها يصرخ طالبا العون من الله ومخلصا لله تعالى دينه وعقيدته فإذا أنجاه الله من المحنة عاد إلى غفلته القديمة. والقرآن الكريم يصور إخلاص الإنسان فى الدعاء لربه حين الأزمة ثم وقوعه فى الكفر بعدها، يقول تعالى " **وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل . وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله . قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار** " "الزمر 8

فالانسان اذن فطر على الايمان.. وكل ما عليه ان يقوم به هو أن يحافظ على فطرته ولا ينسلخ عنها.. ومن هنا فقد كان الاعرابي المؤمن يؤمن بالله بسرعة لأن طبيعة حياته اقرب الى الفطرة منا.. فهو معتاد ان يلجأ الى الله في كل ازمة.. فاذا فقد الماء دعا الله ان يرسل اليه المطر واذا ضاع جمله في الصحراء دعا الله ان يجده.. واذا مرض دعا الله ان يشفيه.. اما نحن فنلجأ الى البوليس ليجد ما فقدناه.. والى الطبيب ليداوينا.. والى شركة المياه لتروينا.. وليس هذا بخطأ لو اننا نتذكر ان كل هذه الامور هي اسباب وان الشافي على الحقيقة هو الله والرازق هو الله والمنعم هو الله..

3-2-4- الدليل الاهم: الرسالة

اذا اخترعت احدى الشركات منتجا جديدا.. هل نتخيل انها تنزله للسوق بدون تعريف الناس به؟؟ ليس من المنطق ذلك بل من المتوقع ان ترسل مندوبا للشركة يدور على تجار الجملة لتعريفهم بعمل الجهاز الجديد فلابد من وسيلة اتصال بين الشركة المنتجة والعملاء الهدف , وهكذا يأتي المندوب حاملا بطاقته ونتعرف عليه بإمكانياته العلمية والأخذ بتعليماته .. ولله المثل الاعلى نحن نرى ان هؤلاء الملحدين يتجاهلون ان هذا الإله الذي نتكلم عنه .. ليس آلها ابكما او اصما.. بل هو الله الذي لا آله الا هو.. الرب الرحيم الذي ارسل رسله الينا بالحق.. فنحن لسنا بحاجة الى كل ماسبق وذكرناه من ادلة بعد ان كشف الله لنا وجود بنفسه عبر الرسل الذي ارسلهم مؤيدين بالمعجزات والبيان وداعين الناس الى عبادة الله وحده لا شريك لهم.. وهؤلاء الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه هم البشر الكمل الذين لم يعرفوا عند قومهم الا بالامانة و الصدق.. وايدوا بمعجزات باهرة عجزت عن تحديها سحرة الانس و مردة الجن.. وفي حالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد ايد بالمعجزة الخالدة.. القرآن الكريم الذي لو اصغى له اصحابنا الملحدون لأيقنوا ان الله حق.. وان ترهاتهم لن تغني عنهم شيئا يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم...

3-3- أدلة وجود الله العلمية

3-3-1- مقدمة

لما كان الملحد المعاصر لا يحبذ الادلة الفكرية الصرفة كونها غيبية بنظره ويستند على العلم كونه محسوس فلا مشكلة في ان نخاطبه بلغته الخاصة، ونرى هل فعلا يقف العلم في صفهم؟

3-3-2- العلم يرجح كفة الدين

- اصبحت معظم نظريات فرويد خارج الاستعمال.. ويركز العلم الحديث على معالجة المشاكل النفسية عبر اعادة البرمجة وتغيير النفس.. بدلا من الاهتمام بمعرفة من اين اتت هذه المشاكل.. كذلك فشلت نظرية داروين في ايجاد الحلقة المفقودة بين الانسان والقرد.. وانهارت النظرية الماركسية انهيارا ذريعا في روسيا موطنها الاصلي وفي اوروبا الشرقية ...
- اثبت قانون النسبية ان الزمن ليس مطلقا في نقض واضح لحجة الملاحدة الاساسية عن ازلية الكون.. فقبل خلق الكون لم يكن هناك زمن وبالتالي لا يوجد اي تناقض عقلي في الافتراض القائل ان الكون خلق في زمن معين.

- نظرية الانفجار الكبير البيغ بانغ.. اثبتت ان الكون ليس ازليا بل له بداية في الزمن وانه انبثق من العدم في لحظة معينة من التاريخ.. حددت بدقة علميا.. وعرف منها عمر الكون
- قانون الانتروبيا الذي ينص على ان الطاقة تفقد من زخمها عبر عمليات للتبادل الحراري يعطي فيها الجسم الحار الجسم البارد من طاقته.. وهي عملية غير قابلة للانعكاس.. بما يعني انه سيأتي يوم تصبح فيه كل الموجودات على نفس درجة الحرارة فيضمحل الكون.. فلو كان الكون ازليا للزم ان يفنى منذ زمن بعيد.. لنفاذ الطاقة التي فيه.. ويستفاد من ذلك انه ليس ابديا ايضا بل فان..
- وطبعا كثير من هذه المكتشفات مذكور في القرآن الكريم.. ليكون حجة ليس فقط على وجود الله بل على صدقية كتاب الله القران الكريم.. وهي آيات الاعجاز العلمي التي لا مجال لذكرها الآن..

3-3-3- الرد على حجة علم النفس

يقولون ان في الانسان رغبة مكبوتة في اللاوعي تدفعه الى الايمان بوجود آله قادر وقوي والى وجود الآخرة حيث يسود العدل.. ونحن نقر بهذا ونتعجب.. كيف يكون هذا الشعور الفطري دليلا على الالحاد.. وهل خيب الواقع آمال الفطرة يوما؟؟ عندما يولد الطفل الرضيع فهو يبحث تلقائيا عن ثدي امه ليرضعه.. حتى لو وضعت اصبعك في فمه لحاول ان يمتصه.. فهل فطرة الرضيع في البحث عن الثدي وهم؟؟ مثال آخر: لنفترض ان رجلا ولد وحيدا في جزيرة معزولة.. وشعر بأنه بحاجة الى مخلوق آخر يكمله ويسكن اليه واستنتج من مشاعره ان هذا المخلوق حنون و ناعم.. فهل نأتي لنقول له انت تهذي.. وان لا شيء اسمه امرأة في الكون .. نحن نعتقد ان هذه المشاعر الفطرية التي استدلوا فيها على الالحاد هي اكبر دليل على وجود الخالق وهو دليل الفطرة الذي استند عليه القرآن نفسه في قوله تعالى " **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**" (مع ذلك ومن اجل موضوعية البحث فنحن لا نلزمهم بالقبول بهذا الدليل)

3-3-4- قانون الاحتمالات ينفي امكانية الصدفة

ردا على من يدعي ان الكون تكون بالصدفة نقول : إن الرياضيات التى تعطينا نكتة "الصدفة" الثمينة، هى نفسها التى تنفي أى إمكان رياضي في وجود الكون الحالى، بفعل قانون الصدفة. لقد استطاع العلم الكشف عن عمر الكون وضخامة حجمه، والعمر والحجم اللذان كشف عنهما العلم الحديث غير كافيان فى أى حال من الأحوال، لتسويغ إيجاد هذا الكون عن قانون الصدفة الرياضى. ولنتأمل الآن في أمر هذا الكون، فلو كان كل هذا بالصدفة والاتفاق، فكم من الزمان استغرق تكوينه بناء على قانون الصدفة الرياضي؟ إن الأجسام الحية تتركب من "خلايا حية "، وهذه (الخلية) مركب صغير جدا، ومعقد غاية التعقيد، وفي الكون أكثر من مائة عنصر كيماوى، كلها منتشرة فى أرجائه، فاية نسبة فى تركيب هذه العناصر يمكن أن تكون فى صالح قانون الصدفة؟ أيمكن أن تتركب خمسة عناصر – من هذا العدد الكبير – لإيجاد "الجزئ البروتيني" بصدفة واتفاق محض ؟ ! وهل نستطيع أن نتصور شيئا عن المدة السحيقة التى سوف تستغرقها هذه العملية. لقد حاول رياضي سويسرى شهير أن يستخرج هذه المدة عن طريق الرياضيات . . فانتهى فى أبحاثه إلى أن (الإمكان المحض) فى وقوع الحادث الاتفاقى – الذى من أنه أن يؤدى الى خلق كون، إذا ما توفرت المادة – هو واحد على 10 مرفوعة الى 160 ضعفا وبعبارة أخرى: نضيف مائة وستين صفرا الى جانب عشرة ! ! وهو عدد هائل لا يمكن وصفه فى اللغة. إن إمكان حدوث الجزئ البروتينى عن (صدفة) يتطلب مادة يزيد مقدارها بليون مرة عن المادة الموجودة الان فى سائر الكون، حتى يمكن تحريكها وضخها، وأما المدة الى يمكن فيها ظهور نتيجة ناجحة لهذه العملية، فهى أكثر من 10 مرفوعة الى 213 ضعفا.

3-3-5- ادعاء الملحد ان "الله خرافة"

يدعي الملحد ان فكرة وجود الله غريبة.. وأن المؤمن شخص غبي يؤمن بالخرافات.. ولكن لو تمعنا في الامر فسنكتشف ان اكبر سخافة او خرافة هو ان نظن ان العالم خلق بالصدفة.. يقول عالم الطبيعة الأمريكى " جورج إيرل ديفيس " : "لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه، فإن معنى ذلك أنه يتمتع باوصاف الخالق، وفى هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله .. وهكذا ننتهي

إلى التسليم بوجود (الإله) ؟ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا: إلها غيبيا وماديا فى آن واحد ا ! إننى أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذى خلق العالم المادى، وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكمه ومديره ومدبره، بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات.

3-3-6- ادعاء الملحد ان جهلنا بطريقة نشوء الكون لا يستدعي اختراع لغز ثاني اسمه الله..

نقول ان ادعاءهم لماذا لا نتوقف عند الكون دون ان نخترع حجة اضافية هو ادعاء سخيف.. كمن يأتي اليك بسلحفاة و يقنعك انها ستسبق الغزال.. والحال انك تعرف السلحفاة وتعرف امكانياتها.. في حين انك ممكن تقبل ان يقول لك هناك كائن لا تعرفه انت ممكن يسبق الغزال.. ولله المثل الاعلى.. لا يمكن قبول حجة ان الكون بدأ بلا سبب او علة.. لأننا اطلعنا على الكون وعرفنا خصائصه وقدراته.. اما الله فهو غيب لم نطلع عليه ولا يستوعب عقلنا ذاته وصفاته.. فالمقارنة مرفوضة..

3-4- من خلق الله؟

3-4-1- مقدمة

وصلنا في الفصول السابقة الى ضرورة وجود خالق للكون ولكن السؤال الذي يطرحه الملحدون عند هذه النقطة بهدف حشرنا في زاوية ضيقة هو: من خلق الله؟ " وهو سؤال تنبأ به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول الله، فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فقولوا: آمنا بالله ورسوله

3-4-2- معنى الزمان والمكان

افترض انك في غرفة وتخيل انك ترمي ما فيها من اثاث ومن ستائر وانك افرغتها من كل شيء.. ماذا يبقى؟؟ تبقى الجدران.. وماذا لو الغينا الجدران؟؟ لا يبقى شيء.. الا الفراغ.. المكان.. لا تستطيع ان تلغي المكان لأن العقل البشري (كما قدمنا,.) لا يستطيع الا ان يفكر في داخل نطاق الزمان والمكان.. فكيف يلغي الزمان مثلا.. وعملية التفكير نفسها تحتاج للزمن.. ومن هنا كان الوهم عند البشر ان المكان والزمان اشياء مطلقة.. واجبة الوجود ولا يتخيل عدم وجودها.. حتى لو لم يكن هناء اشياء تسبح فيها.. وبين العلم الحديث خطأ هذه النظرية حينما نسفها انشتاين مع نظرية النسبية فاثبت ان المكان والزمان ليست مفاهيم مطلقة منفصلة عن الاجسام .. بل هي تتمدد وتتقلص معها وكانها خاصيات لها... كأنها الوان او اسماء او مقاييس.. وبغض النظر عن هذه النظرية العلمية.. فقد ثبت عقلا مع الغزالي ان الزمان والمكان ما هي الا خاصيات للاجسام.. فاذا زالت الاجسام لم يكن هناك من لزوم لوجودها.. ولكن العقل لا يستطيع تصور انعدام المكان والزمان لأنه عقل بشري.. لا يحيط الا بما يصله عن طريق الحواس.. والحواس لم تنقل أي موجود الا ضمن زمان ومكان..

3-4-3- ما هو معنى الازلي؟

إن جميع مدارك الانسان انما هي وليد تصوراته والتصورات انما تتجمع في الذهن عن طريق نوافذ الحواس الخمس وهذا يعني ان الانسان لا يعقل من المجردات الا ما له مقاييس ونماذج حسية في ذهنه.. فما لم يسبق له في ذهنه أي نموذج او مقياس فإن من المحال بالنسبة اليه ان يتصوره او يدركه.. ومن هنا صعوبة تصور صفة أزلية الله أو قدم الله .. ما هو مفهوم صفة القدم.. أو الأزلية.. القدم معناه عدم وجود أول له سبحانه وتعالى.. ودليله من القرآن: **{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}**الحديد3.. ودليله عقلا.. انه لو كان له بداية أي مسبوقا بعدم لوجب ان يكون هناك مؤثر في ايجاده.. ومحال ان يكون مع ذلك آلها..

3-4-4- هل الكون ازلي؟؟

في الحقيقة دارت نقاشات حامية عن هذا الموضوع قديما.. وكان من جملة المفارقات – اي الاشياء التي ظاهرها متناقض– الصعبة بنظر عدد كبير من الفلاسفة.. إذ لو افترض أن الكون أزلي أي ليس له بداية.. ما أمكن أن نصل الى هذه اللحظة الآنية التي نعيش فيها.. بمعنى أن الزمن المنقضي بين لحظة بداية الكون واللحظة الآنية التي نعيش فيها هو لا نهائي وهذا محال لاستحالة التسلسل اللانهائي.. وبالمقابل لو افترض ان له بداية.. لما استطاع العقل ان يتصور الا ان يكون مسبوقا بزمان أي ان هناك شيء قبله.. ويستتبع من هذا – برأي الفلاسفة – أن الله انتظر زمنا لانهائيا حتى يخلق الكون وهذا محال.. واول من نجح في حل هذه المعضلة العويصة كان حجة الاسلام الإمام الغزالي إذ كان أول من نفى أن الزمن مطلق فقال " قبل بدء الكون لم يكن

هناك شيء.. وبالتالي لا حاجة للزمن.. فلا معنى للسؤال ماذا كان قبل خلق العالم؟؟ ولا معنى للادعاء ان الله انتظر زمنا لانهائيا حتى خلق الكون.. اذ ليس الله بحاجة للزمن.. لأنه لا يتغير.. ولا يتبدل.. والزمن هو وسيلة لقياس المتغير... وبدون متغير لا معنى له".. نعم لقد سبق هذا المفكر العظيم انشتاين ببضعة قرون في اكتشافه نسبية الزمن.. بمطلق الاحوال معظم العلماء اليوم يقرون بأن للكون بداية حسب نظرية البينغ بانغ او الانفجار العظيم.

3-4-5- الفرق بين الازلي والابدي..

تبقى نقطة واحدة.. وهي ان الازلي هو ما لا بداية لوجوده.. وما لا بداية لوجوده لا يمكن الا ان يكون خارج الزمن.. اذ لو كان متعلقا بالزمن.. وكان لا بداية لوجوده فمعناه انه يستحيل ان يصل الينا.. وهذا ما يعرف ببطلان التسلسل اللانهائي.. وكأنك تقول.. كل دجاجة اتت من بيضة وكل بيضة اتت من دجاجة.. دون ان تعترف انه في البدء كان هناك اما بيضة او دجاجة.. وهذا محال..

اما الابدي.. وهو الذي لا يفنى.. فمن الممكن ان يكون صفة للمخلوقات.. ولكن ابديتها في هذه الحالة تختلف عن ابدية الله.. فابديتها مرهونة بالزمن وبمرور الزمن.. صحيح انها لا تفنى ولكن الزمن يمر عليها.. اما ابدية الله فغير متعلقة بالزمن..
قد يسأل سائل.. لماذا فرقنا بين الازلية والابدية.. لماذا يكون الانسان ابديا او الجنة ابدية ولا يكون ازليا.. والاجابة ببساطة هي: ان الزمن يجري من الماضي الى المستقبل.. لذا نقبل منك ان تقول انك ستظل تمشي الى ما لا نهاية.. ولكن لا نقبل منك ان تقول اتيت من اللانهاية.. فان لم تكن – أيها المخلوق– قد انطلقت من نقطة زمنية معينة فمستحيل ان تصل الينا.. اذن الفرق واضح.. نقطة البداية لا يمكن الا ان تكون محددة لأننا انطلقنا منها.. اما نقطة النهاية فمن الممكن الا تكون محددة.. لأننا لم ولن نصل اليها...

3-4-6- قوانين المخلوقات لا تنطبق على خالق المخلوقات

و كتب العقيدة حافلة بالرد على هذا السؤال واجملها ما ورد في كتاب "حوار مع صديقي الملحد" : "من يفكر بهذه الطريقة يشبه اللعبة التي تمشي بالزنبرك وتظن أن صانعها ولا شك يمشي بالزنبرك.." والمعنى واضح: لا نستطيع نحن البشر المتغيرون الزائلون وكل ما حولنا من مخلوقات متغير وزائل و متحرك ان نطبق نفس القوانين التي تنطبق علينا على الله. ذلك ان التفكير بهذه الطريقة مرده الى محدودية العقل البشري الذي لا يستطيع ان يتخيل او يحيط بموجود لا تحكمه قوانين المكان والزمان.. ولكن الله عز وجل لا تحكمه هذه القوانين.. فهو الذي خلقها.. فبالتالي يستحيل تشبيه الله بمخلوقاته المتغيرة من بشر و سماء وأرض.. والقوانين التي تنطبق علينا لا تنطبق عليه.. تماماً كما لا تطبق علينا قوانين الألعاب التي نصنعها.. وهذا معنى قوله تعالى: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ{1} اللَّهُ الصَّمَدُ{2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ{3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ{4} [الإخلاص]**.. فمن غير الله يستطيع ان يدعي انه لم يولد ولم يكن له بداية؟

3-5- هل وجود الشر دليل ينفي وجود الله؟

3-5-1- مقدمة

يسأل الملحد: لماذا وجد الشر؟ كيف يمكن أن نعتقد بوجود إله قادر، وخير، ونعتقد في الوقت نفسه بوجود الشر؟ لماذا لا يزيل الشر؟ ما دام يعرف الشر الذي حدث وسيحدث ويستطيع منع ذلك متى شاء فلم لم يفعل ذلك؟ وما دام يعرف مصير كل إنسان سلفا فلم يعاقبه أو يكافئه؟ ولم يعاقب الذنوب المنتهية بعقوبات لا نهائية، مع أن أبسط مقومات العدل أن تكون العقوبة على قدر الجريمة. وسنكتفي في هذا الفصل بمناقشة قضية الشر تاركين قضية التسيير والتخيير والعقوبة الابدية الى فصول لاحقة تتحدث عن صفات الله في النظرة الاسلامية.

3-5-2- الخير والشر نسبيان

الخير و الشر قيم نسبية نحكم عليها من مفهومنا القاصر من خلال **الاحداث و المصائب** التي تلمّ بنا وأقول نسبية لأن بعض الأضرار التي تصيبنا قد تجر علينا الخير فيما بعد و العكس ايضا صحيح، فقد نرزق بنعمة فيها خير ظاهريا ولكنها شر في الحقيقة **{عسى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}البقرة216**

يقول لايبنز في هذا المضمار" الكون لوحة كبيرة و الظلال فيها هي التي تعطي القيمة للانوار فلو كانت الالوان كلها باهتة لما تكونت هذه اللوحة ونحن عندما ننظر الى الشر الذي يصيبنا فكأننا ننظر الى تفصيل صغير من تفاصيل هذه اللوحة و لكن لو اعطيت لنا قدرة النظر الشمولي لرأينا ان هذا التفصيل الداكن انما يساهم في تكامل اللوحة و غناها." وهذه فكرة جميلة جدا نستعملها لنقوي عزيمة الناس الذين يتلقفون المصيبة على انها شر مطلق فنقول لهم لا تدرون لربما اذا رأيتم قصة حياتكم كلها (بما فيها المستقبل و الآخرة) لرأيتم ان ما ظننتموه مصيبة حمل اليكم الخير.

وهناك قصة من التراث الإنساني تحكى قضية رجل من الصين، وكان الرجل يملك مكانا متسعا وفيه خيل كثيرة، وكان من ضمن الخيل حصان يحبه. وحدث أن هام ذلك الحصان في المراعي ولم يعد ، فحزن عليه ، فجاء الناس ليعزوه في الحصان ، فابتسم وقال لهم : ومن أدراكم أن ذلك شر لتعزوني فيه ؟ وبعد مدة فوجئ الرجل بالجواد ومعه قطيع من الجياد يجره خلفه، فلما علم الناس ذلك جاءوا ليهنئوه، فقال لهم : وما أدراكم أن ذلك خير، فسكت الناس عن التهنئة. وبعد ذلك جاء ابنه ليركب الجواد فانطلق به، وسقط الولد من فوق الحصان فانكسرت ساقه، فجاء الناس مرة أخرى ليواسوا الرجل فقال لهم: و ما أدراكم أن ذلك شر؟ وبعد ذلك قامت حرب فجمعت الحكومة كل شباب البلدة ليقاتلوا العدو وتركوا هذا الابن لأن ساقه مكسورة، فجاءوا يهنئونه، فقال لهم ومن أدراكم أن ذلك خير؟ فعلينا ألا نأخذ كل قضية بظاهرها، إن كانت خيرا أو شرا، و لكن علينا أن نأخذ كل قضية من قضايا الحياة في ضوء قول الحق: **{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }**الحديد23

3-5-3- الحسن والقبيح

الحسن أو القبح ليس له جذور ذاتية مرتبطة بذات الشيء بحيث لايمكن الانفكاك عنه ، وإنما هو معنى استتبع حكما من أحكام الله عز وجل ، ولو شاء الله لجعل الحسن قبيحا والقبيح حسنا ، مادام الكل بخلق الله وحكمه .

و نحن من شدة ما إلفنا الترابط الذي خلقه الله بين الأشياء وخواصها ، نظن أن معنى الحسن أو القبح قد غدا كامنا في ذات كل منهما فهما لاينفكان بعضهما عن بعض فاذا أدركت هذه الحقيقة إدراكا جيدا ، علمت أن الله تعالى ليس مجبورا في خلقه وفي حكمه على أي شيء . فجائز على الله تعالى أن لايثيب الطائع ويعذبه ، وأن لايعذب الكافر ويثيبه . ولا يقال إن ذلك مناف للحكمة والمصلحة ، لأن الذي جعل الشيء حكمة أو مصلحة هو الله عز وجل ، فلا يعقل أن يتصف شيء من أفعاله بأنه مناف للمصلحة . غير أننا نقول : إن الله كتب على نفسه في صريح كتابه ، ان يثيب الطائع ، لطفا منه ورحمة . فلا بد أنه سينفذ وعده لأنه أخبرنا بذلك ولأنه أصدق الصادقين، ولأنه جعل الصدق بشرعه حسنا والكذب قبيحا .

3-5-4- لا يجب على الله شيء

يقول المعتزلة ان الله خلق افضل عالم ممكن و انه يجب عليه (و بعضهم قال منه) الاصلح. ذلك بأنهم قضوا بأن الجواد لا يجوز له ان يدخر شيئا لا يفعله فما ابدعه واوجده هو المقدور له. ولو كان في علمه ومقدوره ما هو أحسن واكمل مما أبدعه نظاما وترتيبا وصلاحا لفعله، لأنه جواد والجواد لا يبخل على المخلوقات بما فيه صلاحها. اما الغزالي فانه لم يأخذ بهذا الرأي الذي أخذت به المعتزلة، لانه لو أخذ به لجعل ارادة الله مقيدة بما فيه صلاح الانسان وخيره.

فالغزالي يفند أراء المعتزلة فيقول: كيف يجب التكليف على الله وهو الآمر الناهي، لا بل كيف يمتنع عليه تعذيب من يشاء بغير جرم سابق، وهو الملك المتصرف في ملكه، والمتصرف في ملكه لا يدعى ظالما، ثم كيف يجب عليه رعاية الأصلح لعباده، وهو مطلق الارادة، لا يسأل عما يفعل. قال الغزالي: " وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله برعاية الاصلح عن مسألة نعرضها عليه، وهو ان يفرض مناظرة في الأخرة بين صبى وبالغ كانا مسلمين، فان الله يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبي، لأنه تعب بالايمان بعد البلوغ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلى، فلو قال الصبي: يا رب لم رفعت منزلته على؟ فيقول: لأنه بلغ واجتهد

في الطاعات، فيقول الصبى أنت أمتني في الصبا، فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد، فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني، فلم فضلته؟ فيقول الله : لأني علمت انك لو بلغت لاشركت أو عصيت، فكان الاصلح لك الموت في الصبا، هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل، وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى، ويقولون : يا رب! أما علمت اننا إذا بلغنا اشركنا، فهلا امتنا في الصبا، فانا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم، فبماذا يجاب عن ذلك، وهل يجب عند هذا الا القطع بان الأمور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال.

3-5-5- خلق الشر لا ينافي كمال الله

ليس من صفات النقص التي علمنا أن الله منزه عنها ، أن يكون قد خلق القبيح والضار في الكون . لأن من صفات الكمال الثابتة لله أنه يخلق ما يشاء دون أن يصده عن ذلك أي شيء ، قوة كان أوعرفا أوقانونا . وليس خلقه لأصناف الموجودات من قبيح وحسن وضار ونافع إلا مظهرا لهذه الصفة الكاملة . ولكن المنافي لصفة الكمال والمستلزم للنقص ، أن يقال إنه اكتسب القبيح أواتصف به . وفرق كبير بين هذا وذاك . ليس نقصا في ذات الله أن يخلق العجز في الكون متمثلا في شتى المظاهر ، ولكن النقص أن يتصف هو بشيء من العجز . وليس قبيحا أن يخلق الله الكذب (ظاهرة يتصف بها بعض الناس) ولكن القبيح أن يتلبس هو بشيء من هذا الكذب الذي خلقه، لا لأنه قبيح بحد ذاته عقلا ، فقد أثبتنا بطلان ذلك ، ولكن لأنه متلبس بمعان ومستلزمات لاتتفق ومصالح العباد ولأن الله جعله بشرعه قبيحا . فلا يمكن أن يتصف البارئ جل جلاله به .

3-5-6- الظلم هو ان تتصرف بشيء يخص غيرك دون رضاه

ولاينبغي أن يلتبس عليك الأمر فتقول : وإذا فلا ينبغي أن يعذب الطائع ، أو يبتلي الناس بمصائب دون جريرة اقترفوها والا كان هذا ظلما- لأن الظلم هوأن تتصرف بشيء يخص غيرك بدون رضاه ، فهذا هو الذي قبحه الشرع . أما تصرف الله عز وجل بمخلوقاته ، فليس من ذلك في شيء ، بل هو إنما يتصرف بملكه الذي له المشيئة المطلقة فيه كما لا يخفى عليك . والشبهة إنما تطوف بذهنك ، بسبب قياسك ذات الله تعالى على نفسك وعلى ما تواضع عليه عرف الناس في مجتمعاتهم ، فهذا الذي تواضع عليه عرف الناس إنما هو جزء يسير جدأ من تكوين الله وخلقه ، ولايمكن بحال من الأحوال أن يكون أي جزء من أجزاء هذه المخلوقات حاكما على إرادة الخالق وتصرفاته.

3-5-7- في وجود الخير والشر حكمة

على أن هذا الذي تراه في الكون من مظاهر البؤس والابتلاء والمصائب التي يصاب بها كثيرمن الناس ، والتي يسميها البعض حسب اصطلاحنا في التعامل مع بعضنا (ظلما) ينطوي على حكم ومصالح قد تغيب عنا ، وليس من شرط صحتها أن نكون على علم بها واطلاع عليها. لأنه ليس من شرط مشروعيتها أن توقع عقولنا عليها بالموافقة والرضا . وحسبك مظهرا من مظاهر الحكمة أن تتأمل قوله تعالى : **و نبلوكم بالشر و الخير فتنة و الينا ترجعون.**

3-5-8- وجود الشر ليس دليلا على نفي وجود الله

يقول الشيخ محمد الغزالي بخصوص السؤال المطروح: "إن هذه الأسئلة الطفولية ذكرتني بقصة طريفة، فقد وضعت اختبارا لأحد الصفوف الدراسية، ويبدو أن أحد الطلاب لم يكن مستعدا ، فخرج يقول : لو كان الأستاذ رجلا صالحا كما يزعمون ما وضع هذه الأسئلة الصعبة ! إن الطالب البليد أنكر صفة الصلاح فقط، ولو كان فيلسوفا على النحو الذي رأينا لأنكر وجودي كله ! ! الله يقول عن ذاته وعن عمله : **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{1} الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ{2} [الملك] ويقول: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }الأنبياء35**، فهل نقول له : ما دمت تختبرنا فسننكر وجودك!! "

3-6- لماذا يهتم الله بالتفاصيل؟

3-6-1- مقدمة

يقول الملحد: نأتي الآن للصفات الشخصانية للإله، أتفق مع المؤمنين هنا أنه لا شيء يمنع عقلا من وجود شخصية تغضب وترضى وتمكر وتهزأ وتفضل بعض الناس على بعضهم الآخر وتحب وتكره ويهمها الرجل التي أدخل بها الحمام واليد التي آكل

بها إلخ، فالقدرة المطلقة والمعرفة المطلقة لا تنفي كل ذلك. لكني مع ذلك لا أملك إلا أن أفكر: هل الإله صغير إلى هذه الدرجة ؟ هل من خلق كونا عرضه آلاف السنوات الضوئية وفيه مليارات المجرات يهمه كيف أبول وأتغوط وأغتسل ؟ ويحاسبني على ذلك ؟ إلا يشكل هذا امتهانا واضحا للإله العظيم ؟ بل ألا يشكل هذا امتهانا حتى للبشر ؟ إذ نقول عمن يهتم بهذه الأمور أنه ضيق الأفق ويهتم بالتوافه من الأمور؟ أليس من المنطقي أكثر افتراض أن هذه الصفات هي انعكاس لشخصية من خلق هذا الإله ؟ حيث أن ضيق الأفق يتصور أن كل الناس ضيقي الأفق مثله واللص يتصور أن كل الناس لصوص مثله ولا يثق بأحد والخير الطيب يتصور أن كل الناس أخيار مثله ويستحقون الثقة ؟

3-6-2- تنزيه الله عن الاحاطة بالتفاصيل فلسلفة اغريقية قديمة

وجد من ردد هذه الحجج من آلاف السنين: اي ان الله لأنه كامل فلا يمكن ان يتصل بالناقص ولذلك اخترعوا نظرية الفيض حيث ان الله على زعمهم تفكر بذاته فنشأ عن ذلك التفكر العقل وهذا العقل هو الذي يتصل بالعالم.. اما النظرية الاسلامية فتقول ان الله خالق كل شيء ولا يعتبر الخلق عملية اتصال حتى يتدنس الخالق به فهو يخلق الناقص ويظل كاملا.

3-6-3- الله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً:

كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى فقد خلقه بعلمه، ولا يعزب عنه من خلقه سبحانه صغير ولا كبير في كل لحظة وآن، فمخلوقات الله سبحانه وتعالى جميعها بدءاً من الذرة الصغيرة وما دونها، ونهاية بالمجرة الكبيرة وما فوقها، من السموات والعرش والكرسي، وما شاء الله أن يكون كل هذه المخلوقات مخلوقة موجودة بعلم الله **{وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها}** أين تضع بيضها وأين تخفي صغارها، وأين تخزن قوتها. وقال تعالى: **{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين* وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون}**

3-6-4- صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين ولو استعمل نفس اللفظ

إن صفة المكر في حقه سبحانه، كصفة المخادعة في قوله: **{ وهو خادعهم }** (النساء:142) وصفة الاستهزاء في قوله: **{ الله يستهزىء بهم }** (البقرة:16) فكلها صفات كمال في موضعها، وصفات نقص في غير موضعها؛ ولهذا لم يصف الله سبحانه بها نفسه وصفاً مطلقًا، وإنما جعل ذلك مقيدًا بمن يستهزيء به سبحانه وبعباده، ومن المهم أن نقول ايضا: إن كل صفة ، سواء كانت مطلقة أم مقيدة، إذا أضيفت إلى الله تعالى فإنها لا تماثل صفات المخلوقين، بل هي على ما يليق به جل جلاله .

3-6-5- فليدلنا الصديق الكريم اين يهتم القرآن الكريم بسفاسف الامور!!!

ثم انك ان قرأت القرآن الكريم كله لا تجده يهتم بسفاسف الامور ابدا كما ادعى الملحد ولا يدخل في التفاصيل ابدا خلافا لكتب اهل الكتاب المنحولة.. لا يدخل القرآن الكريم حتى في تفاصيل كيفية الصلاة فهل تراه يتدخل في كيفية الاستنجاء مثلا؟؟ بل كل آيات القرآن الكريم توحي بالعظمة: **اتى امر الله فلا تستعجلوه.. الرحمن على العرش استوى.. يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم..** وحتى حين يذكر القرآن الكريم التفاصيل الخاصة بما يستحى في العادة التصريح به فهو يذكرها بأرق الالفاظ: **وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض – نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم – فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا.**

3-6-6- السنة تعلمنا الاداب والطهارة

رأينا ان هذه الامور التي يعتبرها الملحد سفاسف لم تذكر في القرآن الكريم ولكنها ذكرت في الحديث الشريف وقطعا نحن لا نعتبرها سفاسف أو تفاهات.. بل كلها امور متعلقة بالآداب العامة والنظافة علمنا اياها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لأنه يقف من امته موقف الاب والمعلم.. ولو ان الغرب هو الذي ارسى هذه الاخلاقيات لمدحوا فيها وقالوا عنها "اتيكيت" ولياقة اجتماعية ولكن كونهم يكرهون الاسلام فهم يكرهون كل ما يمت اليه بصلة.

3-6-7- المندوب يثاب عليه المرء ان قام به ولا يعاقب ان تركه.

على اننا لا نرى مصدر الادعاء الكاذب بان الله يدخل الناس الجنة والنار وفقا لتطبيقهم هذه الادبيات ام لا.. فمن تتبع القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يرى الوعيد والويل لمن يخالف هذه الآداب.. وقد اتفق العلماء ان هذه الامور من الامور المندوبة التي يثاب عليها المرء ان فعلها ولا يعاقب ان تركها الا ما يتعلق منها بما يخالف الاخلاق او ما له ضرر نفسي وجسدي كقضية التنزه من البول او الجماع في فترة الحيض...

الباب الرابع: مناقشة المتشكك والباحث عن الحق

تمهيد

بعد ان حددنا كيفية التعامل مع الملحد دعونا نحدد كيفية التعامل مع الباحث عن الحق الذي قد يكون من دين آخر او مسلم غير مقتنع تماما بدينه بل حائر فيه... وننطلق في نقاشنا معه من تجارب عملية عشناها مع بعض الاخوة ممن تنطبق عليهم هذه المواصفات وممن استفادوا من حوارنا معهم والحمد لله.

4-1- بين العقل والدين؟

4-1-1- مقدمة

نطرح هذا السؤال لأن بعض الاخوة استغرب كلامنا ان على العقل ان يتأقلم مع اوامر الدين واحكامه وقضاياه بما يوحي ان بينهما تعارضا.. والجواب ان مصطلح العقل مبهم.. فهو يطلق في العادة على امور ثلاثة:

- ادلة المنطق وهي قوانين عقلية منطقية كعدم جواز اجتماع النقيضين وقانون السببية وهذه لا خلاف فيها ان العقل يتوافق فيها مع الدين..
- ويمكن أن يطلق على العقل الشخصي التابع لكل انسان وهو ما نسميه نحن بالهوى ويسميه آخرون بالشخصية او العقلية او الطبع.. ولا خلاف هنا ايضا في ان هذا المجال مرفوض ومتعارض مع الاسلام.. فالإنسان قد هوى جمع المال مثلا فتتركب عقليته حول هذه الرغبة وينطبع منطقه بهذه النفسية.
- ويبقى الاشكال الاخير في موضوع العقل الجماعي للبشرية والناشيء من مزيج من الفطرة السليمة ومن ضمير المجتمع الاخلاقي.. وهذا العقل يجب ان يطوع ليتناسب مع الحكم الآلهي بما يتضمن من اوامر ونواهي واخبار من رب العالمين.. ذلك لأن هذا العقل هو ميزان ناقص.. لا يرى كل الامور.. وهو عقل مربوط بامور مادية محسوسة يصعب ان يخرج منها او عليها..

4-1-2- القصاص: انساني ام رباني

ما اجمله من قول لتوضيح الفكرة التي نتكلم عنها ما نقله لي احد الاخوة حينما سمع من احد المبشرين كلام نقد عنيف حول العقوبة القاسية للزاني حيث قال المخالف: هذه ليست عقوبة انسانية فاجابه الاخ ببرودة اعصاب: صدقت.. انها عقوبة ربانية.. ومن هذه الملاحظة الدقيقة نستطيع ان ندرك اسباب ضلال كثير من الناس –حتى ذوو النية الصافية– حين حاولوا فهم الاسلام كنظام قبل ان يفهموه كعقيدة .. فاصطدموا بصخور الحكمة الربانية الخفية التي تباينت مع افهامهم البشرية للمثل والفضائل.. فحد الزنا ان تمعنا فيه نجد ان هدفه الاساسي منع انتشار الفاحشة في المجتمع والجهر بها لانها تقود الى انهيار المجتمع وانحلاله فالشروط القاسية لاثبات هذا الحد ومنها ان يشهد اربع رجال عين فعل الزنا لا تتأمن في العادة الا ان كان الزاني يفعل ذلك على قارعة الطريق وقس على ذلك بقية الحدود حيث ان هدفها الاساسي هو الردع فيكفي ان تقطع بضعة ايدي حتى يرتدع المجتمع خاصة في حال وجود تكافل اجتماعي كالتكافل الموجود في الاسلام.

4-1-3- هل كل اسماء الله وصفاته تعرف بالفطرة؟

بداية يهمنا ان نوضح اننا لن ندخل في الخلاف الاصطلاحي المعروف في علم العقيدة بين الاسماء والصفات بل هما في هذا البحث مترادفين فحينما اقول الحليم اسم من اسماء الله معناها انه يتصف بصفة الحلم والعكس بالعكس.. وسؤالي ان افترضنا ان العقل يستطيع ان يحكم بوجود بضعة صفات لله مثل القدرة والعلم فهل له ان يكتشف وحده وجود صفة التكبر والجبروت؟؟ ولو لم يخبرنا الله عن نفسه انه يمكر ويكيد وينتقم ويضحك فهل كنا لنستعمل هذه الصفات بحقه؟؟ اعتقد ان الجواب هو لا.

طبعا يهمني ان اؤكد ان كل هذه الصفات بعيدة عن صفات المخلوقات والبشر فلا يليق بكمال الله التشبيه وبعيدة عن مفهوم الظلم كذلك فالظلم لا يليق بكمال الله.. ولكن هذا لا ينفي مع ذلك ان معرفتها ليست فطرية بديهية ابدا بل هي مما اخبرنا بها الله عن نفسه ولهذا نقول ان صفات الله واسماءه توقيفية فلا نستعمل بحقه الا ما استعمله لنفسه...

4-1-4- هل خلق الله اصلح عالم ممكن ؟

طبعا هذا سؤال حير الفلاسفة الايمانيين وعلماء الكلام قديما وحديثا حيث ذهب البعض منهم ان الله خلق افضل عالم ممكن ففي نظرهم يؤدي الاخذ بالاحتمال المعاكس الى نقض كمال الله اذ لا يتصور من الإله الا ان يأتي بالأفضل.. وهو كلام ظاهره سليم غير ان الواقع يناقضه فالانسان ممكن أن يتخيل دوما ان هناك عالما افضل من عالم ليس فيه شر مطلقا ولا عقوبة.. عالم ملائكي طوباوي.. وبالتالي فهناك خطب ما في هذا التقرير يجب ايضاحه الا وهو ان الخير الحقيقي والحسن الحقيقي هو ما حسنه الله والسيء هو ما حكم الله عليه بأنه سيء.. فاذا انصعنا لهذا المفهوم تصبح الاجابة على سؤال "هل خلق الله افضل العوالم الممكنة" مفروغا منها فالحسن بهذه النظرة هو ما حسنه الله لا ما حسنه عقلنا الانساني.

ومن ابلغ الامثلة على ما نقول رد الامام الغزالي على المعتزلة الذين فرضوا العقل حاكما على كل شيء. والمثال ذكرناه سابقا ومختصره ان العقل البشري لا يستطيع ان يحيط بحكمة الله ومشيئته.

4-1-5- مسائل متشعبة اخرى

من المسائل المتشعبة ايضا مسائل هل الانسان مخير ام مسير؟ ولم خلق الله ابليس؟ ولم تكون عقوبة الكافر الخلود في نار جهنم رغم انه لم يعص ربه الا مقدار عمره؟؟ وهذه كلها اسئلة نجد كمسلمين حلولا منطقية وعقلانية لها ولكن الامر الوحيد الذي لا نستطيع الاجابة عليه هو "لم اختار الله ان تكون الامور بهذا الشكل؟" فهو يدخل في علم الله تعالى الذي لم يطلعنا عليه: "**لا يسأل عم يفعل وهم يسألون**"

4-1-6- الخلاصة: ضرورة الاحتكام إلى الدين:

بما ان كلمة عقل مبهمة كما قدمنا فسنستبدلها بعبارة "عقل انساني" فنقول ان هذا العقل الذي سبق وعرفناه انه نتاج الفطرة السليمة و الضمير الاجتماعي الصادق يتوافق مع الاحكام الربانية في امور ويتباين معها في امور اخرى.. وفي تلك التي يتباين فيها عليه ان يبذل جهودا كي يكيف نفسه معها.. جهود شبيهة بتلك الجهود التي تبذلها المرأة التي تزوجت حديثا كي تتكيف مع عالم الرجال.. طبعا ولله المثل الاعلى..

فمن الامور المتوافقة مثلا:

1- الاحساس بالنقص والحاجة الى الدين.

2- استبشاع الظلم والسرقة وسفك الدماء والشذوذ الجنسي..

3- التوق الى عالم مثالي يثاب فيه المحسن ويعاقب المسيء..

ومن الامور المتباينة:

1- ميل الانسان الفطري الى التفلت من اي قيد..

2- ميل الانسان الى المساواة حتى لو كانت ظلما في المدى الغير منظور احيانا (مثل المساواة بين الرجل والمراة، المساواة بين الطبقات الاجتماعية)

3- ميله الى تغليب صفات الجمال عند الله والغفلة عن صفات الجلال

طبعا استعمل كلمة تباين لا تعارض لان التعارض يوحي بالتضاد الابدي فيما كلمة تباين هي مجرد اختلاف يجري تضييقه مع الوقت ومع ازدياد الايمان... ومع كل هذا التوضيح نشعر ان كلامنا هذا قد يثير اعتراضا عند البعض الذي يميل الى تبسيط كل امور الدين وحيثياته عبر تصويرها امورا فطرية جبل الانسان على معرفتها .. وردنا على هؤلاء ان لو كان الحال كذلك فما حاجتنا الى الرسل؟؟ ولم ينزل الله علينا الكتب والاحكام ؟ ولم يخبرنا عن اسمائه وصفاته؟ ولم يخبرنا بطرق العبادة التي يريدها منا؟

4-2- اسباب رجحان عدد الكافرين على عدد المؤمنين

4-2-1- مقدمة

مر معنا في فقرة سابقة ان عدد الكفار اكبر من عدد المؤمنين والسؤال من المتشكك : كيف ينتشر الكفر الى هذه الدرجة ان كان الاسلام بديهيا وان كان الاسلام هو الحق؟ وهو سؤال قد يطرحه الملحد ايضا بغرض الاستهزاء بصفة القوة عند الله حيث ينسبون الى الله والعياذ بالله فشله على ايصال رسالته الى الناس. لكننا سنركز الآن على اجابة المتشكك تاركين الاجابة على سؤال الملحد الى تطبيقات هذا الكتاب.

4-2-2- الايمان غيبي والدنيا محسوسة

والحس عند اكثر الناس تأثيره اقوى من الشيء الغيبي من اجل ذلك تجد ان الانسان يمتنع عن اكل اللحم لمجرد ان سمع بمرض جنون البقر ولا يمتنع عن الكبائر والكفر مع ان عقابها متيقن اولا وشديد ثانيا. يفكر في حياة الحشرات وحركة الكواكب لانها ملحوظة امامه على رغم انها ليست امورا مصيرية .. بينما يهمل التفكير في سبب وجوده على الارض مع كونه امرا مصيريا لمجرد غياب تبعات هذا الامر عن ناظريه.

4-2-3- الشهوات والاهواء تغلب العقل..

تقول الآية الكريمة "**كتب عليكم القتال وهو كره لكم**" ويقول الحديث الشريف (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) . فكل ممنوع مرغوب ومن هنا نجح ابليس في التغرير بسيدنا آدم عليه السلام.. يميل معظم الناس الى التعلق بالشهوات خاصة شهوة المحرم عليهم حيث يظنون ان كل المتعة فيه وان الاسلام يحرم اكثر الشهوات.. والحقيقة ان المحرمات معدودة والمباحات كثيرة.. اذ الاصل في الامور الاباحة.. " **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**" .. فالمحرم في الإسلام قليل وعبر عنه في قصة آدم عليه السلام "بشجرة واحدة" بينما الحلال كثير: "**كلا منها حيث شئتما**". وكمثال على ذلك فقد اباح الله لنا الشراب كله الا الخمر واحل الطعام كله الا الميتة والدم ولحم الخنزير و الخبائث.

4-2-4- الاغترار بالأماني

معظم الناس يغترون بالاماني ويظنون ان دخول الجنة سهل وان مجرد النية الصافية دون العلم والعمل كاف لتأمين الدخول الى الجنة.. مع العلم اننا ندرس عشرين سنة كي نصبح مهندسين واطباء وفي امتحان الدخول الى الهندسة والطب يرسب الكثيرون فكيف نريد ان ندخل الجنة دون ان نعمل ودون ان نتعلم ديننا و دون ان نبالي ان كانت اراؤنا تخالف ما قاله الله تعالى في كتابه الكريم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة" فلماذا نستهتر بها. كلما ارتقى الشيء المنشود كلما اصبح اصعب الوصول اليه فدخول الطب والهندسة اصعب من دخول كلية العلوم وهذه الاخيرة اصعب من دخول كلية الآداب فمن المنطقي اذن ان نظن بأن دخول الجنة – التي فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال مخلوق– صعبا. فالمطلوب اذن العمل وليس التمني.. يقول الله عز وجل "**ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور**". وقال صلى الله عليه وسلم : "قال الله سبحانه وتعالى: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين, إن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة, وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة" وقد قال تعالى : "**فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**".

4-2-5- تفرغ ابليس لاضلال الناس واستغناء رب العالمين عنهم في المقابل

فحين تحدى ابليس الله بأنه سيغوي الناس " **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين**" لم يقل رب العالمين انه سيمنعه من ذلك بل سمح له ان يفعل ما يريد ويغوي من يريد.. فهو الغني عن العالمين وهو القائل "**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**" فالكافر لن يضر الله شيئا، وهو العزيز عن خلقه، الغنى عن العالمين. والله لن يقهر أحدا اختار الكفر على الإيمان..

وهكذا نرى ان الشيطان يفعل المستحيل ويتبع كل وسيلة ممكنة لاضلال الناس فهو هدف سخر له حياته كلها فيما يترك له رب العالمين حرية الحركة بل ويقر له بأنه سينجح في اغواء العدد الاكبر من الناس وذلك يقوله تعالى "**ولقد صدق عليهم**

إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين". كذلك يقول رب العالمين "**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**" ويقول " **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**". فلا يعتبر نجاح الشيطان في اضلال الناس انتصارا على رب العالمين حاشاه لأن رب العالمين لم يرد على تحدي ابليس بتحد مضاد بل ترك له مطلق الحرية في الاغواء "**واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**". مع تحذير الناس من هذا الاغواء بالطبع عبر رسله الاكرمين صلوات الله عليهم.

4-2-6- قابلية الانسان الفطرية للضلال والنفس الامارة بالسوء.

عدا عن الشيطان فان النفس ان تركت على طبيعتها بعيدا عن المنهج الإلهي فهي امارة بالسوء صحيح ان فطرتها جبلت على الايمان بالله ولكن نوازع الشهوات موجودة فيها غريزيا ايضا. والنفس كالطفل أن تتركه شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم" . يقول سبحانه وتعالى: "**و العصر ان الانسان لفي خسر**" ان الإنسان على اطلاقه لفى خسر ، ولكن من الذى ينجو من الخسران، وتأتي الإجابة من الحق فيقول : "**الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر**" وتتأكد القضية فى موضع آخر من القرآن الكريم فيقول –سبحانه –"**ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا و اذا مسه الخير منوعا الا المصلين**" !اذن كل كلام –فى القرآن – عن الإنسان على إطلاقه ياتي من ناحية الشر. ،فما الذى ينجيه من ذلك ؟ إنه المنهج الإلهى .

4-2-7- الخلاصة

نحن إذن امام مفارقة لا ينكرها الا كل مكابر.. الايمان سهل جدا وبديهي وفطري ومع ذلك فأغلب الناس سيضلون بنص القرآن الكريم .. والتفسير المنطقي الوحيد لذلك هو ان الامتحان سهل جدا ولكن اغلب التلاميذ كسالى بطبعهم او بسبب تربيتهم بل ويرمون في الغالب المسؤولية عن ظهورهم فيتهمون القدر بأنه شاء ان يكونوا كذلك. وهذا كله بتأثير عوامل ثلاث: شيطان مريد، دنيا فانية، ونفس امارة بالسوء.. والسؤال في هذه الحال عن واجب الداعية او الاستاذ في حالتنا.. هل هو في تثبيط التلميذ واشعاره انه خلق فاشلا وسيظل فاشلا لن ينجح بعمره ابدا لانه يسأل اسئلة سخيفة خارج المنهج ام هو في الأخذ بيده ومحاولة اقناعه بالاجتهاد... فلنذكر للحظة واحدة اننا كنا سنكون مثله لو لم ييسر لنا الله يوما ما استاذا ربانا على المنهج الصحيح.. استاذ قد لا نتذكر فضله علينا ربما لأنه علمنا في مرحلة الطفولة حين كنا في عمر نتقبل فيه كل شيء بدون جدال..

4-3- التعامل مع الشكوك

4-3-1- مقدمة

كثير من الباحثين عن الحق تواجههم شكوك تعكر عليهم ايمانهم او تمنعهم من الايمان بها اصلا فكيف يتعاملون معها؟ هذه بضعة قواعد نرجو ان تفيدهم..

4-3-2- ترتيب الاولويات ضروري

كذلك ننصح من يريد ان يتفكر في أمور الدين ان يرتب الاولويات بشكل صحيح.. وكي نعلم ترتيب الاولويات فلنأخذ مثال الرجل المعلق في الفضاء.. الذي لا يرى شيئا ابدا من المحسوسات.. حتى جسده لا يراه.. هذا الانسان اول ما سيطرحه على نفسه من اسئلة : هو من انا؟ اين انا؟ كيف جئت الى هذه الدنيا ولماذا؟ وإلام سيكون مصيري؟ بالتاكيد لن يفكر بحكمة الحجاب ولا بحكمة تحريم الخمر.. فهذه تفاصيل تاخذ قيمتها من العقيدة التي سنعتنقها جوابا على الاسئلة المصيرية التي طرحناها آنفا.. مجرد فروع من شجرة كبيرة اسمها الايمان..

4-3-3- رد الظني الى اليقيني والفرعي الى الاساسي

بمعنى ان ايماننا بالامور الاساسية هو الذي سيحدد الاجوبة على الفرعية.. فليس من المعقول ان نعلق ايماننا بالامور الاساسية حتى نعرف كل هذه التفاصيل. ويهمني ان اؤكد هنا ان الاسئلة التي يطرحها اي ملحد او اي متشكك يطرحها ايضا المؤمن الملتزم ولكن باسلوب ونية مغايرة.. يطرحها ليزداد علما وحكمة ويقينا.. فاذا وصل الى الحكمة ازداد ايمانه ويقينه.. وان لم يصل رد

الأمر الى الله وقال في نفسه لا بد وان لله حكمة لم يصل اليها عقلي القاصر.. على ان اكتشاف الحكمة اسهل بكثير حينما توقن بوجودها.. فلو انك اضعت شيئا ووثقت انه موجود في مكان ما فستجده ان شاء الله اما ان شككت بوجوده فقد لا تجده حتى لو كان امام ناظريك..

وكما نرد الظني الى اليقيني نرد الفرعي الى الاساسي بمعنى اننا لا نحكم على اخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من موقف فرعي معين له ملابساته الخاصة (كحادثة بني قريظة التي جاء فيها الحكم من السماء اصلا) او بعض الاغتيالات فحياته صلى الله عليه وسلم كانت مثالا في العفو والكرم والتسامح وما شذ عن هذه القواعد هو استثناء يثبت القاعدة فاللين هو الغالب ولكن احيانا الشدة مطلوبة..

4-3-4- الظن نأخذ به في حياتنا اليومية

على اننا لو نظرنا الى حياتنا اليومية لوجدنا اننا نأخذ بالظن في كل امور حياتنا.. فحين نقدم على تجارة ما نقدم عليها بدون يقين بالربح وحين نقدم على زواج نقدم بدون يقين ان الزوج سيكون الشريك الصالح الذي نتمناه ونتفق معه... وحينما يخبرنا شخص ثقة ما عن حدث ما فنحن لا نرسل التحري ليتأكد مما قال.. لا بل اننا حتى حين نسير لعمل ما او نخطط له فنحن لا نعرف ان كنا سنموت في اللحظة التالية ومع ذلك نحن لا نترك التخطيط لمستقبلنا.. ومن هنا يقول الفقهاء ان غلبة الظن لها حكم اليقين في الشرع.. فان غلب على ظنك ان هذا الشيء مضر فهو ضار.. وان غلب على ظنك هذا الدواء قاتل فهذا انتحار.. وهكذا.. لذلك نرى ان ادلة الاعجاز العلمي في القرآن هي ادلة يؤخذ بها ولو كانت ظنية.. لأننا ناخذ بالظن في كل امور حياتنا..

4-3-5- تراكم الامور الظنية يجعلها يقينية

ونعطي على ذلك مثال نظام الكون.. فالواحد منا قد يشك مثلا في ان حجم الارض هو حجم اعتباطي.. فاذا درس علوم الفيزياء والفلك جيدا تبين له انها لو كانت اكبر من ذلك او اصغر ما كانت الحياة لتنمو عليها ولانحرفت عن مسارها مثلا او فقدت غلافها الجوي.. ما نريد ان نقوله ان تراكم الادلة على موضوع النظام في الكون قد جعل اكثر الناس تؤمن بوجود إله قادر وحكيم بشكل يقيني لا لبس فيه.. لا يستطيع هذا المؤمن ان يشرح اي دليل هو الذي جعله يؤمن بوجود الله او بصحة الاسلام.. فالدليل الاساسي هو تراكم الادلة وتضافرها وليس دليلا فرديا بعينه..

4-3-6- الشك الزائد يتحول إلى سفسطة

واعني بهذا انه اذا اراد احدهم ان يتشكك بكل شيء فممكن يشكك حتى في وجودك ويطلب منك ان تبرهن له انك موجود او ان تثبت له ان عقلك يفكر بطريقة منطقية ولا يغشك وقس على ذلك.... وللعلم لا يوجد اشياء مبرهنه علميا الا وتنطلق من مسلمات بديهية غير قابلة للبرهنة.. واكثر المسلمات اليوم باتت تخضع لمراجعات هي الاخرى.. فالمثال الاكثر بداهة 1+1 = 2 ليس صحيحا دائما على بداهته ففي جبر النظام الثنائي الذي يرتكز عليه الحاسوب جمع هذين الرقمين هو صفر وليس 2.. وفي بعض انواع الجيومتري اقرب خط بين نقطتين هو خط منحرف وليس مستقيما.. وفي المجموعات اللانهائية في الرياضيات لا تنطبق قاعدة الجزء اصغر من الكل.. وفي فيزياء النسبية لا معنى لعبارة حدث هذا الامران في نفس الوقت فالزمن نسبي.. وفي فيزياء الكوانتيك يمكن ان يحصل الشي ونقيضه في نفس الوقت (قطة شرودنغر) .. فهل هذا معناه ان نترك حياتنا ونترك العلم والحقائق ونتشكك في كل شيء؟ ام علينا ان نتابع حياتنا ونبني على اليقين الحسي والعقلي والنقلي بدل ان نظل معلقين حتى نملك حلولا لكل سؤال؟؟ لقد ضل فلاسفة كثر حينما اعتبروا ان الكون ازلي اذ لو لم يكن كذلك فمعناه ان الله –على زعمهم– انتظر فترة لا نهائية حتى يخلقه.. وظلت هذه الفكرة تشوش عقول الفلاسفة والناس حتى جاء الغزالي وقال انه قبل خلق الكون لم يكن هناك زمن وهو ما اكدته نظرية النسبية.. فماذا نفع الشك من تشكك بالدين لاجل هذا السؤال ؟؟

4-3-7- لا يصح ايمان شخص مبني على غلبة الظن

لا يكون الإيمان صحيحا إن داخله شك بالطبع..

" **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**"

" **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا**"

فالإيمان هو تسليم مطلق... لكن ما نقصده هو أن كل انسان حينما يزداد الظن في ذهنه إلى درجة كبيرة يأخذ قرارا بالتسليم به.. وهذا القرار برفض أي شك به هو ما يسمى بالإيمان.. اما ما ورد عن زيادة ونقصان الايمان فليس هو الايمان العقلي بوجود الله.. انما هو الايمان القلبي الوجداني الذي يزيد و ينقص حسب قرب العبد من الله وحسب درجة الخضوع والاخلاص.. فحينما اقول فلان اشد ايمانا مني اعني انه يقترب من الايمان بقلبه اكثر مني فكأنه يرى الجنة ويرى النار.. كأنه انتقل من العلم والتصديق الى الرؤية .. يعني انه مستعد للتضحية بنفسه من اجل دينه اكثر مني.. ومن هنا نقول فلان ضعيف الايمان... حين نراه لا يتكل على الله ويخاف من الفقر ويطلب الرزق من العبد والله الرازق والشفاء من الطبيب والله الشافي..

4-3-8- الايمان قرار

فالإيمان إذن قرار وليس فقط قناعة.. ومن هناك فإن بعض الناس يعتبرون كفارا مع كونهم مستيقنين من الإيمان وهم الذي وصفهم الله تعالى بقوله " **وجحدوا بها واستقينتها أنفسهم ظلما وعلوا**"

مثلا اذا قال شخص انه مؤمن أو واثق ان زوجته لا يمكن أن تخونه.. أليس هذا ظنا؟ .. ولكنه بلغ من القوة مرتبة اليقين.. ذلك لانه أردفه بقرار ذاتي.. وإن قال إنه واثق أو مؤمن انه سيحب فلانا الى الابد.. أليس هذا ظنا؟ هو ظن كون القلوب متقلبة ولكن لما أخذ القرار فيه صار بمثابة يقين وايمان.

فإن كنا مؤمنين بوفاء زوجاتنا وبحب أولادنا للأبد. أفلا نؤمن بالله ورسله وكتبه بأقوى من هذا الإيمان؟

بلى ونقول في هذا المجال ما قاله كعب الأحبار لعمر بن الخطاب حينما سأله في قوله تعالى "**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**".. أكنتم تعرفونه يا كعب؟ أي أكنتم تعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم ورسالته وأوصافه؟ فقال كعب وهو من أحبار اليهود .. أعرفة كمعرفتي لابني، ومعرفتي لمحمد أشد .. فلما سألوه لماذا؟ قال لأن ابني أخاف أن تكون امرأتي خانتني فيه أما محمد صلى الله عليه وسلم فأوصافه مذكورة بالدقة في التوراة بحيث لا نخطئه... نعم الإيمان هو قرار نتخذه بناء على غلبة الظن وأي نسبة شك تراودنا بعد ذلك ننبذها على أساس إنها خاطر ضعيف.. فلا يقوى الشك بأمر قد يكون له تفسير لا يستوعبه عقلنا القاصر أن يزعزع ايمانا راسخا..

4-3-9- وماذا اذا شعر الباحث عن الحق بان إيمانه ناقص لأنه مبني على دلائل ظنية و ليست قطعية ؟

أعتقد إننا افضنا المقطع السابق في كيفية تحويل الظن إلى يقين بقرار ذاتي.. ونضيف أن ما يجعل هذا اليقين أقوى وأكبر هو تراكم هذه الظنون... بحيث تتحول فعلا إلى يقين حتى من الناحية العلمية والرياضية.. وأسوق مثالا من علم الاحتمالات يضرب كثيرا: كم نسبة احتمال أن يأتي قرد ما بمسرحية لشكسبير إذا تركناه يطبع بشكل عشوائي على الآلة الكاتبة؟ نسبة الاحتمال هي ضعيفة جدا لدرجة انه بإمكاننا ان نقول عمليا إنها مستحيلة.. وللعلم فان أدلة الألوهية أو النبوة هي من هذا النمط لمن تدبرها واحدة واحدة.. غير أن بعضنا لا يملك كل المعلومات عنها لذا يكون الإيمان بها عنده ضعيفا ومن هنا أهمية البحث عن الحق والمطالعة والحوار كسبيل لرفع الإيمان وترسيخه.

4-3-10- كيف نكافح الظنون؟

التغلب على الظنون والشبهات لا يكون الا بالعلم.. فالقضية قضية ترجيح.. فمتى زاد مستوى اليقين عندنا انتفت الشكوك ومتى زادت نسبة التقوى خفت المعاصي.. اذا نظرنا للصالحين من الانبياء والصحابة لرأينا انهم يملكون نفس تركيبتنا البشرية ونفس الميول الفطرية من شهوات وعواطف وضعف بشري ولكن ما ميزهم عنا هو ارتقاء المستوى الايماني عبر تغذيته عقليا ووجدانيا.. حتى سؤل بلال رضي الله عنه كيف تحملت عذاب الصخرة على صدرك فقال لهم: غلبت لذة التوحيد الم العذاب..

نعود الى موضوع الشكوك فنقول ان التغلب عليها يكون بالمعرفة الحقة المبنية على قواعد يقينية راسخة. فكيف السبيل الى ذاك؟ ان صدق حدسنا فإن الشكوك والظنون تولد من رحم الشبهات التي يطرحها ضدنا الكفار..والطريقة المثلى لمواجهة الشبهات هي الرد عليها بطريقة اجمالية دون الخوض في تفاصيل كل شبهة لأن الشبهات لا تنتهي.. لذلك علينا ان نحصر كل هذه الشبهات ضمن فئات معنية ونرد ردا اجماليا على كل فئة.

4-4- لماذا لا يكشف الله وجوده بشكل محسوس؟

4-4-1- مقدمة

يسأل الباحث عن الحق: كيف نصل الى اليقين في غياب ادلة مادية محسوسة؟ ولم لا يكلمنا الله ويوضح لنا كل الامور بسهولة؟ وكيف يصل الاعرابي الى الايمان بسهولة ونحن لا نصل اليه بنفس اليسر. ويسأل ايضا:

"هل سيتدخل الله يوما؟" . كلم الله عز وجل موسى عليه السلام، و ارسل جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه و سلم و اذن لعيسى عليه السلام بالمعجزات. و في لحظات كثيرة كان هناك تدخل الهي مباشر في التاريخ. لماذا تدخل الله تدخلا مباشرا في ما مضى و ليس الآن؟ هل كان موسى و شعبه في حالة اسوأ مما هو حال الجنس البشري اليوم؟

4-4-2- الايمان لا يكون الا بالغيب

هل سمعنا احدا يقول: انه يؤمن بأن التفاحة حلوة المذاق؟ طبعا لا فكلامه ليس له معنى.. لأن التفاحة امر محسوس ومذاقها شيء مجرب والايمان لا يكون الا بشيء غيبي.. وليس هذا حكرا على الروحانيات بل ايضا في حياتنا اليومية.. فانا حين اقول اني مؤمن بك معناها اني استشف فيك خيرا واظنك ستملأ اي مركز تستلمه.. كذلك لا ننسى ان الحياة الدنيا هي امتحان والامتحان لغة هو استخلاص العنصر المفيد من محيطه و تستعمل للذهب فيقال امتحن الذهب اي استخلصه من خاماته. ولكي يعتبر الامر امتحانا يجب ان يكون غيبا، فاذا كنت امتحنك و الكتاب مفتوح امامك فعلام يكون الاختبار؟ اذا كنت ارى الجنة و النار والملائكة امامي فعلام الامتحان بالايمان بهم؟ لذلك يصفنا الله عز و جل بالمؤمنين بالغيب " **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**".

4-4-3- الايمان لا يقبل حينما يتحول الغيب الى شيء محسوس

ولمزيد من التأكيد على هذا الامر لننظر الى ما يحدث للكافر عندما يتأكد من وجود الله ومن وجود النار و الجنة. سيكون مصيره نفس مصير التلميذ الذي يعرف الاجوبة على الامتحان بعد نهاية المدة. هذا التلميذ سيقال له "الآن، جئت بالاجوبة!!! لقد فات الأوان".

و عندنا عدة امثلة : على هذا الموضوع من القرآن الكريم:

- عندما ادرك فرعون الغرق و ايقن انه ميت لا محالة وايقن انه لن ينجيه من عذاب الله الا الايمان به، لفظ كلمة الايمان ولكن لم يغفر له لأنه آمن بعد ان رأى عذاب الله يحيط به. **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * <u>آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين</u>**
- ومثل آخر : قال تعالى **فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين(84) <u>فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا</u> سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون(85)** أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث "إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" أي فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى "وخسر هنالك الكافرون".
- عن أبي هريرة رضي اللهم عنهم أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين **(لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)**

4-4-4- الدليل الكوني معجز في حق من يراه فقط

وان سأل سائل: هذا عن اظهار الوجود بشكل لا لبس فيه ولكن ماذا عن المعجزة المادية؟ ما سبب غيابها عن الاسلام فنقول ان الاسلام جاء للبشر كهم في كل مكان وزمان والمعجزة الحسية دليل وقتي لا يكون معجزا إلا في حق من يراه، وأما من لم يره ممن غاب عنه وقتها، أو جاء بعده فإن طريق معرفته به هو النقل، والذي يطلب المعجزة من السهل عليه أن يشكك في النقل.

4-4-5- المعاند في العادة لا يؤمن ولو رأى معجزة

والتاريخ يخبرنا أن المعاند لن يؤمن؛ حتى لو رأى المعجزة رأي العين، يقول الله تعالى في شأن قوم طلبوا معجزة حسية: **{الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}** (آل عمران: 183). هذه شهادة التاريخ سجلها القرآن في كون المعاندين لن يسلموا بالمعجزات الحسية وسيوردون شبها يتملصون بها من الإذعان، قال الله تعالى: **{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}** (الحجر: 14- 15)

4-4-6- من طلب المعجزة ورفضها عجل له بالعذاب

مضت سنة الله تعالى بأن الأمة التي تقترح على رسولها آية، ثم تكفر به بعد تأييد الله إياه بها؛ فإن الله تعالى يُنزل بها عذاب الاستئصال العام عاجلاً لا عذاب المكذبين وحدهم. ولما كان خاتم النبيين قد أُرسل رحمة للعالمين كان تعذيب قومه بعذاب الاستئصال منافيًا لهذه الرحمة ومستأصلاً لجميع البشر. "**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ**" (الإسراء 59:)

4-4-7- لماذا لا يعاقب الله القوم الظالمين كما فعل بقوم لوط و هود ونوح و و فرعون؟

تحدثتم في الفقرة السابقة ان الله انزل العذاب بالمكذبين سابقا فلم لا ينزل عليهم العذاب الآن؟ والجواب لا شك إن الله قادر على تعذيبهم في اي لحظة و لكنه يمهلهم و لا يهملهم و يتخذ المؤمنين ستاراً لقدرته ، ولو شاء لأنتصر من الكافرين جهرة كما انتصر من بعضهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم ، بل لانتصر منهم من غير هذه الأسباب كلها ، ولكنه إنما يريد لعباده المؤمنين الخير ، وهو يبتليهم ويربيهم ويصلحهم وييسر لهم أسباب الحسنات الكبار يقول الله عز وجل: **قاتلوهم <u>يعذبهم الله بأيديكم</u> ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (14التوبة)** ويقول: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك <u>ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض</u> والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم (محمد 4)**

4-5- تجربة الكاتب الإيمانية

4-5-1- مقدمة

لأغناء هذا الكتاب ومنحه طابعا انسانيا لا فكريا فقط وددت ان امرر بين طياته تجربتي الايمانية الشخصية علها تنفع من يطلع عليها بإذن الله.

4-5-2- كيف بدأ الحس الإيماني؟

كمعظم الأطفال في عمري كنت أطرح الكثير من الأسئلة عن الغيبيات : من أين جئنا؟ ولماذا السماء زرقاء؟ ولم يموت الإنسان وما معنى الموت؟ وأين يذهب بعد الموت؟ وطبيعي أن تحتوي أجوبة أهلي على مفاهيم دينية عن الله والملائكة والجن والجنة والروح.. ومن الطبيعي أيضا أن أؤمن بما قالوا لي لأنه يناسب فطرتي...

4-5-3- نقطة مفصلية: كيف يدخل الإيمان إلى العمق؟

على اني حينما ألاحظ – وأنا في هذا العمر– ايمان أطفال هذا الجيل أراه مختلفا عن إيماني.. وطبعا لا أعمم.. لكن كثير من أطفال هذا الجيل لا يشعرون بوجود الله في حياتهم.. بل يصلون ويصومون فقط خوفا من أهلهم.. ما السر في ذلك؟ لا أعرف.. أنا لي أن أتكلم عن نفسي.. أنا في عمر السادسة كنت أؤمن بوجود الله حقا .. وأخافه حقا.. وإيماني في هذه الفترة كان وجدانيا فطريا بالطبع فكنت أصغر من أحلل بشكل منطقي سبب ايماني وأدلة وجود الله..

4-5-4- رب العالمين يحميني من المجهول

من المعروف أن خيال الطفل أعمق من خيال البالغين فهو يتخيل شخصيات وهمية ويتعايش معها.. وله أعداء وهميون يخاف منهم.. حتى الأطفال غير المسلمين يخافون من مخلوق وهمي اسمه "بوغي" يختبىء تحت السرير أو في الخزانة.. وأنا لم أكن

مختلفا عن بقية الأطفال فقد بدأ خوفي من الجن والمخلوقات الغيبية مبكرا في حين كان اخوتي الأكبر مني يخافون من اللص أو الفأر.. كانوا يسخرون مني وأسخر منهم.. فالأمور المادية لها حل عندي .. اللص أضربه بالسكين.. والفأر لا يمكن أن يؤذيني.. ولكن كيف أتغلب على الشيطان وهو قد يأتي في أي لحظة.. بل قد يكون معي الآن وأنا لا أراه.. حتى أمي العزيزة التي تحميني من كل خطر لا تستطيع أن تحميني منه.. الله فقط يحميني منه.. ذكر اسمه كفيل بطرده .. (قد يحزن ابليس حينما يقرأ هذا الكلام ويعرف ان وجوده كان من اول الدوافع لتقوية ايماني..). ما أردت شرحه في هذا المقطع البسيط هو حاجة الإنسان الفطرية لعاصم يعصمه من الخوف ويشعره بالأمان .. فالإنسان يشعر بضعفه ويخاف من الخطر والمجهول ووجود الله كفيل بطمأنته أن هناك من يحميه ويرعاه.

4-5-5- رب العالمين يوفقني إن دعوته أو أطعته..

وحينما كبرت أكثر ودخلت المدرسة.. كنت أخاف من الامتحانات كثيرا مع اني كنت الاول في صفي والحمدلله أو لعل هذا هو السبب فالأول يحرص على تفوقه دائما.. فكنت دائما أقرأ الفاتحة قبل أن أقدم الامتحان كي أوفق وأقرأ كذلك " **ألم نشرح لك صدرك**".. وما يهمني هنا هو أن أحد أكبر اسباب ابتعادي عن المعاصي –حتى بعد نضوجي– هو خوفي من عقوبة يبتليني بها الله.. صحيح أن الخوف من العقاب الأخروي أساسي ولكن الإنسان قد يمني نفسه بالتوبة بعد حين أما الخوف من العقوبة المباشرة في الدنيا فهي قد تكون أحيانا رادعا إضافيا وأساسيا..

4-5-6- التعرف على الآخر..

كان هذا في فترة طفولتي قبل أن أتعرف على وجود أديان أخرى وعقائد اخرى.. أوبالاحرى كنت أعرف بوجودهم كوني نشأت في مدرسة نصرانية ولكني كنت أعجز من أن أضع نفسي مكانهم.. كنت أنظر إليهم على انهم أغبياء.. على ضلال.. أعداء أحيانا.. فيما بعد وحينما كبرت فهمت منهم أنهم مقتنعون بدينهم وعندهم نفس الايمان مثلي.. وهذه نقطة مهمة أحب أن أشير إليها.. للأسف بعض المسلمين لا زال إلى الآن يفكر بطريقة طفولية ويظن أن كل شخص غير مسلم هو بالضرورة شخص كاذب يكذب على نفسه.. وانه يتصنع الإيمان بدينه.. هذا فهم طفولي غير صحيح أبدا.. هناك نصارى ويهود وهندوس مؤمنون بدينهم بنفس القوة التي نؤمن بها بديننا.. بل ومستعدون أن يسخروا كل حياتهم لأجله.. وأن يموتوا من أجله.. لا تهمني نسبتهم.. ولكنهم موجودين ومجرد وجودهم كان مخيفا بالنسبة لي.. فما يدريني أني لست موهوما مثلهم..

4-5-7- الانتقال من الإيمان الوجداني إلى الإيمان العقلي

طبعا هنا يطرح سؤال مهم جدا ألا وهو هل مررت بفترة شك بدينك حينما لاحظت ايمان الآخرين بدينهم.. والجواب : لا أبدا والحمدلله.. كل ما في الأمر اني قررت البحث عما يميز ديني عن دينهم.. وأدرك تماما أن هذه الطريقة غير موضوعية مئة بالمئة بمعنى أني في النهاية أبحث عن أدلة تؤيد قناعة أؤمن بها سلفا ومع ذلك فهي تظل طريقة متقدمة نوعا ما.. في النهاية أنا لست مضطرا لأكذب على نفسي وعلى الناس لارضائهم أو لاثبات موضوعيتي.. ايماني بديني قوي ولم يهتز لمجرد أني رأيت غيري مؤمنا بمعتقده بنفس قوة ايماني.. من أراد ان يبحث عن تجارب أكثر موضوعية فعليه أن يبحث عمن ولد غير مسلما واعتنق الاسلام.. فذاك لا بد وأنه حلل بطريقة موضوعية تماما حتى يختار دينه.. (طبعا شرط أن يكون قد اعتنقه بعد دراسة وليس نتيجة تأثر عاطفي بشخص معين).. لكن ما أفعله لأعوض هذا النقص المفترض في الموضوعية عندي هو أني استمع لردود فعل غيري على ما اكتب وخاصة من الطرف الآخر أو من المسلم المتشكك فأجد أن الأول لا يجد ردا علي وأن الثاني اقتنع معي.. فيزاداد يقيني بصحة منهجي..

4-5-8- باختصار الفرق بين ديننا وبين أديانهم: كل أدلتهم شبهات وأدلتنا حجج منطقية

وكما سجلت استغرابي ممن يظن أن كل "غير مسلم" هو كاذب يدعي الإيمان بدينه بينما هو يتشكك فيه داخليا أسجل استغرابي بمن يشعر بالضعف أو التشكك بالإسلام لمجرد انه رأى صديقا له مقتنعا بدينه المخالف بقوة.. وكم مرة ووجهت بهذا السؤال من بعض الناس: "كل شخص يظن نفسه على صواب فلم أدعي احتكار الحق لاني مسلم؟" مساويا إيمانه بإيمانهم وكأنهم في كفة واحدة.. ولهؤلاء أقول إن أهم ملحوظة أوجهها لكم تتلخص بكون كل أسئلتنا نحو غيرنا من الأديان والعقائد هي أسئلة وجودية لا يجدون

لها أجوبة مقنعة: فالملحد لا يجد جوابا مقنعا عمن خلق الكون لذا يتهرب منه.. والنصراني يعجز عن حل التناقض في اعتباره الإنسان إلها بينما لا يوجه ضد المسلم اي سؤال معجز بل كلها اسئلة من نوع الشبهات التي لا تعجب اذواقهم..

4-5-9- أيهما أقوى في اثبات الإيمان: العقل أم الحس؟

طبعا العقل .. فقد قال معظم الفلاسفة والمفكرين ان الحس ممكن يخدع فنحن نرى الشمس بحجم قطعة النقد وهي كبيرة جدا.. ولولا العقل ما انكشف لنا زيف الحس.. ونحن نرى أن المؤمن بدين ما لا يغيره في العادة حتى لو رأى شيئا خارقا للعادة يؤيد الدين الآخر.. فلم نسمع ان مسلما غير دينه بسبب ظهور العذراء العجائبي ولم نسمع أن نصرانيا غير دينه لأنه رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم منقوشا على يد طفل ما.. فالإنسان يملك تفسيرات دائما للأمور العجائبية التي يؤيد ظاهرها الدين الآخر.. فمن الممكن تفسيره على انه عمل للجن أو سحر أو خفة يد وأحيانا قد يكون استدراجا من الله عز وجل كما سيحصل على يد المسيح الدجال الذي حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من فتنته في آخر الزمان.

4-5-10- كيف ارتقى إيماني لمرتبة اليقين؟

لا شك ان الاختلاف بين الاسلام وبين غيره من الاديان والعقائد شكل سببا اساسيا في ازدياد ايماني، إلا ان مطالعاتي لإعجاز القرآن الكريم واطلاعي على تشريعات الاسلام كان يزيد من ايماني بالإسلام شيئا فشيئا حتى أوصله إلى مرتبة اليقين والحمدلله.. ولا أعتقد أن أحدا يسخر جل وقته للكتابة في الدين بدون أجر انسان يكذب على غيره في هذا الأمر.. فلو لم أكن مقتنعا مئة بالمئة بهذا الدين فما الفائدة من تضييع وقتي في الدفاع عنه والتبحر في علومه.. وبالتالي أرجو أن يأخذ الاخوة القراء تجربتي الإيمانية على محمل الجد وأن يصدقوا أن كل كلمة قلتها في هذا الفصل كلمة صادقة دون أن الزمهم طبعا بالاقتناع بها.. وهذه نبذة سريعة عن الأمور التي رفعت من ايماني العقلي بالاسلام بعد ان كنت مؤمنا بطريقة وجدانية فقط في طفولتي:

1- الإعجاز العلمي والعددي والبياني والتشريعي في القرآن.
2- الحكمة مما حرمه الله علينا. فكل أمر استغرب حرمته أرى الحكمة منه في حدث واقعي..
3- تكامل التشريع الإسلامي واحاطته بكل نواحي الحياة
4- مقدرة الإسلام على اعطاء تفسيرات منطقية لما سبقه من الأديان واحتواءها
5- الحجج العقلية في القرآن الكريم والتي ترد على كل شبهة طرحت أو ستطرح...

هذا ما تذكرته الآن وأظنه كافيا.. وبالنهاية مهما سقنا من حجج وأدلة وتجارب تبقى الهداية من الله ويبقى الأيمان أجل النعم التي يمن الله بها علينا.

الباب الخامس: حول إله الاسلام وصفاته

تمهيد

وصلنا في الابواب السابقة الى استنتاج حتمية وجود خالق للكون وفي هذا القسم سنحاول استجلاء نظرة الاسلام الى هذا الإله وصفاته والرد على ما تبقى من الشبهات المطروحة في هذا الموضوع.

5-1- الآلهة المزيفة وإله الاسلام

5-1-1- مقدمة

ما الدليل ان إله الاسلام (الله) هو الإله الحق؟

5-1-2- الاختيار بالعقل لا بالهوى

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (76) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (77) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (78) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين..

في هذا الموقف يحاجج سيدنا ابراهيم عليه السلام المشركين ويعلمهم بطريقة التسليم الجدلي كيف يصلوا بعقولهم الى الإله الحق فهو مؤمن بلا شك قبل ذلك الموقف.. **(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)**. والتسليم الجدلي طريقة عقلية معروفة بالرياضيات (نفترض بأن فكرة ما هي صحيحة ثم نصل الى استنتاج خاطىء يكون برهانا على ان الفكرة التي انطلقنا منها خاطئة). لأول وهلة قد نفهم من هذه الآيات ان سيدنا ابراهيم عليه السلام يثبت فيها لقومه أن القمر و الشمس لا يمكن ان يكونوا آلهة لأنها تبزغ وتأفل بينما الإله لا يتغير وهو منطق صحيح ولكن المقصود الاهم من هذه الآيات هو تعويد النفس ان تتكل على المنطق لا على الهوى. فماذا لو كان الناس يعبدون اِشياء غير الشمس و القمر؟؟ و ماذا لو كانوا يحبون الاشياء الأصغر و يرونها اكمل من الاكبر (افترض ابراهيم عليه السلام ان الشمس افضل من القمر لأنها اكبر) و ماذا لو كانوا يعتقدون ان افول الشمس ليس عيبا بحق الأله؟ (يعتقد بعض الناس ان هناك اله للشر و اله للخير يتناوبون على حكم العالم) هذه الآيات اكبر من مجرد نفي لالوهية الشمس و القمر و نفي الوهية الأشياء المتغيرة. انها كذلك نقض لطريقتهم في التفكير لأنه يعرف بأنه لا يستطيع هدايتهم اذا نفى لهم امكانية الوهية المخلوقات المتغيرة من حال الى حال فقط بل عليه نقد طريقة تفكيرهم اللامنطقية من الاساس. حاول سيدنا ابراهيم عليه السلام ان ينقض اتباعهم الهوى لأنهم اذا استمروا في اتباعهم له لما استقامت طريقة حياتهم في الشرائع و المعاملات و الامور الدنيوية حتى لو آمنوا بوجود الله. سألهم على أي اساس تعبدون الشمس و القمر؟ ألأنه استهوتكم فكرة الضياء و النور؟ أو لأن الشمس كبيرة في السماء ؟ اي إله هذا الذي نختاره باهوائنا و خيالنا ؟ و ماذا لو عبدنا الابقار او النار او التماثيل؟ و ماذا لو عبدنا المخلوقات الفضائية او الشيطان؟ تقول الآية الكريمة **أرأيت من اتخذ إلهه هواه.** قال ابن عباس رضى الله عنه بأن الرجل في الجاهلية كان يعبد الحجر الابيض فاذا رأى افضل منه انتقل الى عبادة الحجر الجديد.

5-1-3- من ادعى الالوهية غير الله؟

افترض بأنك حاكم و اتاك خصمان يختصمان فهل تحكم لأحدهما دون ان تستمع للآخر؟ ليس هذا من العدل. يقول الحق تعالى "**أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.**" و لله المثل الاعلى فإن افترضنا ان قضية الالوهية هي موضع خلاف فلننظر من يدعي كونه ألها و لنقل له هات برهانك؟ عندها سنكتشف بأنه ليست حجة الله اقوى فحسب بل اكثر من ذلك لا يوجد من يدعي الالوهية غيره، لا يوجد من يجرؤ على ادعاء الالوهية: لا الشمس و لا القمر و لا البقر و لا الاصنام و لا المخلوقات الفضائية (ان وجدت) فيا عجبا كيف نسلم القضية الى من لم يضع نفسه خصما لله في المقام الاول.

5-2- صفات إله الاسلام

5-2-1- مقدمة

حينما نقتنع ان الاسلام دين الحق وأن إلهه هو الإله الحق يبقى علينا أن نفهم صفات هذا الإله وماذا يريده منا وكيف يجب ان تكون نفسية المؤمن كي يتقبل الاسلام. ولربما كان هذا الفصل اهم فصول الكتاب وذلك لسبب بسيط جدا وهو ان اكثر الشبهات تصب في موضوع صفات الله.. فالذي يسوق الشبهات على عنصرية القرآن الكريم او دموية آياته انما يكون في حقيقة الامر ينتقد رب العالمين الذي انزل هذا الكتاب.. ومن يسوق الشبهات ان الاسلام انتشر بالسيف وان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان يكون نبيا لانه قاتل العدو بالسيف يكون في الحقيقة منكرا لصفة الغضب عند رب العالمين .. وهكذا

5-2-2- لماذا يرفضون الإيمان؟

وما السبب في هذا الرفض؟؟ السبب ان الانسان يريد الها على مقاس ذوقه الخاص وهواه وعقله.. دعونا نحدد ان اهم سبب للكفر او الالحاد هو ان العنجهية البشرية ترفض في اكثر الاحيان ان تتذلل للاله وتطيعه في كل ما يأمر وان تتخلى عن هواها الخاص وقناعاتها الخاصة ومصالحها الخاصة لاجل اوامر هذا الاله.. لو كان هذا الاله يوافقهم في تلبية مصالحهم وتطلعاتهم وشهواتهم لآمنوا به ولاعترفوا به ولما اتعبوا انفسهم في البحث عن ادلة واهية تنفي وجوده. لكن هيهات ان ينطق الله العليم الحكيم بما يناسب اهواء البشر وهيهات ان يرسخ عاداتهم الجاهلية...

5-2-3- صفات الجلال وصفات الجمال

كما بينا في مقالنا السابق عن العقل والدين.. فإن اله الاسلام يتصف ليس فقط بصفات الجمال مثل الرحمة والمغفرة واللطف والانعام انما ايضا بصفات الجلال مثل العزة والغضب والانتقام والجبروت والكبرياء..

ولا تقبل الفطرة السليمة أن تنسب صفات الجمال إلى الله من دون صفات الجلال فضلا على أن صفات الجمال و الجلال على حد سواء مثبتة من قبل الله عز وجل في الكتب السماوية كما إنها منعكسة في أفعاله ومخلوقاته كما وردت في هذه الكتب وكما نشاهدها في حياتنا اليومية أيضا. وصفات الله في الإسلام لا تحمل نفس معنى صفات الإنسان ولو تماثلت الكلمات المستعملة لأن علم الإنسان يحصل بعد جهل و غضبه يحصل نتيجة لانفعال لا يسيطر عليه وهذا كله منتف بحق الله الذي لا يتغير ولا يتبدل. إنما وجه الشبه بين صفات الله وصفات الإنسان هو في ما ينتج عن هذه الصفات من تأثير على المخلوقات فغضب الله ليس انفعالا عاطفيا تعالى الله عن ذلك إنما يستتبعه عقاب على المغضوب عليه وهكذا نفهم كل سائر الصفات مثل الرحمة والعلم والسمع والبصر.

وبعد هذا الشرح الميسر نفهم سبب ضلال كثير من الناس لانهم قصروا معرفتهم بالله على هذا الجانب الواحد.. حيث تراهم يتشككون ويتذمرون هل من المعقول ان يعذب الله شخصا قام في كل حياته باعمال طيبة ولكنه لم يهتد الى الاسلام؟؟ وما ذنبه؟؟ لا غير معقول.. هذا ظلم.. جاعلين من عقلهم القاصر ميزانا يحاكم فيه الله ويحدد له ما يجوز وما لا يجوز..!!!

5-2-4- مفهوم الرحمة والظلم

حاشا لله ان يكون ظالما.. "**وما ربك بظلام للعبيد**" والظلم في الأساس معناه أن تتعدى حدودك وتقوم بما لا يحق لك أن تقوم به أو تتعدى على ما لا تملك. فكيف يستقيم ان نصفه بالظلم؟؟ يقول ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس اذ قال :"بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم، يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدرا فقالوا له: لم تقذف المحصنات. فقال : أخبروني لو أذنبت إلى ولدي ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفسا أن يقذفاني في تنور مملوء جمرا. قالوا : لا إنما كانا يرحمانك. قال : فإني أوثق برحمة ربي منهما. قلت : وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عزوجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم. ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له : تب إلى الله عزوجل فقال : إياي تخوفون، حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "لكل ذنب شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " أفترى لا أكون أنا منهم؟ قال المصنف رحمه الله : وخطأ هذا الرجل من وجهين: أحدهما

: أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب. والثاني : أنه نسي أن الرحمة إنما تكون لتائب كما قال عز وجل :
"**واني لغفار لمن تاب** " وقال : "**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون**".

5-2-5- الله عزيز وغني عن العالمين

" **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين**" أقسم إبليس بالعزة الإلهية ولم يقسم بغيرها، فأثبت بذلك علمه وذكاءه، لأن هذه العزة الإلهية هى التى اقتضت استغناء الله عن خلقه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولن يضروا الله شيئا، فهو العزيز عن خلقه، الغنى عن العالمين. وهى الثغرة الوحيدة التى يدخل منها إبليس، فهو بها يستطيع أن يضل ويوسوس، لأن الله لن يقهر أحدا اختار الكفر على الإيمان..

قال صلى الله عليه وسلم: " ثم خلق الله آدم، ثم خلق الخلق من ظهره، ثم قال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي" . رواه الحاكم وقال صحيح ومعنى الحديث: ان الله تعالى غني عن خلقه، وأنه عدل رحيم لا يظلمهم مثقال ذرة، بل هو سبحانه ينعم عليهم ويتفضل، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي، خيره إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد. ولا يشعر أحد من الطائعين أو العاصين أنه مجبور على فعل من الأفعال، بل كل منهم يفعل باختياره وإرادته. وما كتب عليهم شيء مجهول لهم، لا يعرفه واحد منهم، وإنما يعرف الخير والشر الذي أمامه، فمنهم من يتقي الله ومنهم من يعصيه. كل منهم يفعل ما يفعل مختاراً، مع أمرهم جميعاً بالخير، ونهيهم عن الشر والكفر، وتكافؤ الفرص أمام الفريقين في المؤاخذة والعذر.

5-2-7- قدرة الله لا تتعلق بالمستحيل العقلي

يسأل بعض المشككين: هل يستطيع الله أن يخلق إلها مثله ؟ تصوروا منهم بأن المسؤولين إذا أجابوا بالإمكان، اعترفوا بذلك أنه ليس لهم أن يكفّروا من أشرك مع الله غيره، وإن أجابوا بعدم الإمكان فقد أسندوا إلى الله العجز وذلك دليل على أنه ليس بإله.. وفي هذا السؤال تناقض عقلي ظاهر لأن الإله بالتعريف يتصف بكل صفات الكمال ولو كان معه إله آخر لكان مضطرا ان يتنازل لهذا الاله عن بعض الصلاحيات ولهذا يقول الله عز وجل "**لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**". لذا لا نقول بأن الله غير قادر على ان يخلق إلها مثله ولا نقول بأنه قادر ان يخلق إلها مثله فالمسألة في الاصل لا معنى لها لأنها مستحيلة عقلا كما اذا سألت فتاة عازبة الآن: هل تحبين زوجك؟ فماذا تجيبنا؟ ستجيبنا: هل تمزح؟ انا لست متزوجة اصلا.

فهذا السؤال اذن وما يشبهه يدل على حمق من نوع عجيب، فمن المعلوم أن السائل – لكي يعتبر سائلا في الحقيقة – ينبغي أن يتصور معنى سؤاله، وأما إذا لم يكن للسؤال معنى فلا يمكن أن يكون له صورة في ذهن السائل، وإذا كان كذلك، فإن السؤال لا يسمى حينئذ سؤالا إلا من حيث الصورة والأسلوب، وأما من حيث الموضوع والمضمون فهو هذيان، والهذيان لا جواب عليه، لا عجزا عن الإجابة، ولكن لأن الإجابة لا تكون إلا على سؤال والسؤال لم يولد في الحقيقة بعد.

5-2-7- هل هناك دليل ملموس ان هذه الصفات هي الصفات الحقيقية لله؟

اعتقد ان ابلغ دليل على ان صفات إله الاسلام هي الصحيحة (وليست صفات المحبة المطلقة فقط كما تدعي النصرانية والبوذية) يتمثل في كون الاسلام يقدم تفسيرا متجانسا للحياة وللآخرة.. ففي الحياة نرى ان المصائب والمحن والحروب والآلام تعم العالم فلو كانت المحبة والرحمة كما يفسرونها هم بشكل مطلق وللكل لما رضي الله ان يتعذب انسان او كما مر معنا في كلام ابن الجوزي أن رحمة الله عزوجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم.

اما على صعيد الآخرة فالاسلام ايضا يقدم تفسيرا متجانسا حيث يقدم صورة لعذاب الكافر في النار وصورة لثواب المطيع في الجنة.. اما النصرانية فتجد نفسها مذبذبة امام هذه المفاهيم الموجودة في كتبها فتارة النار حقيقية وتارة هي معنوية وطورا هي خطوة مرحلية للتطهير.. وكل هذا للهروب من مفهوم القسوة فإلههم إله محبة مطلقة يفدي الخطاة بنفسه او ابنه فكيف يعذب الناس في نار ابدية؟؟ الا انهم مع انحيازهم لهذا التفسير لم يحلوا التناقض فالعقاب الآخروي يظل شيئا مرعبا (هل العذاب المعنوي سهل مثلا؟) ومناقضا لعقيدة الفداء.. والمشكلة ان الغاءه من الدين يعني الغاء الدين نفسه والغاء اثره في النفوس.. فالدين بدون عقيدة الجزاء يصبح فلسفة فارغة لا تؤثر في النفوس لا تحفيزا ولا ردعا.. لا سلبا ولا ايجابا..

5-2-8- كيف نقنع قلوبنا بصفات الله؟

اذا وافق معنا القارىء على كل ما قلناه حتى الآن فهذا لا يمنعه ان يسأل: الا تعتبر هذه الطريقة في الاحكام ظلما؟ بمعنى اننا قد نواجه كثيرا من الامور التي نشعر انها ظالمة بفطرتنا وانتم تمنعوننا من مجرد توجيه السؤال بردكم المفحم **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}الأنبياء23**نعم اقتنعنا عقليا بأن الله لا يتوجب عليه شيء؟ ولكن كيف نقنع قلبنا وفطرتنا وحواسنا بأن ما نراه ظلما ليس كذلك؟

نجيب بعون الله ان الظلم تعريفا هو تجاوز الحد وبما اننا جميعا خلق الله فلا يتصور منه الظلم بحقنا مهما فعل بنا حتى قال العلماء لو انه ادخل الكافر الجنة والمؤمن النار ما كان ظالما لنا. لكن طبعا نرى هذا نوعا من المبالغة لأن الله وعد ان يثيب المؤمن ويعاقب الكافر فلن يخلف وعده وما كان الله ليخلق لنا هذه الفطرة التي تنشد العدل ومن ثم يحاسبنا بما تأباه هذه الفطرة. ويشدد القرآن الكريم على ذلك في عدة مواضع **{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ }**فصلت46. ومن ثم يشير في عدة مواضع الى امثلة من هذا العدل **{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً }الإسراء15**

5-3- لماذا خلقنا الله؟

5-3-1- مقدمة

لماذا خلقنا الله؟ كي نعبده؟ وما الاهمية في ذلك؟ بالنسبة لنا نحن نفكر بالجنة والنار لكن ماذا بالنسبة له

5-3-2- نفي العلة الغائية عن أفعال الله

من المعروف ان العلة الغائية منفية عن الله. ما هي العلة الغائية اولا؟؟ هي العلة التي تدفع الكائن للقيام بامر ما من اجل الوصول الى هدف ما. مثلا انا ارتدي المعطف لاحمي نفسي من البرد. وهذه تتصور في حق الانسان وليس في حق الله. لان الله لا ينقصه شي اولا ولا يحتاج الى غيره ثانيا. ولكن ماذا عن النصوص الموهمة لوجود العلة الغائية؟ مثلا **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات56** انها ليست كما نتوهم اذ لو كان ذلك لاقتضى ان يكون الله جل جلاله مستكملا الوهيته بعبادة الناس وهذا منفي عن الله. نحن محتاجون اليه وهو ليس محتاجا الينا **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }**فاطر15

5-3-3- إثبات الحكمة في أفعال الله

ولكن هل هذا يعني ان افعال الله ليس لها هدف؟ معاذ الله اذ لو كان كذلك لكان هذا ضربا من العبث وهو منفي عن الله **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }الأنبياء16**. افعال الله تتصف بالحكمة ولها بالتالي علل ولكن يسميها العلماء علل جعلية وليس غائية. بمعنى انها علل متعلقة بالمصنوعات لا بالصانع. لتوضيح الامر: نقول لماذا وضع المزارع القمح امام الدجاج؟ العلة الجعلية هي ليأكل الدجاج ويسمن ولكن العلة الغائية التي دفعت المزارع الى ذلك هي تسمين هذه الدجاجات لبيعها. ومن هذا الباب يصبح الجواب على السؤال المطروح واضحا: العلة من خلق الله للبشر هي الامتحان والتكليف ولكن لا يحق لنا ان نسأل ابعد من ذلك.. فالعلل الغائية منفية عن الله.

5-3-4- لماذا تتبادر الى الذهن إذن هذه الامكانية؟

ذلك ان الانسان اعتاد على التعليل والبحث عن السبب.. ولكن ما ينطبق على العباد لا ينطبق على رب العباد.. وكأن السائل يتصور ان لله نفسية كنفسيات البشر وان علينا نحن البشر ان نحللها. علينا ان نتذكر دوما ان ما ينطبق على المخلوقات لا يطبق على الله مطلقا **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }الشورى11** ولو كان الامر كذلك لكان يحق لنا ان نسأل من خلق الله كما نسأل من خلق الكون.. لو قدر للعبة الزنبرك ان تفكر لظنت ان الذي اخترعها يتحرك بالزنبرك لأن هذا هو شكل العالم الذي اعتادت عليه. لا عيب ابدا ان نسأل عن الحكمة من افعال الله لا بل حتى الملائكة تسأل وتستفهم: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }البقرة30**.. لكن ان تأملنا من سؤالها ومن جواب الله عليها نجد ان السؤال كان عن الحكمة من خلق البشر وليس عن العلة الغائية .. ارادت

الملائكة ان تعرف ما الذي يميز البشر عن الملائكة فاعلمها الله انها قابلية التعلم حيث علم آدم الاسماء كلها. لم تسأل الملائكة عما يستفيد الله من هذا الامر او ماذ يعني له .. تعالى الله ان يسأل هكذا سؤال. **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }الأنبياء23**

5-3-5- لم لا نرى الحكمة في بعض الأمور؟

يسأل المشكك لم لا يفهم الحكمة من كثير من الامور؟ هذا يعود برأينا الى عدة عوامل:

1- غياب الفهم الصحيح للدين

مثلا قد نفهم الحكمة من خلق الانسان ولكن لا نفهم الحكمة من وجود الشر على الارض او لماذا يتعذب الناس بدون ذنب؟؟ وهنا نغفل عن الحكمة لأننا ننظر الى الحياة الدنيا وكأنها الحياة كلها في حين ان الاسلام يقول **{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }**العنكبوت64. فكل من يتعذب هنا ويصبر سيكون مصيره الجنة ان شاء الله. والاشارة اللطيفة هنا هو ان كثيرا من الحكم من وراء احكام الدين لا تظهر الا باستجلاء مبادىء وأسس هذا الدين.

2- اختصاص الله وحده بمعرفة الحكمة المطلقة

مع ذلك يبقى الذهن البشري قاصرا عن ادراك الحكمة من بعض الامور مهما تعمق في الدين: مثلا ماذا عن عقاب الله القاسي للكفار في النار؟؟ فهم مهما اذنبوا في الارض فلم يتعد كفرهم المئة عام فيكف يعاقبون على ذلك بالخلود في النار؟؟ قد يبدو هذا الامر منافيا للوهلة الاولى لمفهوم العدل.. لكن علينا ان نتذكر ان الرد يكون من وجهين: أولا ان الكفر بالله شيء عظيم جدا وبالتالي لربما كان هذا العذاب الشديد ترجمة لعظم حق الله تعالى على العبد فالكفر امر يهتز له العرش والسموات **{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً } مريم90** والوجه الاخر هو ان الحكمة ليست بالضرورة ان تبدو لنا اذ قد تكون مما اختص الله بعلمه.

5-4- لم يحاسب الإنسان على افعاله ان كان الله هو من شاء ذلك؟

5-4-1- مقدمة

هل انا مسلم لأنّ الله أراد ذلك أو لأنّني انا أردت ذلك؟ هل الكافر كافر لأنّ الله أراد له ذلك أو لأنّه هو اراد ذلك؟ بما أنّ كل شيء يحدث بمشيئة الله, فكيف يحاسب الكافر على كفره؟

5-4-2- الإنسان يحمل حرية الاختيار

الإنسان يحمل حرية الاختيار وإلا لما حوسب. أفلا نرى أنه محاسب في أعماله الاختيارية كالإيمان والكفر والمعاصي والعبادات وليس محاسبا في ما لا يملك كالحب والفقر و الموت. ألا نرى بأنه يسقط عنه التكليف إن أجبر على فعل شيء ما أو ذهبت قدرته على التمييز بأن جن أو فقد الوعي؟ ولكن إرادته لا تستطيع تحدي قدرة الخالق، فهي بالتالي من ضمنها.

5-4-3- حرية الانسان لا تناقض مشيئة الله

لنقرب الصورة إلى الذهن ونفترض أن الأب أعطى وكالة لابنه بالتصرف في بعض الأمور، فهل يكون ما يقوم به الولد ضد مشيئة أبيه؟ بالطبع لا فالأب قادر في أي لحظة على أن يسلبه الوكالة أو يلغي أي عمل قام به بموجب هذه الوكالة. ومن أبلغ الاقوال التي قيلت في هذا الموضوع " لو شاء الله ألا يعصى لما خلق ابليس". فالشر ليس ضد إرادة الله كما يظن بعضهم بل شاء الله أن يحدث هذا الصراع بين الخير والشر ليميز الناس ويدخل العصاة إلى النار والطائعين إلى الجنة.

5-4-3- جهل الانسان بمشيئة الله

الكافر كافر بمشيئة الله " **فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** " ولكن هل هذا يعطي العذر له ؟ إن قال لك الكافر : "أنا على هذا الدين لأن الله أراد لي كذلك" قل له كذبت. أنت لا تعرف ماذا شاء الله لك؟ الله أمرك أن تتبع أوامره لا أن تعلق الامور على مشيئته لأنك لا تعرفها. **{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}** . بمعنى آخر فالقضية واضحة، لماذا نشغل بالنا بالمشيئة وهي من صفات الله التي لا نستطيع أن نعقلها؟ هل من

الممكن أن تعقل ذات الله أو صفاته؟ ما هو الخلود أو الأزلية أو العلم الذي لا يزيد ولا ينقص؟ كلها أمور لا يستطيع عقلنا أن يحيط بها لأنه محدود. ولكن ما نعرفه أننا نختار أفعالنا ونحن محاسبون عليها. فعلينا إن أيقنا أن الإسلام حق أن نتبعه ولا نتعلل بأننا كفرنا به لأن الله لم يشأ لنا ذلك. فهذا كذب لأنك لا تعرف ماذا كتب الله لك.

5-4-4- الخلاصة

اما ان يأتي احدهم ويقول ولكن لماذا يريد الله ان يدخل الكافر النار؟؟ اذن هو ظالم؟ فهذا مثله مثل التلميذ الذي لا يريد ان يدرس ومن ثم يتهم الاستاذ والادارة بالظلم اذا فشل في الامتحان. لقد اعطانا رب العالمين الخيار **{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً ..}الكهف29** فكلنا مسؤول عن نتيجة خياره ويجب ان يتحلى بالجرأة الادبية ليتحمل نتائج خياره.

5-5- الحكمة من ابدية العذاب وابدية النعيم

5-5-1- مقدمة

لماذا يستحق الكافر العذاب الابدي هذا المخلوق الضعيف المحدود العمر و المحدود السيئات و نفس الوقت استحقاق المؤمن النعيم الابدي المحدود العمر و المحدود الحسنات ؟؟؟

5-5-2- الحكمة من الحساب

ان منح كل شئ وجوداً بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسَه صورة معينة، ووضعَه في موضع ملائم.. يبيّن بوضوح ان الامور تسير وفق عدالة وحكمة مطلقين. وكذا، اعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، وتوفير جميع ما يحتاج الى بقائه في افضل وضع، يدلّ على أن يد عدالة مطلقة هي التي تُسيّر الامور. فهل من الممكن أن تهمل هذه العدالة وهذه الحكمة تلك الحاجة العظمى، حاجة البقاء لأسمى مخلوق وهو الانسان؟ في حين انهما تستجيبان لأدنى حاجة لأضعف مخلوق؟ فهل من الممكن ان تردّا أهم ما يرجوه الانسان واعظم ما يتمناه؟.

فالانسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة. وانما تؤخّر الى محكمة كبرى. حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الانسان الصغير ثوابَه وعقابه لا على اساس صغره، بل على اساس ضخامة جنايته، وعلى اساس أهمية ماهيته، وعلى اساس عظمة مهمته.. وحيث ان هذه الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلاً لمثل هذه العدالة والحكمة بما يخص هذا الانسان – المخلوق لحياة ابدية – فلابد من جنة أبدية، ومن جهنم دائمة للعادل الجليل ذي الجمال وللحكيم الجميل ذي الجلال.

5-5-3- الكرم الابدي يتطلب دار ضيافة ابدية

ان تزيين وجه العالم بهذه المصنوعات الجميلة اللطيفة، وجعل الشمس سراجاً، والقمر نوراً، وسطح الارض مائدة للنعم، وملأها بألذ الأطعمة الشهية المتنوعة، وجعل الاشجار أواني وصحافاً تتجدد مراراً كل موسم.. كل ذلك يظهر سخاءً وجوداً لا حد لهما. فلابد ان يكون لمثل هذا الجود والسخاء المطلقين، ولمثل هذه الخزائن التي لا تنفد، ولمثل هذه الرحمة التي وسعت كل شئ، دارَ ضيافة دائمة، ومحل سعادة خالدة يحوي ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين وتستدعي قطعاً ان يخلد المتلذذون في تلك الدار، ويظلوا ملازمين لتلك السعادة ليبتعدوا عن الزوال والفراق، اذ كما ان زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة كذلك، فمثل هذا السخاء يأبى الايذاء قطعاً. أي ان الامر يقتضي وجود جنة أبدية، وخلود المحتاجين فيها؛ لأن الجود والسخاء المطلقين يتطلبان احساناً وانعاماً مطلقين، والاحسان والانعام غير المتناهيين يتطلبان تنعماً وامتناناً غير متناهيين، وهذا يقتضي خلود انعام مَن يستحق الاحسان اليه، كي يظهر شكره وامتنانه بتنعمه الدائم ازاء ذلك الانعام الدائم.. وإلا فاللذة اليسيرة – التي ينغّصها الزوال والفراق – في هذه الفترة الوجيزة لا يمكن أن تنسجم ومقتضى هذا الجود والسخاء.

5-5-3- لماذا العقاب الابدي مقابل جرم مؤقت؟

لا يخطرنّ على بال أحد ويقول: ما أهمية هذا الانسان الصغير وما قيمته حتى تنتهي هذه الدنيا العظيمة وتفتح دنيا اخرى لمحاسبته على اعماله؟ لأن هذا الانسان، هو سيد الموجودات رغم انه صغير جداً، لما يملك من فطرة جامعة شاملة.. فهو قائد الموجودات،

والداعي الى سلطان الوهية الله، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها، لذا فان له اهمية عظمى. ولا يخطرن على البال كذلك: كيف يكون هذا الانسان محكوماً بعذاب أبدي، مع أن له عمراً قصيراً جداً؟. لأن الكفر جريمة كبرى، وجناية لا حدود لها، حيث انه يهبط بقيمة الكائنات ودرجتها الى هاوية العبث، ويوهم عدم وجود الغاية من ايجادها.. انه تحقير بيّن للكائنات كلها وانكارٌ لما يشاهد من انوار الاسماء الحسنى كلها، وانكار آثارها في هذه الموجودات، ومن ثم فانه تكذيب ما لا يحصى من الادلة الدالة على حقيقة وجود ذات الحق سبحانه وتعالى، وكل هذا جناية لا حدود لها، والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدد بحدود.

وذلك مصداق قوله تعالى: **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (88) لقد جئتم شيئا إدا (89) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (90)**

5-6- هل جنة المسلمين مادية

5-6-1- مقدمة :

يعيب الآخرون علينا من نصارى وملحدين وعلمانيين أن وصف الجنة في القرآن يشدد على المحسوسات ولا يذكر المتع المعنوية كثيرا .. ويركز هؤلاء على قضية الحور العين خاصة حيث يعتبرون أن جنة الإسلام إباحية . والحقيقة أن الموضوع بسيط جدا ولايحتاج إلى كثير تأمل من فلسفة وجوانب فكرية تبقى قاصرة إلا إذا نظر المرء بنور الله وهذا هو دأب المؤمن وديدنه :

5-6-2- إشكالية المادي والمعنوي :

وهي اشكالية فلسفية وليست دينية فحسب, والخلاصة التي توصلنا إليها هي صعوبة التمييز في كثير من الأحيان بين المادي والمعنوي أو بين الجسد والروح .. بمعنى أنك حينما تجرح يدك بسكين هل يتألم جسدك أم روحك ؟ وحين يشرب الظمآن الماء هل يرتوي جسده أم أن روحه كذلك تشعر بالارتواء ؟ إن الجسد في حقيقة الأمر ليس سوى آلة وكل شي ينتقل عبر الحواس إلى الروح , لماذا نتهم المرأة التي تسعد لكون زوجها أهداها خاتما ثمينا بأنها مادية ؟ أليس من الممكن أن تكون قد سعدت لأن زوجها بذل المال الكثير في سبيل إسعادها وليس لقيمة الخاتم نفسه ؟ وعندما تبكي المرأة رقيقة الإحساس لأقل موقف انفعالي أليست عملية ذرف الدموع بحد ذاتها عملية مادية ؟ من هذا المنطلق يتضح لنا سبب وجود المتع المادية في الجنة : الإنسان روح و جسد وهو في الدنيا يتلذذ ويفرح بروحه وجسده ويتألم ويحزن بروحه وجسده أيضا ويعبد الله بجسده وروحه فلم لا يكون الجزاء من جنس العمل ؟

5-6-3- المتع المعنوية موجودة وبكثرة :

في الجنة متع معنوية خالصة كثيرة أهمها :

- رؤية الله عز وجل مصداقا لقوله تعالى (**وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره**)
- رؤية الأنبياء عليهم صلوات الله والعيش معهم مصداقا لقوله تعالى (**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**)
- جميع أهل الجنة من الأخيار مصداقا لقوله **تعالى (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)**
- الإنسان فى الدنيا قد يحزن على شىء مضى أو يخاف من المستقبل أما فى الجنة فلا يحزن ولا يخاف مصداقا لقوله تعالى (**أَهَـؤُلاء الَّذِين أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُون)**
- الإنسان فى الدنيا نهايته الموت وهذا يسبب له قلقا أما فى الجنة فلا موت مصداقا لقوله تعالى (**وهم فيها خالدون**)
- الإنسان فى الجنة لا يسمع الا الكلام الحسن مصداقا لقوله تعالى (**لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما**)
- الإنسان فى الدنيا قد تحدث بينه وبين الناس مشاكل أما فى الجنة فلا يحدث مصداقا لقوله تعالى (**ونزعنا ما فى صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين**)
- الإنسان فى الدنيا قد تحدث بينه و بين زوجه مشاكل أما فى الجنة فلا يحدث مصداقا لقوله تعالى (**ولهم فيها أزواج مطهرة**) ومن هذا التطهر التطهر من الرذائل المعنوية كسوء الخلق

–   في الدنيا حروب وصراعات مادية ونفسيه عكس الجنة مصداقا لقوله تعالى (**و الله يدعو إلى دار السلام**) فلا ندري إذا لم يتفق الآخرون معنا بأنها متع معنوية فكيف يمكن أن نتفق على أمور أخرى وإذا كنا متفقين أساسا فكيف عميت عنها أبصارهم وإذا رأوها فلم التعامي عنها؟

5-6-4- نظرتنا نحو الجنس مختلفة عن النصارى :

تنفر النصرانية من الجسد وتعتبر أن الجنس خطيئة , تقول الكاتبة كارين أرمسترونج : " فى القرن الثالث عشر الميلادى قال الفيلسوف اللاهوتي القديس توما الأكوينى – الذى ساد الفكر الكاثوليكى حتى عهد قريب – أن الجنس كان دائماً شراً .. لقد سلم أوغسطين إلى الغرب تراث الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها ، واعتبر ان المرأة هي سبب كل هذه التعاسة. لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معاً فى ثالوث غير مقدس. في حين ينظر الإسلام إلى الجنس كعبادة إذا كانت في الحلال. قال صلى الله عليه وسلم " وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟! قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا بلى : وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر " رواه مسلم. ولأنها عبادة كان لابد أن يكون كل طرف مخلصا وصادقا فيها، يبدأ بالوضوء ، ويقول الدعاء المأثور الذي علمنا إياه نبينا : " بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا " .

5-6-5- التفريق بين الإباحية والجنس :

أين الإباحية في القرآن الكريم في خصوص الكلام عن موضوع الحور العين ؟ هل هناك حديث عن دار دعارة جماعية للجنس كما يحدث في الغرب؟ إن الرجل في الحياة الدنيا يحق له بأن يحظى بأكثر من زوجة وفي الآخرة يبقى نفس المفهوم ولكن العدد يزداد نظرا لانعدام الضعف البشري والمادي هناك. إن اللذة تكتمل عندما ترضي الجانب المادي والمعنوي في الإنسان معًا، ولذلك فإن الله تعالى عندما أغرى الرجال بالحور، قدم أوصافًا تغري النفس (الجسد والروح)، فوصفهن بأنه لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، وأيضًا بأنهن حور مقصورات في الخيام.. وهذه الأوصاف ترضي الطموح النفسي للرجل، لا الميل الغريزي فيه فقط.. أي إن في الحوريات ما يرضي نفسه وروحه وهذا يغري بحبهن.. بالإضافة إلى أن الوعد بالزواج من هؤلاء الحوريات لا بالجنس معهن.. وهذا يضيف إلى تلك العلاقة قدسية وشعور السكن والمودة الموصوف في القرآن للعلاقة الزوجية. علينا أن نتذكر أن الجنس يحمل مفهومين أحدهما مستقذر وهو الشكل الإباحي الذي يبغي اللذة بأي طريق ولو عبر العلاقات غير الشرعية أو علاقات المثليين أو معاشرة البهائم والآخر هو الجنس المحترم وهو ما يكون مكللا بالعاطفية بين زوجين متحابين حيث يكون بالنسبة لهما أكمل تعبير عن الحب كما تكون القبلة واللمسة تعبيرا عن الحنان. والغريب أن أعداء الإسلام يسخرون من الجنس في الجنة، ويباهون في الوقت نفسه بممارسات جنسية خاطئة بكل المقاييس الشرعية والنفسية والصحية بدون أي حدود وضوابط في هذه الحياة الدنيا ، فإلى أين يريدون الوصول ؟!! هل الجنس حلال لهم وحرام على غيرهم ؟! أيكون الجنس بالسرقة والخيانة وانعدام المسؤولية مباركًا، ويصير الوعد به لمن ثابر وصبر إسفافًا ودونية لا يضاهيها شيء ؟! .

الباب السادس: حول محمد والقرآن

تمهيد

بينا في الابواب السابقة ضرورة وجود خالق للكون ومن ثم بينا ماهية الايمان وصفات الإله من وجهة نظر الاسلام ولكن يبقى علينا ان نشرح للمتشكك سبب يقيننا بالإسلام.. اليس هناك امكانية ان يكون دينا مزيفا كسائر الاديان؟ جوابنا اننا نؤمن ان الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما اخبر عن ربه وان القرآن الكريم معجزة خالدة.. فهل بعد هذا من دليل؟

6-1- هل محمد نبي؟

6-1-1- مقدمة

من الصعب علينا كمسلمين ان نذكر اسم المصطفى صلى الله عليه وسلم بدون ان نتبعه بالصلاة والتسليم لكن بما اننا نحاول ان نكون موضوعيين فقد حذفنا هذه التسمية من العنوان لانها تشكل بحد ذاتها دليلا على نبوته..

6-1-2- أدلتنا على نبوة محمد

قبل ان نعطي الادلة على ذلك دعونا نبدأ ببضعة اسئلة تمهيدية:

- لماذا الله هو الاله الحق؟

الاله الحق يتكلم عن نفسه.. وليس من المنطقي ان نثبت الالوهية لمن لم يدعها.. فالشمس والقمر والنار والاصنام لم تدع انها آلهة ولم ترسل لنا رسلا ولم تنزل علينا كتبا تتحدث فيها.. اما الله فقد فعل ذلك..

- هل وجود الانبياء امر معقول في ذاته؟

حتى نصل لهذه المرحلة نذكر بأننا اعترفنا بوجود اله.. اليس من المنطقي اذن ان تفترض ان هذا الإله ما كان ليتركنا دون ان يرسل الينا رسولا يرشدنا الى ما يريده منا.

- هل محمد نبي؟

نعود الى سؤالنا الذي سبق وطرحناه في اول الموضوع.. فلننظر بمنطق الى النقاط التي بصالحه:

رجل اشتهر بالصدق والامانة بين بني قومه فكيف نفسر ان يتحول فجأة الى كاذب؟

لو انه استغل دعوته للوصول الى السلطة او الجاه لحق لنا ان نشك فيه ولكن جميع مراحل حياته اتسمت بالزهد وفي مراحل عديدة رفض التخلي عن الدعوة من اجل الملك او الجاه.

لو كان كاذبا في ادعاء النبوة الم يكن هذا ليظهر على اقرب الناس اليه الا وهو الصحابة رضي الله عنهم؟ كيف كانوا مستعدين للموت من اجله لو لم يكونوا مقتنعين بصدقه؟

من اين جاء هذا الشخص الأمي بالقرآن الكريم وهو الكتاب المعجز؟

هل دعواه تناقض العقل؟ الم نتفق سابقا انه من المنطقي ان يرسل الله الينا رسولا.

6-1-3- اعتراضات على ادلتنا

- الا ينطبق منطقكم الميال لتصديق محمد على كل الاديان؟

- لا ينطبق وذلك لأننا بينا سابقا ان إله الاسلام (وهو نفسه إله اهل الكتاب.. إله ابراهيم واسماعيل واسحاق..) هو الإله الوحيد الذي تكلم عن نفسه .. اما آلهة الديانات الوثنية فلم تتكلم ولم تدعي الوهيتها..
- اما عن كونه ينطبق ايضا على ديانات اهل الكتاب فهذا مما لا ننكره فمحمد صلى الله عليه وسلم جاء خاتما لسلسلة النبيين. ونحن نعترف بأنبياء اهل الكتاب ولكن هم من ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. نحن كمسلمين نعتقد ان كثيرا من

الانحرافات حصلت في بقية الاديان حيث تحول النبي الى اله ونسب اليه ما لم يثبت انه قاله.. بمعنى اننا لسنا مضطرين ان نتهم عيسى عليه بالسلام بالكذب بل بنظرنا الكثير من كلامه قد حرف.. وادلتنا في ذلك اكثر من ان تحصى والمجال لا يتسع لها هنا..

- ماذا يختلف ادعاءكم بالانحراف والتحريف عن تكذيبهم للرسول؟

دون ان ننظر كثيرا في الماضي.. بل في الحاضر فقط.. الم يتحول الكثير من الزعماء والقادة الى رموز اسطورية لمجرد اغتيالهم او اعدامهم او موتهم بطريقة مأساوية؟ الم يحدث هذا في لبنان والعراق؟؟

الانحراف والتحريف والغلو شيء لا مفر منه في كل دين حتى في الاسلام نفسه.. الا يعترف كل دين بوجود فرق منحرفة انشقت عنه؟؟ هذا دليل ان الانحراف مقبول عقلا وثابت تاريخيا.. اما ان نكذب رجلا اشتهر بالصدق.. رجل تربع على قلوب االناس وضحوا من اجله بحياتهم ماضيا وحاضرا.. فهذ ادعاء عليكم ان تثبتوه... هو قال عن نفسه انه نبي واعطى البينة كما طلب منه... لكن انتم نفيتم نبوته بدون اعطاء اي بينة..

- وماذا عن الانبياء الكذبة؟ اليسوا موجودين؟

بلا شك.. اتفقنا ان النبوة ادعاء وعلى مدعيه ان يأتي بالبينة.. وقد بينا باختصار البينات التي تثبت كون الرسول نبي مرسل من ربه.. فهل تنطبق نفس الضوابط على مدعي االنبوة الآخرين مثل مسيلمة الكذاب ومؤسسي الديانات البهائية والقاديانية والاحمدية وشهود يهوة و المورمون...

- هل المطلوب منا ان نضيع كل حياتنا في دراسة الاديان كي نتأكد من صدقية كل نبي؟

لنفترض انك مبرمج حاسوب وبرمجت برنامجا يبحث عن حل مسألة ما عن طريق التجربة.. يظل الرنامج يبحث حتى يصل الى حل يعرضه عليك فاذا ما وصلت اليه فما الجدوى ان تبحث عن حل اخر؟؟ وبالمثل الذي لا يعرف الحق يبحث عنه فاذا وصل اليه فسيتوقف عن البحث لانه ارضى نفسه.. المسلم اقتنع بالاسلام ومن قناعته بالاسلام اقتنع ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين.. فلن يكون مهتما كثيرا بالبحث في بقية الاديان الا بغرض التيقن من دينه عبر مقارنته بغيره او بهدف دعوة الآخرين الى الحق.. قد يقول المخالف ولم لا تسمحون للنصراني او اليهودي ان يكتفي بما توصل اليه من دينه.. فنقول بعون الله ذلك لأن عقيدته غير منطقية وغير يقينية.. لا تثبت لا عقلا ولا نقلا.. اوهام وظلمات يتخبطون فيها... هذا هو الفرق.. وان اراد الاصرار انها مقنعة ومنطقية فليتحمل هو وزر ادعائه.. علما انه حين تكون المسألة مصيرية وفيها جنة ونار فهي تستحق الوقت الكثير والجهد..

6-2- الشبهات حول الرسول صلى لله عليه وسلم

6-2-1- مقدمة

الشبهات ضده تكاد لا تنتهي فمثلا هم يعرضون لكل قصة من قصص زواجه كي يتهموه بالشهوانية.. فعائشة رضي الله عنها اصغر منه بكثير..و يدعون انه اخذ زينب بنت جحش رضي الله عنها من زوجها.. وانه تزوج صفية بنت حيي رضي الله عنها رغما عنها بعد مقتل ابيها.. والقصص لا تنتهي.. ولو اردنا ان نرد لافحمناهم ولكن الام يظل ايماننا معلقا على حرف؟ وإلام نخاف من كل شبهة ان تفتنا عن ديننا؟؟ وإلام نضيع وقتنا الثمين في مواجهة قصص مفتراة من نسج اخيلة مريضة؟؟ بكل سهولة دعونا ننظر الى اصول هذه الاتهامات لا الى مواضيعها.. بمعنى آخر.. الام يريد هذا المشكك ان يصل؟ هو يريد ان يشكك باخلاق الرسول.. اليس كذلك؟

1- اتهام الرسول بالشهوانية
2- اتهام الرسول بالعنف
3- اتهام الرسول بالكذب

هل هناك من مغزى اخر عندك ايها المشكك؟ ربما

اذن اسمعني وبدلا من ان نناقش كل قصة بقصتها وتتعبني واتعبك.. لم لا ننظر لمسار حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من فوق.. بشكل متكامل.. لنرى هل من الممكن نسبة هذه النقائص اليه؟

6-2-2- موضوع الكذب

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالامانة والصدق حتى لقب بالامين.. والكاذب كما نعرف له سوابق.. من غير المنطقي ان رجلا يظل حتى الاربعين من عمره مشهورا بالصدق وفجأة يكذب في امر ليس له فيه مصلحة.. فهو لم يطالب بملك ولا بجاه بل عاش حياة زاهدة فقيرة وعاني فيها الامرين حتى استتب الوضع للاسلام..

ثم ان صدقه والتزامه بالعهود شهد به العدو قبل الصديق في عصره.. الا قلة من الناس لم تجد دليلا ابدا على افتراءها انما دافعها اليه كان الحسد والحقد... وقلنا سابقا لماذا فداه الصحابة رضي الله عنهم بأرواحهم ان كان كاذبا؟ وهل معقول انه غشهم كلهم خلال كل هذه الاعوام؟ ثم اين هي تجليات هذا الكذب؟ في نسبة الوحي الى الله فقط؟ نحن لا نجد لديكم اهتماما بنسبة الكذب اليه الا في هذه الواقعة لانها لا تناسب هواكم.. للاسف هو الحسد .. الحسد الذي يدفعنا الى نكران الحقائق امامنا بأي وسيلة وحتى بدون دليل.. فقط كي نبرر اسباب فشلنا..

6-2-3- موضوع الشهوانية

لا يحارب ديننا الفطرة البشرية ولا يقبل بالنسك والرهبانية.. فالشهوانية ليست عيبا ان فرغ الانسان طاقته في حلال.. اي نعم تصبح منفرة ان طغت على سائر اهتمامات الانسان واصبحت شغله الشاغل.. فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم هكذا؟؟ يا قوم فكروا قليلا بمنطق.. متى رأيتم الرجل الشهواني المنغمس في اللذات يقيم امة من الانقاض لتصبح اكبر امبراطورية في التاريخ؟؟ ان جل وقت الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصرف الى دعوة الامة ونصفه الآخر في العبادات حيث يروى عنه انه كان يترك زوجته في الفراش ويقوم ليتعبد لله في جوف الليل.. هذا من جهة ومن جهة اخرى هل يصبر الرجل الشهواني على زوجة تكبره بخمسة عشر عاما حتى الخمسين من عمره؟؟ حتى اذا توفت عدد بعدها ولكنه لم يتزوج الا الثيبات باستثناء سيدتنا عائشة رضي الله عنها.. اليس من المنطق ان نقبل بالتفسير الاسلامي الذي يقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج لدواع دعوية واجتماعية؟؟ ثم ان كان التعدد بدعة بنظرهم فلم لا تثور ثائرتهم ضد ما سجل في كتبهم ان انبياءهم عددوا ايضا..

6-2-4- موضوع العنف

ايضا لا نفهم معنى نسبة العنف الى الرسول صلى الله عليه وسلم؟؟ يتهيأ لنا ان ذاكرة المشكك مبتوره وان لغته غير حيادية او موضوعية اطلاقا.. فهو لا يقرأ ان قريشا اضطهدت الرسول صلى الله عليه وسلم وعذبت اتباعه وطردتهم وهجرتهم وحاربتهم وضيقت عليهم الخناق حتى في المدينة حيث هاجروا انما يقرأ فقط ان الرسول صلى الله عليه وسلم حاربهم علما انه فتح مكة سلميا في النهاية وبدون اراقة دم.. يقرأون ما حدث من حروب مع اليهود ولا يقرأون نقض هؤلاء للعهود وخياناتهم المتكررة التي كانت لتقضي على برعم الاسلام لولا ان تعهد الله عز وجل بحفظ هذا الدين وحفظ كتابه الكريم وحماية رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

حسبنا ان نقول ان عدد القتلى في كل معارك الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز الالف فمن اين جاءت هذه الدموية المزعومة؟ ولم ينظرون بنفس الوقت بعين الاكبار الى ابطالهم الذين حرروا بلادهم او اقاموا الامبراطوريات؟؟ ام هو حلال عليهم ومحرم علينا؟ حلال ان يحاربوا في سبيل الشيطان وحرام علينا ان نحارب في سبيل الله.. وحسبنا في هذا الموضوع ثقتنا بحقائق التاريخ وبشهادات مؤرخيهم المنصفين ان التاريخ لم يعرف فاتحا ارحم من العرب..

6-2-5- هل المشكلة مع محمد ام مع رب محمد؟

وانطلاقا من النقطة السابقة نشدد على نقطة مهمة وهي ان مشكلة المشكك في الحقيقة ليست مع محمد صلى الله علي وسلم انما مع رب محمد وكل النقاط المثارة كان يمكن تجاوزها لو لو يكن محمد نبيا .. ففي موقعة بني قريظة مثلا نحن كمسلمين نوقن ان الحكم باعدامهم جاء ربانيا.. وكذلك قتل الاسرى قبل الاثخان في الارض.. فليس للمشكك ان يلوم محمدا في هذه الحالة بل عليه ان يطرح السؤال على مستوى اخر.. هل اله الاسلام هو الاله الحق؟ وهل يأمر الاله الحق بالعنف ضد البشر الذين خلقهم؟

6-2-6- الجدال في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كشخصية مستقلة غير حاسم

يحكم الانسان بطبعه بشكل شخصي على الناس ويفسر تصرفاتهم بطرق مغايرة حسب قناعته بفكر الشخص وحبه له.. فانت ان احببت انسانا مثلا لرأيته شجاعا بينما من يكرهه سيراه متهورا.. وتراه كريما بينما مبغضه يراه مبذرا.. وان تكلم رأيته مفوها ومبغضه يراه متفلسفا.. وان تكلم بثقة قلت عنه شخصيته قوية ومبغضه يراه مغرورا متبجحا..

لذلك لا عجب ان ترى ان العالم انقسم حول شخص محمد صلى الله عليه وسلم بين محب يرفعه الى اعلى عليين على المستوى البشري ويتبرك بأي اثر منه ويقتدي به .. وما بين مبغض له يرى في كل تصرف منه دلالة فعل اثيم.. وطبعا نحن كمسلمين من الطرف الاول ولكننا لا نطلب يوما من خصمنا ان يعتنق نظرتنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.. يكفينا منه ان يكون منصفا له ويدرسه كما يدرس أي شخصية تاريخية اخرى.. فالايمان لن يكون من وراء شخصية الرسول والنقاش حولها انما من وراء مضمون دعوته ومحتوى الكتاب الذي انزل عليه واعجازه.. حتى اذا اقتنع انه فعلا نبي مرسل تمكن من الوصول الى المحبة التي نشعر بها نحوه...

7-2-6- تشكيل الذوق الشخصي ليتناسب مع مقررات الدين

على ان هناك نقطة مهمة يجب الانتباه اليها في موضوع الشكوك الا وهو ان العقل لا يحكم على الشرع بل يكيف نفسه لينسجم مع الشرع.. ارايت ان كان رجل يفضل المرأة البيضاء ومن ثم احب سمراء افلا يكيف معايير الجمال عنده مع صفات معشوقته ؟؟ ولله المثل الاعلى فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال: "لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به" ونص العلماء على كون الحسن والقبح امور اعتبارية وليست مطلقة. بمعنى ان الانسان سواء استعمل عقله او فطرته او غريزته او حواسه سيظل قاصرا وحده على ادراك الحق ومن هنا عليه الايمان بالاحكام الشرعية دونما اعتراض ولو خالفت ظاهريا احد هذه الاركان السابقة..

3-6- هل القرآن الكريم من تأليف محمد؟

1-3-6- مقدمة

في بحثهم المتواصل لإيجاد مصدر بشري للقرآن الكريم، تفتقت تهيئات كثير من الناقدين للإسلام، عن فكرة وهي: القرآن الكريم اختراع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأهداف ثلاثة:

1. تسهيل السيطرة على أتباعه.
2. تخويف المنافقين والكفار ومن يخرج عن أوامره.
3. إباحة ملذاته.

وهذا الفصل هدفه مناقشة هذه التهمة

2-3-6- اسلوب السنة الشريفة مختلف عن اسلوب القرآن الكريم

إن أسلوب القرآن يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التي جمعت أقوال محمد صلى الله عليه وسلم ، وقارناها بالقرآن، لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر في كل شيء، في أسلوب التعبير، في الموضوعات، فحديث محمد صلى الله عليه وسلم تتجلى فيه لغة المحادثة والتفهيم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافة، بخلاف أسلوب القرآن الذي لا يعرف له شبيه في أساليب العرب.

3-3-6- هل يستطيع المرء ان يكتب باسلوبين؟

يستشعر القارئ في فطرته عند قراءة كتب الأحاديث شخصية بشرية وذاتية تعتريها الخشية والمهابة والضعف أمام الله، بخلاف القرآن الذي يتراءى للقارئ من خلال آياته ذاتية جبارة عادلة حكيمة خالقة بارئة مصورة، رحيمة لا تضعف حتى في مواطن الرحمة. فلو كان القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم لكان أسلوبه وأسلوب الأحاديث سواء. ومن المسلم به لدى أهل البصر الأدبي والباع الطويل في اللغة. أنه من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له في بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا جذريا. خاصة ان أكثر القرآن الكريم نزل فجأة دون انتظار منه صلى الله عليه وسلم.

6-3-5- الاعجاز القرآني

محمد صلى الله عليه وسلم أمي وما درس ولا تعلم ولا تتلمذ، فهل يعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد، المسلم وغير المسلم حتى أصبح مصدرا من مصادر التشريع في أوروبة، فكيف يستطيع هذا الأمي – وهل يتأتى له – أن يكون هذا القرآن باعجازه اللغوي الفريد الغريب وإعجازه التشريعي المتكامل اجتماعيا واقتصاديا ودينيا و سياسيا... هل يمكن لهذا الكتاب أن يكون من عنده ؟

في القرآن أخبار الأولين بما يغاير أخبارهم في الكتب المتداولة أيام محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه إعجاز علمي في الكون والحياة والطب والرياضيات . . . وذلك بالعشرات بل والمئات، فهل يعقل أن هذا الأمي قد وضعها ؟ وكيف عرف الأمي أن الأرض كروية بشكل بيضوي "**والأرض بعد ذلك دحاها**" ؟ وكيف عرف الأمي نظرية انتشار الكون "**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**"؟ وكيف عرف الأمي أن عناصر المادة في الكون واحدة "**أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما**"؟ وكيف عرف الأمي أن كمية الهواء في الأجواء تقل إلى درجة أن الإنسان يضيق صدره فيها "**يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء**" ؟ وكيف عرف أن الشمس والقمر يسبحان في هذا الفضاء "**وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى**" ؟ وغيرذلك عشرات وعشرات . . . كيف عرف الأمي هذه الحقائق العلمية وهي التي عرفت اليوم في المخابر الحديثة والأقمار الصناعية ؟

6-3-6- عتاب القرآن الكريم للرسول

في القرآن الكريم عتب ولوم لمحمد صلى الله عليه وسلم في مواضع عديدة مثل: سورة كاملة عنوانها " عبس " من آياتها : "**عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعة الذكرى، أما في استغنى، فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى**".

"**عفا الله عنك لم أذنت لهم**" ، (التوبة : 43). "**وما كان لنبي أن يغل**" آل عمران (161). "**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم**" ، (الأنفال : 67). "**ما كان للنبي والذين امنوا أن يستغفروا المشركين ولو كانوا أولي قربى**" (التوبة : 113). "**ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا، إلا أن يشاء الله، واذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا**" (الكهف : 23 – 24). "**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**" (الأحزاب 37) . "**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم**" (التحريم). هذا العتب وغيره كثير ، فهل يعقل أن يؤلف محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب ثم يوجه العتب إلى نفسه ؟ وحوادث عديدة قام بها محمد صلى الله عليه وسلم آنيا مع أصحابه ثم تبدلت في نص القرآن فلم يجد في نفسه غضاضة، فلو كان القران من عنده لما قام بها ودونها، بل لغيرها وعمل الأنسب دون تسجيل للحادثة.

6-3-7- التأخر في نزول الوحي عند بعض الملمات

كانت تمر على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الملمات الكثيرة، والقضايا العديدة التي تتطلب جواباً سريعاً كحقيقة حادثة الإفك، والثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك..وكانت حاجته القصوى تلح عليه بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالأ ومجالأ، ولكن كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها إلليالي والأيام ولا يجد في شأنها قرآنا يقرؤه على الناس.

6-3-8- العبادات الشاقة وتحريم الملذات

ما جاء في القرآن الكريم من عبادات شاقة، وتحريم ملذات يتوق إليها أي إنسان، ولم يكن لقريش أي غضاضة للقيام بها. لا يعقل أن يكون هواه قد أجبره على قيام أكثر الليل، وعلى الوصال في الصوم.. وعلى تحريم ما تهواه النفس من شرب الخمر، والربا، ولبس الذهب والحرير، وقبول الصدقة، وتوريث الأبناء..

6-3-9- خلو القرآن من اي اشارة الى حياة الرسول الخاصة

خلو القرآن الكريم من تسجيل حوادث مهمة في حياته، وأسماء أحبائه وأقرب المقربين إليه (والديه، أبنائه، السابقين إلى الإسلام، نسائه..) بل لم يذكر اسمه في القرآن الكريم إلا أربع مرات فقط. توفيت زوجه خديجة رضي الله عنها، وعمه أبو طالب، وابنه

إبراهيم دون أن يذكر القرآن الكريم من ذلك شيئاً يواسيه. وتزوج من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دون أن يسطر ذلك في القرآن الكريم، بينما زواجه من أم المؤمنين زينب رضي الله عنها فقد تحدث القرآن الكريم عنه؛ لكونه ذا صلة بالتشريع.

6-3-10- اين المصلحة المدعاة؟

ماذا يريد الإنسان من دعوى النبوة إن كان كاذباً ؟ إنه لا يريد أكثر من الجاه والمال. وقريش عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقصى ما يتمناه خيال أي عربي في ذلك الزمان، من مال وجاه ونساء.. ولكنه ترك ذلك كله، وكان ينام على حصير أثر على جنبه الشريف صلى الله عليه وسلم ، وتعرض لعدة محاولات لاغتياله. وحارب المشركين.. رغم أنه كان يمكنه المكوث في عز وهناء، لو ترك الدعوة إلى دين الإسلام.

6-3-11- الخلاصة:

1- محمد نفى أن يكون كاتب القرآن...

والنفي اقرار لا يحتاج أن يأتي الإنسان معه بدليل.. إنما البنية على من ادعى كما بينا سابقا.. ففي قضية النبوة قلنا إن محمدا عليه الصلاة والسلام قد جاء بالبينة على نبوته (على أساس ان النبوة ادعاء) وبقي على المنكر تكذيب أدلته وقد فشل هذا المنكر.. لكن في قضية القرآن الكريم لا يحتاج محمد لبينة كي ينفي انه كتبه.. بل المعترض عليه أن يأتي بدليل انه كاذب..

2- من أين أتى النبي الأمي بالمعلومات؟

كرجل أميّ لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام قادرا أن يأتي بالمعلومات عن طريق القراءة لذلك ادعى المشركون انه تلقى المعلومات عن رجال دين يهود ونصارى ويرد على هذه الحجة بجملة أمور:

- لم يثبت أتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بهؤلاء وأخذه عنهم.. إنما هي مجرد لقاءات عابرة.
- لم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة إنما على مراحل وعلى مدار ثلاث وعشرون عاما فكيف كان هؤلاء يساعدونه وهو بعيد عنهم؟؟
- كان معظم هؤلاء من الأعاجم و القرآن عربي اللغة فصيحها.
- كان علماء أهل الكتاب يتسترون على كتبهم ويخفونها في قراطيس ليسيطروا بها على أفهام الناس وعقولهم فما مصلحتهم في تعليمها لرجل غريب عن ملتهم وقومهم؟
- لو أن المعلومات التي جاء بها الرسول الأمين تتطابق كليا مع ما جاء من أخبار الكتب السابقة لقلنا ان الكلام فيه ما فيه ولكن بعض هذه المعلومات جديد وأكثرها يصحح ما ورد في هذه الكتب.

3- تضارب الاتهامات وتهافتها

- لو أن المشركين قديما وحديثا وجدوا أدلة دامغة على من ساعد محمدا عليه الصلاة والسلام لكانوا أذاعوا اسمه وأتوا بادلة تبين الزمان والمكان والكيفية.. لكنهم في كل مرة كانوا يقولون اسم شخص مختلف دون أن يثبتوا كيفية الاتصال والتلقي..
- ولو أنهم وجدوا حجة واضحة ضد محمد صلى الله عليه وسلم وسر الكتاب الذي جاء به لاستقروا عليها ولكنهم كانوا يقولون في كل مرة ذريعة مختلفة فتارة هو شاعر وتارة أخرى هو كاهن وطورا هو ساحر وأحيانا هو مجنون.. هذا في العصر الماضي أما في الحاضر فيقول لك البعض محمد كذاب ومريض نفسي إذا تكلموا عن ظاهرة النبوة ومن ثم ينقبلون مئة وثمانين درجة ليبرروا انجازاته في انشاء أمة متقدمة موحدة من عرب الصحراء فيقولون لك إنه كان قائدا عظيما وعبقريا سبق عصره..
- ولو أن هذه الحجج متضامنة لربما استطعنا أن نفهمها ولكن هذه الحجج متناقضة كما بينا.. فالمجنون لا يمكن أن يكون قائدا ملهما لعصره وللعصور اللاحقة.. والكاذب لا يمكن أن يكون رجلا عظيما يخلد ذكره التاريخ بأحرف من نور..

- هذا وقد سجل القرآن الكريم تناقضهم هذا بأسلوب رائع حينما قال: " **بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**" حيث جمع كل هذه التهم في جملة واحدة مع انهم لم يقولوها في مناسبة واحدة اظهارا لتناقضهم الفاضح.

4- تساؤلات مشروعة

- من علّم محمدا الأمور التي لا يعرفها؟؟
- لم نفى محمد نسبة القرآن إليه وأي شخص في العادة يحب أن ينسب العمل المبدع إليه؟ لم ينسب مؤسسو الديانات الطاوية والكونفوشيوسية والبوذية كتبهم وكلامهم الى الله..
- إذا قام باخفاء ذلك كي يسيطر على عقول الناس فهل استفاد من ذلك؟ هل عاش حياة بذخ؟ هل أخذ أجرا على ذلك؟
- تستطيع أن تكذب على كل الناس لبعض الوقت وكل بعض الناس لكل الوقت.. لكن لا تستطيع أن تكذب على كل الناس كل الوقت.. فكيف صودف أن كل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم صدقوه كل هذا الوقت؟
- إن كان هو مؤلف القرآن، لم تأخر حتى يحمي عرضه من كلام الناس في حادثة الإفك حيث لاك بعض الناس سمعة زوجته الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها؟ اما كان من الافضل له ان يحسم الموضوع امام سلبا او ايجابا منذ بدء الازمة بدل ان ينتظر شهرا كاملا حتى يبرئها فيه؟
- إن كان هو مؤلف القرآن، لم يعاتب نفسه في محطات عديدة في القرآن؟ كما في حادثة عبس وتولى حين نزل فيه العتاب لأنه انشغل بدعوة صناديد قريش عن الاهتمام بالضرير المؤمن ابن ام مكتوم فكان فيما بعد يبتسم بوجهه ويبش قائلا: اهلا بمن عاتبني به ربي.
- ما سر التمايز بين الأسلوب القرآني وأسلوب الحديث الشريف؟ وهل يوجد أديب يستطيع أن يكتب بطريقتين مختلفتين تماما؟ لو أن كل ايات القرآن الكريم تنزل في مكان خفي وبعد خلوة لأمكن تفهم ادعاء البعض انه كان يحضر آيات القرآن سلفا ولكن بعضها كان ينزل فورا عقب حدث معين فكيف كان يخرج بهذا الأسلوب المميز في كل مرة؟؟
- على أن التمايز بين القرآن الكريم والحديث الشريف ليس في البلاغة فحسب بل في عمق المعاني.. فبضع المعاني القرآنية تنطوي على مفاهيم فكرية عميقة وأصعب من أن يقولها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي تميز أسلوبه بالشرح والسهولة والتبسيط والذي لم يخالط الفلاسفة والمفكرين حتى نقول إنه جاء بها...
- من الغريب أن يكتب أحدهم كتابا على مدى عشرين عاما دون أن يبدو في طياته آثار حياته الشخصية ودون أن يسجل حزنه لوفاة زوجته مثلا أو دون أن يهتز الأسلوب ويتغير المضمون.

6-4- لماذا القرآن الكريم فريد من نوعه؟

6-4-1- مقدمة

يسأل الباحث عن الحق فيقول انه لم يصل الى اليقين الكامل بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله و أن القران الكريم كتاب الله... فليس الكل ماهرا لغويا حتى يتمكن من معرفة الاعجاز البياني في القرآن الكريم و أيضا ليس الكل ماهرا علميا حتى يميز الاعجاز العلمي خاصة وان لغة القرآن تحتمل عدة معان من وراء العبارة الواحدة.

6-4-2- هل يتطلب الامر دراسة معمقة بالقرآن الكريم حتى نكتشف اعجازه؟

نسمع الكثير ممن يقولون ان القرآن الكريم صعب فكيف نستطيع ان نفهم اعجازه؟ وماذا لمن لا يتقن اللغة العربية جيدا؟ كيف سيميز اعجازه؟ وكيف سيفهم الاجنبي اعجازه وهو باللغة العربية؟ وهل ادلة الاعجاز العلمي يقينية؟ الا يجب ان يكون الامر اكثر بداهة ولا يتطلب كل هذه البحوث والعلوم؟

1- القرآن ميسر للفهم

الحقيقة ان القرآن الكريم ليس صعبا بل هو ميسر لكل الناس من حيث كونه كتابا للدعوة "**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**" فمن منا لا يدرك بساطة و قوة "**قل هو الله احد**" التي تختصر العقيدة الاسلامية كلها. الا ان التبحر في معاني القرآن البعيدة واستنباط الاحكام والعبر يحتاج لشخص مجتهد ومتبحر وهذا ليس مطلوبا من الفرد العادي..

2- القرآن الكريم فريد من نوعه حتى قبل ان تقرأ مضمونه:

وذلك لأنه يملك الخصائص التالية:

1- الكتاب الوحيد الذي يدعي انه كلام الله المباشر في حين ان بقية الاديان تقول ان كتبها المقدسة هي كلام اشخاص عبروا بالفاظهم الخاصة عن المعاني الموحاة اليهم..

2- هو الكتاب الوحيد الذي لم يجد منتقدوه اي دليل لنسبته الى انسان او حتى اي امكانية شبه منطقية..

3- الكتاب الوحيد الذي تحدى الناس ان يأتوا بسورة من مثله وعجزوا عن ذلك مع وجود الداعي لذلك.

4- الكتاب الوحيد الذي لم يثبت وجود اي تناقض فيه

5- الكتاب الوحيد الذي لم يحرف على مدى 14 قرنا ولم يختلف فيه ولا على اي فاصلة..

بالمناسبة القرآن الكريم يحمل في طياته أدلة على هذه المميزات.. فلا يستدعي الامر عبقرية كي تعرف الادلة فهي مما تكلم عنه القرآن الكريم نفسه:

1- كلام الله وليس كلام محمد: **وما ينطق عن الهوى – ان هو الا وحي يوحى** (النجم 3-4)

2- استحالة نسبته الى بشر: **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (النحل 103)**

3- التحدي: "**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ..." **(البقرة 23)**

4- عدم التناقض: **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (النساء 82)**

5- الحفظ: **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (الحجر 9)**

6-4-3- وماذا عن الاجنبي الذي لا يعرف العربية؟ كيف يشعر بالاعجاز؟

الجواب ان معاني تفسير القرآن الكريم لا تفقد من تأثيرها بالناس حتى بعد ترجمة تفسيره ذلك ان اهم اعجاز واوضحه هو سمو القرآن الكريم وطريقة المخاطبة المتفردة والجليلة التي يخاطب فيها البشر.

وفي ذلك لن نأخذ شهادة شخص ولد مسلما بل سنأخذ شهادة شخص اعتنق الاسلام عن قناعة. يقول عالم الرياضيات جفري لانج الذي اعتنق الاسلام: إنك إذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة فإما أن تكون لتوك قد استسلمت له أو أنك ستقاومه فهو يحمل عليك وكأن له حقوقا عليك بشكل مباشر وشخصي وهو يجادلك ويتحداك وينتقدك و يخجلك ومن حيث الظاهر يرسم خطوط معركة ولقد كنت على الطرف الآخر من المواجهة ولم أكن في وضع يحسد عليه إذ بدا لي واضحا أن مبدع القرآن يعرفني أكثر مما كنت أعرف نفسي الفنان يستطيع أن يجعل العين في أي لوحة يرسمها وكأنها تنظر إليك حيثما كنت لكن ليس أي مؤلف يستطيع أن يكتب كتابا مقدسا يتوقع فيه حركاتك وسكناتك اليومية لقد كان القرآن يسبقني دائما في تفكيري ويزيل الحواجز التي كنت قد بنيتها منذ سنوات وكان يخاطب تساؤلاتي في كل ليلة كنت أضع أسئلتي واعتراضاتي ولكنني كنت أكتشف الإجابة عليها في اليوم التالي يبدو أن مبدع القرآن كان يقرأ أفكاري ويكتب الأسطر المناسبة لقراءتي القادمة كنت أشعر بالانقياد وأشق طريقي إلى الزاوية التي لا تحوي سوى خيار واحد.

6-4-4- يكفي لتقرير التفوق البياني اقرار اهل الاختصاص

حسب القاعدة رقم (5) في الفصل (1-3) فإنه يكفي لتقرير التفوق البياني إقرار اهل الاختصاص وهي نقطة تكلم عنها الدكتور عبدالله دراز في كتابه النبأ العظيم.. فإن قال احدهم: انا لا اعرف في اللغة فكيف اقر باعجاز القرآن البياني.. نقول له يكفيك اقرار اهل البلاغة بذلك.. فقد ثبت ان عددا كبيرا من الادباء على مر التاريخ حاولوا مضاهاة القرآن الكريم فعجزوا ومنهم من ايقن بالعجز بدون محاولة حتى.. ذلك ان اهل الصناعة هم ادرى الناس بصناعتهم.. فقد كان السحرة اول من آمن بموسى عليه السلام

لأنهم عرفوا ان ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر فهم اخبر الناس بالسحر واساليبه وكذلك الادباء العرب هم ادرى الناس بالشعر والبلاغة ويعرفون مقدرة البشر وحدود ابداعهم..

6-4-5- مزيد من التفصيل في مميزات الاسلوب القرآني

1- القرآن فوقي اللهجة

المميز في تجربة لانج انه استعمل فيها المنطق الرياضي الذي يقول "خذ الافتراض على إنه صحيح وانظر الى أين يوصلك" فعلى هذا الاساس افترض جيفري لانج لا شعوريا انه يقرأ كتابا من رب العالمين فوضع في فكره محاولة فهم الامور على هذا الاساس الا ان بدا له ما يخالف هذا الافتراض بشكل جلي. ونحن اظن ان من يقرأ القرآن بهذه الروحية سيصل في النهاية الى الحقيقة اما ان قرأه بنفسية من يتشكك به منذ البداية باحثا عن شواهد متفرقة مأخوذة بشكل عشوائي ليثبت حكما مسبقا استقر في ذهنه فلن يفهم القرآن. ذلك ان القرآن وكما اشار لانج ليس كتابا مسالما.. انه لا يهادنك بل يتحداك.. انه يدفعك ان تأخذ موقفا منه.. فاما تستسلم له وتقر انه من لدن عزيز خبير او ان تحاربه.

2- تركيزه على العبر والمبادىء

الميزة الاخرى التي تميز القرآن الكريم انه لا يهتم بالتفاصيل وقد يصور نفس الحادثة من عدة زوايا مركزا فيها على العبر التي تفيد الانسان في كل مكان وزمان لا على الاشخاص وهنا مصدر الاختلاف الاساسي مع كتب سائر الاديان التي تحتوي على تفاصيل لا تليق بكتاب منزل مثل صفحات كاملة من الارقام والانساب والقياسات. ولا عجب فالقرآن كما قدمنا كتاب يتكلم فيه الله مباشرة وهو امر لا تدعيه هذه الكتب بل تعترف انها شهادات شخصية لاشخاص اوحي اليهم هذا الكلام بالمعنى لا بالنص. ففي حين نجد ان هذه الكتب تحمل نفسية الكاتب واهتماماته وعقلية عصره واحيانا تناقضاته.. نجد في المقابل ان القرآن الكريم منسجم مع نفسه لا يكذب بعضه بعضا ولا يتناقض مع الاحداث التاريخية او العلمية مصداقا لقوله " **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** "

3- تركيزه على توحيد الله والايمان باليوم الآخر

يقول احد المفكرين الإسلاميين: كي تعرف أي كتاب هو فعلا كتاب الله فلنبحث في أيها ورد اسم الله أكثر؟ ففي حين يرد لفظ الجلالة ألاف المرات في القرآن الكريم بحيث لا تخلو صفحة منه فانك قد تقرأ صفحات كاملة من الكتاب المقدس لا تمر فيها هذه الكلمة، كذلك لا يرد الكلام عن يوم الحساب الا لماما وبصورة مجردة جدا وجافة في الكتاب المقدس. ان تركيز القرآن الكريم على مواضيع التوحيد والحساب قد يبدو مملا لمن يبحث عن التشويق والمتعة لكن علينا ان نتذكر ان القرآن الكريم كتاب تربية والتربية تحتاج للتكرار اولا ثانيا هو كتاب عبادة ودعاء والدعاء لا يكتفى فيه بالمرة الواحدة بل يحتاج الى اصرار وتوكيد من الداعي.

4- القرآن يركز على العقل ويفهم نفسية الانسان

كما اشار لانج يتحدى القرآن الكريم الناس ويستفزهم لتشغيل عقولهم ويسخر من ذهنية التقليد الاعمى وعبادة ما لا ينفع ولا يضر. وتتردد عبارة "افلا يعقلون" كثيرا كي تهز وجدان المشرك بالله او المكذب بتعاليمه. كذلك يصور القرآن نفسية الانسان الضعيفة والمتخاذلة والجحودة عبر كشفه لما تخفيه القلوب ويكشف زيف النفاق ويكسر كل انواع الحجج الواهية التي يستعملها الناس لتبرير اخطاءهم. ويشير القرآن كذلك الى كافة التشوهات العقلية التي يعاني منها الناس ويمنح الانسان فرصة لاصلاح نفسه عبر تبصيره بطرق الهداية التي تكفل له السعادة الحقيقية. وما اجمله من كلام نصيحة والد محمد إقبال له: يابني إقرأ القرآن وكأنه يتنزل عليك..

6-5- هل التميز اعجاز؟

6-5-1- مقدمة

عرّف العلماء اعجاز القرآن بقولهم: "هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفّر ملكيّتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحدّيهم وتقرير عجزهم عن ذلك" ونحن كنا قد أثبتنا في الفصل السابق أن القرآن متميز لكن لم نثبت انه معجز بعد. قبل أن نبدأ الجواب سنذكر بعض المبادىء العامة التي قد تساعدنا في الجواب.

6-5-2- مبادىء مساعدة

1- التواتر:

التواتر اللفظي هو حين تتضافر الأقوال لتقرير حادثة معينة.. والتواتر المعنوي هو حينما تتضافر الأقوال لاثبات ظاهرة معينة.. مثال على ذلك إننا لا نملك حادثة واحدة مؤكدة ومتواترة تؤكد أن حاتم طي كان كريما.. ولكن كل هذه القصص التي تروى تواترت على معنى واحد تؤكد كرمه فلم يعد كرمه مصدر شك..

2- غياب الاحتمال البديل: أو استحالة النقيض

إن من أقوى الأدلة على اثبات الشيء هو اثبات استحالة نقيض هذا الشيء.. مثال:

- كي نثبت للملحد وجود الإله.. يكفينا أن نثبت استحالة النشوء الذاتي للكون... فالأول قد يحاجج فيه كثيرا ويقول لك اين هذا الإله ولم لا أراه.. الخ... ولكن نفي النشوء الذاتي بديهي حتى إن الفكرة لا تستقر في دماغك لغرابتها...
- كي نثبت للكافر أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول .. قد تجد من يجادلك بأنه لم يرى الوحي ينزل عليه ولم يرى معجزات حسية له.. فممكن الرد عليه بحجة ان الاحتمال الآخر هو أن محمدا كاذب في ادعائه الوحي.. فهل تستطيع اثبات ذلك يا ترى؟؟ عرضنا تفصيل الموضوع في مقال سابق..
- كي نثبت للكافر أن القرآن الكريم كتاب الله .. قد لا يقتنع بذلك مهما عرضت عليه من أدلة فهو لم ير الله يتكلم به.. لكن إن سألناه ما هو الاحتمال البديل؟؟ وكيف يستطيع رجل أميّ أن يأتي بمثل هذا الكتاب مع كل ما فيه من معلومات لا يعرفها من هو في مثل وضعه انقلب الوضع وأصبحت الكرة في ملعبه...

يذكرنا هذا المبدأ بالمبدأ الذي يقول "الهجوم أقوى طريقة للدفاع"

6-5-3- اثبات أن القرآن حق

"**يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم**" في الحقيقة اثبات أن القرآن معجز هو خطوة ثانية تجاه من يحاول التحدي أو التشكك ولكن معظم الناس يكفيهم أن نثبت ان القرآن حق أي انه كلام الله.. وقد يصلون إلى هذه القناعة حتى قبل قراءته فقد آمن أبو بكر الصديق وخديجة رضي الله عنهما لمجرد ثقتهما بالرسول وأنه لا يكذب .. وهكذا نحن فإن كنا توصلنا إلى أن الإله موجود فمن الطبيعي أن يعلن عن وجوده ويتكلم عن نفسه..

وهنا دعونا نسجل استغرابنا ممن يقول إن الله موجود ولكنه ليس إله الأديان. فمن المستغرب حقا أن يكون هناك إله متحل بكل صفات الجلال والعظمة ويترك آلهة مزيفة تنطق بأسمه وتدعي أنها ترسل الرسل..

وأظن والله أعلم أن مرد هذا الاعتقاد عند هذه الفئة هو أنها لم تعجب بتعاليم الأديان فانطلقت من هواها بطريقة عكسية لنفي وجود هذا الإله.. أما نحن فكي نكون صادقين مع أنفسنا علينا أن نسير كما يقول المنطق: الله موجود – من البديهي إذن أن يخبرنا بوجوده .. من البديهي أن يرسل الينا الرسل.. من البديهي أن ينزل علينا الكتب السماوية لهدايتنا..

6-5-4- اثبات الإعجاز

ننطلق من اثبات التمايز إلى اثبات الأعجاز بالطرق التالية:

1- استحالة عدم وقوع تناقض أو أخطاء في أي كتاب أو مشروع.

يروى عن الإمام الشافعي انه أعاد تصحيح أحد كتبه ثمانين مرة وفي كل مرة كان يجد أخطاء فتوقف وقال:" أبى الله العصمة إلا لكتابه".. وكل من عمل في حقل الكتابة والروايات يعرف انه يستحيل ألا ان يقع الكاتب في تناقض ما أو خطأ ما ولهذا يكون هناك

تنقيح وتصحيح وطبعات ثانية وثالثة من كل كتاب.. حتى الأفلام التي توضع لها ميزانيات ضخمة من الأموال تقع في أخطاء علمية فادحة أو أخطاء تصوير وهناك مواقع متخصصة مهمتها سرد هذه الأخطاء واكتشافها..

2- غياب التحدي مع وجود الدافع له

حينما يتحدى القرآن الكريم الإنس والجن.. ماضيا وحاضرا.. على أن يأتوا بسورة من مثله.. ولو أقصر سورة .. ويبني على نتيجة هذا التحدي صدقية الدين نفسه فمعناه ان التحدي جدي.. فلقد بذل أعداء الاسلام ماضيا وحاضرا أموالا ضخمة و طاقات جبارة لمحاولة هزيمته عسكريا.. فلو كان باستطاعتهم تحدي القران لوفروا على أنفسهم كل هذه الجهود. ألا يعني هذا أنه أعجزهم؟ وبالتالي فهو معجزة...

3- التواتر المعنوي في الإعجاز العلمي والعددي

للأسف اصبح الاعجاز العلمي والعددي موضة تبهر الكل مما أدى إلى ازدياد نسبة من حاولوا الصاق نظريات علمية ضعيفة بالقرآن أو نظريات علمية قوية بآيات قرآنية لا تحمل المعنى المراد اثباته إلا بعد لي عنق النص.. لكن مع ذلك نحن نقول إن الإعجاز العلمي موجود وعدد القضايا التي ذكر فيها القرآن الكريم – بشكل واضح- نظريات علمية لم تكن معروفة في عصر نزوله كثيرة وتتفاوت في نسبة الوضوح.. بمطلق الأحوال فإن الإعجاز العلمي يصلح كدليل معنوي تراكمي حيث لا يكون الإعجاز بانطباق آية واحدة بعينها على نظرية ما إنما بسبب تراكم هذه الدلائل في ظاهرة شبيهة بالتواتر المعنوي..

6-5-5- الشبهات ضد اعجاز القرآن

يرفض أعداء الاسلام مقولة ان القرآن الكريم خال من التناقضات ويجمعون لإثبات تناقضة عددا من الأدلة التي سنجيب عليها كما وعدناكم بشكل اجمالي.

1- تناقضات أم شبهات؟

بداية وقبل أي شيء.. هل ما يجمعونه من حجج هو تناقضات فعلا؟ أم هو مجرد شبهات؟ أحيانا كثيرة نستخدم شبهة التناقض بشكل خاطيء. فنفترض أن هناك تناقضا بين شيئين والتناقض موجود في فهمنا للأمور فقط.. مثلا.. افترض ابليس ان سجوده لآدم مناقض لحيثية انه أقوى منه.. والتناقض هنا ليس حقيقيا بل هو فقط في تصور ابليس القاصر.. فلا شيء يربط بين الأفضلية والقوة.. ومثله أيضا كثير من الحجج والشبهات التي تدعي تناقض القرآن لأنها فهمت النصوص على هواها.. فها هم أهل الكتاب يدعون التناقض في قوله تعالى "**لا يموت فيها ولا يحيا**.." على أساس ان المرء إما أن يكون حيا وإما أن يكون ميتا.. والجواب ان عبارة" لا يحيا" بلاغية ومعناها لا يحيا حياة كريمة.

2- الأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن

يعترض الملحد أو النصراني على القرآن، ببعض آياته التى أتت على غير الشائع نحوياً فكيف يكون رد المسلم على ذلك ؟ عادة ما يلجأ المسلم إلى أقوال علماء النحو واللغة ، وفيها تخريجات نحوية للإشكال المتوهم فى الآية و هذا جميل ورائع ، لكن هناك أمراً قبله علينا أن نعيه أولاً ، ثم نعلمه للمخالف ثانياً. إن المخالفين يحاكمون القرآن العظيم إلى منهج القواعد النحوية للصف الثالث الإعدادى ! يظنون أن القواعد النحوية حاكمة على القرآن ! وهذا جهل فاضح بنشأة علم النحو. إن علم النحو ليس علماً بل هو مبنى على الاستقراء . فسيبويه ــ مثلاً ــ أخذ يحلل كل النصوص الواردة عن العرب ، من شعر وخطابة ونثر وغير ذلك ، فوجد أنهم ــ العرب ــ دائماً يرفعون الفاعل فى كلامهم ، فاستنبط من ذلك قاعدة " الفاعل مرفوع " .. وهكذا نتجت لدينا " قاعدة نحوية " تسطر فى كتب النحو ، ليتعلمها الأعاجم فيستقيم لسانهم بالعربية إذا جرت عليه . بقى أن تعلم أن " أهم " مصادر العلماء التى اعتمدوا عليها فى الاستقراء هو القرآن العظيم نفسه ! لأن القرآن أصدق صورة لعصره ، ليس فقط عند المسلم ، ولكن عند الجميع مسلمين وغير مسلمين ، فحتى أولئك الذين لا يؤمنون بمصدره الإلهى ، يؤمنون بأن القرآن أصدق تمثيل لعصره فى الأحداث التاريخية والعادات الجارية .. واللغة وقواعدها . إن علماء النحو يستدلون على صحة قاعدة نحوية ما بورودها فى القرآن أي أن القرآن ــ عند النحاة ــ هو الحاكم على صحة القاعدة النحوية ، وهى التى تسعى لتجد شاهداً على صحتها فى أى من قراءاته المتواترة .

3- الأخطاء التاريخية المزعومة في القرآن

وهذا أمر لاحظناه عند أهل الكتاب.. إذ يعتبرون كل ما يخالف كتابهم المقدس تناقضا.. وهذا أمر غريب ومفاجيء.. إذ ينبغي أن تكون الحجة ملزمة للطرفين ونحن لا نعترف بصدقية كتابهم الحالي فكيف يكون حجة علينا؟؟.. مثلا يقول القرآن الكريم ان السامري هو الذي صنع العجل ويدعي أهل الكتاب انه هارون عليه السلام ويدعون ان القرآن الكريم متناقض مع التاريخ.. فليت شعري وهل أصبح الكتاب المقدس مرجعا تاريخيا ملزما للكل حتى يتم قياس التناقض عليه.. لا بل إن المنطق والعرف يفرض أن النبي لا يشرك.. وهارون عليه السلام نبي باعتراف أهل الكتاب.. وما نقوله لأهل الكتاب نردده لكل مشكك في الدين.. إذا لم تصل إلى اثبات أن معتقدك من المسلمات فلا يسعك وصم الإسلام بالتناقض لمجرد أنه خالف معتقدك أو رأيك..

4- تفسيرات العلماء للقرآن ليست معصومة

يأخذ بعض المستشرقين أو أعداء الاسلام تفسيرات أهل العلم على إنها ملزمة.. فإذا قال البيضاوي في تفسير آية معينة ان الارض يحملها فيل.. ادعوا أن هذا قول القرآن.. وأثبتوا تناقضه مع الواقع؟؟ فكيف يستقيم هذا المنطق؟؟ يمكن أن يكون البيضاوي من اهم علماء الدين.. ولكن هذا لا يعني أنه يعرف الغيب .. بل من البديهي أن يفهم القرآن كما فهمه أهل عصره.. وها هو القرآن كل يوم يتجدد وكل يوم تفهم منه معنى جديدا عميقا.. ونحن لا نرى أن أخطاء علماء الدين في أمور الدنيا تبخسهم حقهم لا بل حتى لو اخطأوا في أمور الدين.. فهم ليسوا معصومين.. والأهم من ذلك اننا نؤمن ان القرآن معصوم عن التناقض ولا نؤمن بأن تفسيره من قبل البشر هو المعصوم.. إلا إذا كان المفسر هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

5- دحض بعض أدلة الإعجاز العلمي لا ينفي وجود هذا الاعجاز

طبعا بعض أدلة الإعجاز ضعيفة كما بينا ولكن ضعفها لا يصلح دليلا ضد القرآن فان القوي منها هو اساس حجتنا في هذه الناحية.. والباقي لا مانع أن نسقطه نحن أو خصومنا فلم يصرح بحجيته مصدر ديني معصوم و ملزم لنا.

6- لماذا يجد المسلم تناقضات في كتب الاخرين ولا يجدون تناقضات في كتبه؟

التناقضات التي نجدها في كتب أهل الكتاب هي تناقضات رقمية ملموسة.. تناقضات في تواريخ وأسماء وأعمار تناقضات مع العلم والتاريخ والمنطق أو تناقضات فيما بين الروايات الموجودة في الكتب عن نفس الحادثة.. اما القرآن الكريم فلا يحوي أي تناقض وهو لا يعطي الفرصة حتى لنسبة التناقض اليه كونه لا يهتم بالتفاصيل التي لا تخدم مسار الدعوة والهداية.

6-6- شبهات متفرقة ضد القرآن الكريم

6-6-1- هل القرآن حمال أوجه؟

هل القرآن فعلاً "حمَّال أوجه"؟ أى ترى فيه الرأى ونقيضه؟ وترى فيه الاختلاف فى الرأى الواحد؟ وبحيث تنتقى الرأى الذى تختار ويكون لمن يخالفك فى الرأى أن ينتقى هو الآخر من آيات القرآن ما يؤيد وجه نظره؟؟؟

تمسك بعض الناس بالكلمة التي رويت عن الإمام علي كرم الله وجهه حين ارسل ابن عباس رضي الله عنهما لمحاجة الخوارج, فقال له: لا تجادلهم بالقرآن, فإنه حمال أوجه وخذهم بالسنن, ولا ندري مدى صحة نسبة هذه الكلمة إليه ولكن للاسف اتخذ بعض الناس من كلمة أمير المؤمنين تكأة يعتمدون عليها في دعوى عريضة: أن القرآن يحتمل تفسيرات مختلفة, وأفهاما متباينة, بحيث يمكن أن يحتج به على الشئ وضده, ولو صح ما ادعوه علي القرآن الكريم لم يكن هناك معنى لإجماع الأمة بكل طوائفها علي أن القرآن هو المصدر الأول للإسلام عقيدة وشريعة, ولم يكن هناك معنى لوصف الله تعالي القرآن بأنه نور وكتاب مبين.

- وما شأن المتشابهات في القرآن وقضية الأوجه؟

قد يكون أمر حمل القرآن للأوجه صحيحا بالنظر إلي الآيات المتشابهات التي تحتمل أكثر من فهم, فالمنحرفون الذين في قلوبهم زيغ دائما يعتمدون في استدلالاتهم علي المتشابهات ويعولون عليها, أما الآيات المحكمات- اللاتي هن أم الكتاب وأصله ومعظمه- فهي العمدة في الفهم والاستنباط وإليها ترد المتشابهات, وإليها يرجع المتنازعون في التفسير والاجتهاد, و في ذلك يقول تعالى في سورة آل عمران: **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب, وأخر متشابهات, فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله, وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**

وما يذكر إلا أولو الألباب, وروت عائشة عن النبي صلي الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم.

– ما الحكمة من إنزال هذه المتشابهات التي يترتب عليها الاختلافات؟

إن من عرف طبيعة التكليف الإلهي للناس بما فيه من كلفة ومشقة وابتلاء من الله تعالى لعباده, ومن عرف طبيعة اللغة وما تحتويه من حقيقة ومجاز وصريح وكناية وإفهام بالعبارة وإفهام بالإشارة ومن عرف طبيعة البشر واختلافهم في درجات الفهم, وفي الميل إلي الظواهر أو الغوص إلي المقاصد, وفي الأخذ بالمعنى القريب أو استنباط المعنى البعيد, ومن عرف طبيعة الإسلام دين الله العام الخالد الخاتم... من عرف ذلك كله, عرف حكمة الله تعالى في إنزال المتشابهات في كتابه, فتعالى الله أن يقول شيئا أو يفعل شيئا عبثا أو اعتباطا, وهو العليم الحكيم.

6-6-2- الحكمة من التكرار في القرآن الكريم

يعيب علينا المبشرون تكرار القصص وآيات النعيم والعذاب في القرآن الكريم ويقولون ان هذا باعث على الاملال. فنقول بعون الله:

- من الطبيعي ان تتكرر آيات العذاب و النعيم في القرآن الكريم كي يصادفها الانسان كلما قرأ القرآن فيخشع قلبه و يطمع في الجنة.. اذ نلاحظ ان ضعف تكرار العذاب والنعيم في الاناجيل قد دفع كثيرا من النصارى الى انكار وجودهما جملة وتفصيلا وتفسيرهما بمعان مجازية!!!
- التربية ليست قولة تقال مرة وتنتهي ! وكل من مارس التربية مع صغير أوكبير يعلم إلى أي مدى يحتاج من يتلقى التربية إلى " التذكير " الدائم حتى يستقيم على الأمر المطلوب. وتأتي الاكتشافات العلمية الحديثة لتؤكد هذا الامر لأن القناعة العقلية لا تكفي لتقويم الانسان بل يجب ان تدخل هذه القناعة الى العقل الباطن الذي اثبت العلم انه بحاجة لتكرار كي تترسخ المعلومات فيه وتصبح جزءا منه.
- اكتشف العلماء ان كل سورة من سور القرآن الكريم لها وحدة موضوعية فهي لها مضمون موحد.. لذا تأتي القصة في كل مرة لتخدم هذا المضمون ومن هنا فإن قصة سيدنا موسى عليه السلام مثلا خدمت كل سورة اتت بها عبر التركيز على مشاهد معينة تناسب هدف هذه السورة.
- مع تكرار بعض تعابير القرآن الكريم فإننا لا نشعر بالإملال تماما كما لا يشعر المرء بالملل من تناول الخبز كل يوم.. فكأن القرآن هو غذاء الروح والقلب.. والمحب للشيء لا يمل منه عكس المبغض..
- لا نسلم ان التكرار يضعف النص الادبي.. فتكرار قوله تعالى في سورة الرحمن **(فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)** إحدى وثلاثين مرة تنبيه على أن كل نعمة من النعم التي احتوتها تستحق أن يُذكر بها حتى لا تُنسى، وحتى يُعرف فضل المنعِم بها.

6-6-3- الحكمة من النسخ:

يسأل المتشكك: هل يجوز على الله ان ينسخ احكامه؟ وهل هذا معناه انه يغير رأيه..

1– الحكمة من نسخ القرآن لاحكام الشرائع السابقة

كل الانبياء جاءوا بعقيدة واحدة ودعوا الى توحيد الله ولكن الشرائع كانت تتغير مع كل نبي مرسل حتى جاءت شريعة الإسلام أكمل الشرائع وخاتمتها، فكان من حكمته سبحانه أن نسخ بها الشرائع السابقة كلها. وتفصيل هذا: أن النوع الإنساني تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار حال تناسبه غير الحال التي تناسب دوراً غيره، فالبشر أول عهدهم بالوجود كانوا كالوليد أول عهده بالوجود سذاجة، وبساطة. حتى إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه ، جاء هذا الدين الحنيف ختاماً للأديان ومتمماً للشرائع، وجامعاً لمصالح الإنسانية و مرونة القواعد، جمعاً وفَّقَ بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين، ونظم علاقة الإنسان بالله وبالعالم كله من مما جعله بحق ديناً عاماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

2– الحكمة من نسخ آيات القرآن لآيات اخرى

اذا تتبعنا آيات النسخ فإننا سنجد ان معظمها اقرب الى التدرج منه الى النسخ والمنسوخ منها على الحقيقة وجد في النص ما يدل على كونه سينسخ فيما بعد فلا يوجد ادنى اشكالية او لغط في فهم هذه الآيات. وهذه بعض الحكم:

- ابتلاء المكلف واختباره حسب تطور الدعوة وحال الناس.

احيانا يكون التدرج من الاصعب للاسهل واحيانا العكس ولكل منهما حكمة. لقد ناسبت مشقة التكليف نفسية المكلفين بها فهم الذين سارعوا الى الاستجابة للرسالة رغم كل ما واجهوه من ايذاء، هؤلاء بلا شك سيكونون اقدر على التحمل وهم الذين قامت على كواهلهم ركائز الرسالة، فلا عجب اذن من مشقة التكليف ولما كثر عدد الذين آمنوا بهذه الرسالة وتوزع الحمل المنوط بتلك العصبة جاء التخفيف ليناسب النفوس وابعادها لان من بادر الى الايمان بهذه الرسالة في ظل ظروف هي الاقسى لا شك في ان قدرته على التحمل للاعباء والتكاليف اكثر ممن امن بها بعد. اما فيما يتعلق بالنواهي فقد جاءت بما يتناسب من طبيعة النفس الانسانية فهذه الطبيعة اذا اعتادت امرا وشكل هذا الامر جزءا من كيانها صعب عليها التخلص منه جملة واحدة اذ لو نزل الامر بتحريمها فجاة لما كانت الاستجابة كاملة .

- الحكمة التعليمية والتدرج

الداعية الى الله سينظر الى الآية المنسوخة بطريقة مختلفة عن الفقيه الذي يكتفي بأن يلاحظ ان حكمها رفع فبالنسبة للداعية تظل هذه الآية المنسوخة تحمل كثيرا من المعاني التي تحثه على التدبر في عمق القرآن عن حلول للامة. فهو يطلع بها على كيفية التدرج في بناء هذا الدين العظيم. والداعية الى الله سواء كان يعظ نفسه ام غيره لا يكفيه الالمام باحكام الحلال والحرام بل بكيفية تثبيتها في النفوس قبل ذلك. فالتدرج في تحريم الخمر على سبيل المثال يعلمنا اشياء كثيرة .. يعلمنا ان نبدأ بالاولويات مع الذين نرجو اصلاحهم وان نبدأ بالعقيدة ونبذ ما ترفضه الفطرة من قتل وظلم و فساد .

6-6-4- الحكمة من نزول القرآن مفرقا على الزمن

لنزول القرآن الكريم مفرقا حكم جليلة، وأسرار عديدة عرفها العالمون، وغفل عنها الجاهلون، ونستطيع أن نجملها فيما يأتي :

1- تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم

فقد ذكرتها الآية الكريمة في معرض الرد على المشركين، حين اقترحوا أن ينزل القرآن جملة واحدة "**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة** " كما نزلت الكتب السماوية السابقة فرد الله عليهم بقوله "**كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**" وتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم انما هو رعاية من الله وتأييد لرسوله أمام تكذيب خصومه له وإيذائهم الشديد له ولأتباعه، فكان اذا اشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفا عما يلقاه، وكانت التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين ليقتدي بهم في صبرهم وجهادهم كما قال تعالى "**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا..** ". وقوله تعالى "**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**" وقوله "**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**". وقد أوضح الباري جلت عظمته الحكمة من ذكر قصص الى لأنبياء فقال وهو أصدق القائلين: "**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**" وتارة كانت التسلية عن طريق الوعد بالنصر والتأييد للنبي كقوله تعالى "**وينصرك الله نصرا عزيزا**" وكقوله "**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**" .

2- التلطف بالنبي صلى الله عليه وسلم

عند نزول الوحي، فقد كانت بسبب روعة القرآن وهيبته، كما قال تعالى "**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**" فالقرآن – كما هو مقطوع به – كلام الله المعجز، الذي له جلال ووقار، وهيبة وروعة وهو الكتاب الذي لو نزل على جبل لتفتت وتصدع من هيبته وجلاله كما قال تعالى "**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** . ." فكيف اذا بقلب النبي الرقيق، هل يستطيع ان يتلقى جميع القرآن دون أن يتأثر ويضطرب ويشعر بروعة القرآن وجلاله ! !

3- التدرج في تشريع الأحكام

فقد كانت واضحة ، حيث سلك القرآن الكريم مع البشرية – وخاصة منهم العرب – طريق الحكمة ففطمهم عن الشرك، وأحيا قلوبهم بنور الإيمان، وغرس في نفوسهم حب الله ورسوله، والايمان بالبعث والجزاء، ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة – مرحلة

تثبيت دعائم الإيمان – الى العبادات فبدأهم بالصلاة قبل الهجرة، ثم ثنى بالصوم وبالزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها، وكذلك فعل في العادات المتوارثة. زجرهم اولا عن الكبائر، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلا في نفوسهم كالخمر والربا والميسر، تدرجا حكيما، استطاع بذلك ان يقتلع الشر والفساد من جذوره اقتلاعا كاملا.

4- تسهيل حفظ القران

على المسلمين، وفهمهم وتدبرهم له، فمن المعلوم ان العرب كانوا أميين (أي لا يقرأون ولا يكتبون) وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك في قوله تعالى "**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته** ..". فاقتضت حكمة الله ان ينـــزل كتابه المجيد (منجما) ليسهل حفظه على المسلمين، لأنهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم، فكانت صدورهم اناجيلهم، كما ورد في وصف امة محمد صلى الله عليه وسلم.

5- مسايرة الحوادث والوقائع في حينها

والتنبيه على الاخطاء في وقتها، فإن ذلك اوقع في النفس وأدعى الى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق (الدرس العملي) فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه ، وكلما حصل منهم خطأ او انحراف نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم الى ما ينبغي اجتنابه وتطلب عمله ونبههم الى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين

6- الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم وأنه تنزيل الحكيم الحميد

أننا نلمح هنا سرا جديدا من أسرار الإعجاز، فالقرآن كتاب محكم الإتصال والترابط، متين النسج والسرد، متآلف البدايات والنهايات، مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر، وهي (وقائع الزمن وأحداثه) التي يجيء كل جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعا لها، ومتحدثا عنها، ومع تراخي زمان هذا التأليف، إلى أكثر من عشرين عاما. أليس ذلك برهانا ساطعا على أنه كلام خالق القوى والقدر، ومالك الأسباب والمسببات، ومدبر الخلق والكائنات، وقيوم الأرض والسموات.

6-7- شبهة مسايرة القرآن لأهل الكتاب في بداية الدعوة

6-7-1- مقدمة

يطالعنا أعداء الإسلام بدعوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يساير أهل الكتاب في بداية أمر الدعوة، فلمـــا رأى أنهـــم لا يريدون اتباعه انتظر حتى تقوى شوكته لينقلب عليهم ويهاجمهم.

ويقولون كذلك إن المسلمين كانوا يصلُّون باتجاه قبلة اليهود في البداية, للسبب نفسه , فلما حصل الشقاق غيروا قبلتهم.. كذلك هم يعتبرون أن المسلمين أعادوا ترتيب سور القرآن الكريم على غير الترتيب الذي أنزلت فيه، كي يخفوا آثار مهادنتهم لأهل الكتـــاب في المرحلة الزمنية الأولى. وهذه عينة من كلامهم:

"بذل محمّد وأصحابه جهودًا كبيرة في استعطاف واستجداء أهل الكتاب الذين يقطنون جزيرة العرب بعامّة، واليهود منهم بـــصورة خاصّة، لكي يعترفوا به بوصفه "النبيّ الأمّي" – أي المسيح المنتظر – الذي تتحدّث عنه كتبهم المقدّسة، كالتوراة والإنجيـــل. لقـــد حاول في البداية استمالة قلوب أهل الكتاب بصورة سلميّة، غير أنّ هؤلاء لم يرغبوا في ترك معتقداتهم وكتبهم والانـــضمام إلـــى الرسالة الجديدة، التي تدّعي أنها جاءت تكملة لتلك الرسالات القديمة، رسالات أنبياء بني إسرائيل في التوراة، ورسالة عيسى فـــي الإنجيل. فما عدا قلّة من بين أهل الكتاب الذين قبلوا برسالة محمّد وبايعوا رسالته، فقد باءت محاولات محمّد وأصحابه بالفشل لدى الغالبيّة العظمى منهم.وبعد أن يئس من إمكانية قبول اليهود وعامّة أهل الكتاب دعوته، إلى قبوله بوصفه "المسيح المنتظر" الجديد، فقد بدأ يفكّر في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكّة، خلاصة القول، قد يكون رفضُ أهل الكتاب بصورة عامّة، واليهود علـــى وجه التّحديد، قبول رسالة محمّد بوصفه المسيح التوراتي المنتظر في ظهوره الجديد، وبالمصطلح الإسلامي بوصفه "النبيّ الأمّي"، هو نقطة التحوّل في التاريخ الإسلامي من مرحلة التقرّب والتّألّف لليهود بواسطة التوجّه بالصلاة نحو قبلتهم، إلى مرحلة العـــداء الشامل."

6-7-2- لماذا افتراض النية السيئة؟

صفات الغدر والنفاق والمحاباة، صفات خسيسة لا يصح إلصاقها في العادة بعظماء الشخصيات فلِمَ يفترض أعداء الإسلام أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان بهذه النفسية ؟ , في حين أن سيرة حياته تدل على أنه كان على العكس هذا تماما. قد نقبل أن نناقش المخالف في قضية العنف.. ففي الموضوع شبهة كون الرسول صلى الله عليه وسلم خاض حروبا وهو أمرٌ قد لا يقبله من يتخيل النبي في خانة الدعوة السلمية فقط .. لكن أن يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخداع فهذا أمر تنفيه سيرة حياته الناصعة, التي كان فيها رجلا مبدئيا حازما لا يتنازل عما يراه حقا مهما كانت المشاقٌ.

6-7-3- لكل مقام مقال

أما إن كانوا يقصدون أنَّ أغلب ما نزل في حق أهل الكتاب كان في المدينة، فذلك مردُّه أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الوثنيين في مكة، فطبيعي أن يركز القرآن على القيم المشتركة مع أهل الكتاب، وعلى أنَّ رسالة الإسلام هي امتداد للرسالات السابقة، فهذا لا يقلّل من قيمة القرآن ولا ينفي ارتباطه بالسماء، لأنّه لا يعني سوى انسجام القرآن مع الواقع الموضوعي من حوله، وقد ذكر علماء البلاغة أنَّ ميزات المتكلم البليغ مراعاته لمقتضى الحال، إذ لكل مقام مقال، كما جاء في المثل المعروف، وهل هناك أولى من كلام الله الحكيم الخبير في مراعاة ذلك.

6-7-4- أين الدليل على المداهنة؟

السؤال الذي يطرح نفسه هو: أين المداهنة ؟ أعطونا أدلة من القرآن الكريم على أنَّ موقف الإسلام من النصرانية كان موقف القبول بعقائدهم، ومن ثمَّ انقلب بعد ذلك؟ نسأل صاحب الشبهة إن كنت مدعيا فالدليل وإن كنت ناقلا فالصحة، أين دليلكم وأين مراجعكم الموثقة ؟! . أم أنكم تَكذِبُون وتَكذِبُون، وتستمرون في الكذب ، وعندئذ لا بد وأن يبقى أثر ؟؟ .

6-7-5- الحكمة من ترتيب القرآن على غير الترتيب الذي أنزل فيه

قبل كل شيء نحن المسلمون نؤمن أن القرآن هو من عند الله، وليس من عند محمد ، وأن نزول القرآن كان منجما ، وأن هناك علاقة بين النزول والظروف المرافقة، وأن ترتيب الآيات كما وصل إلينا، توقيفي من الله تعالى ، وأن جبريل عليه السلام كان يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضع كل آية في مكانها.. هذا لا ينفي طبعا وجود الحكمة في الموضوع نذكر من تجلياتها وحكمها :

1- لو أنه رتب حسب ترتيب النزول لظن الناس أنَّ كل آية تنفع في مرحلة معينة، أو أنَّ لها ظروفها التاريخية الخاصة، التي تصلح لها، ولكن في ترتيبه بهذا الشكل قصد بخلود الأحكام الإلهية، وأنَّها صالحة لكل زمان ومكان، بغض النظر عن الملابسات والظروف التاريخية التي أنزلت فيها.

2- الترتيب الحالي ليس ترتيبا عشوائيا، بل هناك وحدة موضوعية في سور القران الكريم، فالفاتحة مثلا تختزل أحكام الدين.. وسورة البقرة مفصلة لأجزاء يتم شرحها في السور التي تليها.. ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فعليه الرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك ومنها مقدمة تفسير "الأساس في التفسير" للشيخ سعيد حوى.

3- فيها إشارة واضحة إلى المصدر الإلهي للقرآن الكريم، فلو كان القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ، فلماذا يخطر على باله أن يعيد ترتيب الآيات ، وهو الذي قدمها للصحابة على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثم لماذا لم تثر هذه أية بلبلة فيهم .

6-7-6- الحكمة من مهادنة اليهود في المدينة المنورة

تاريخيا لم يكن هناك وجود فعليٌّ لأهل الكتاب من يهود أو نصارى في مكة، وكانت دعوة الرسول مقتصرة على أهل مكة، وكان حجاج العرب إلى الكعبة وثنيين، وليسوا من أهل كتاب، وفي المدينة المنورة بعد الهجرة لم يكن التعامل مع اليهود على أحد ثلاثة (الإسلام أو الجزية أو الحرب) بل مشاركة فعلية في الدولة الوليدة من حيث الدفاع المشترك وغيره، ولكن ما كان لليهود وهم أصحاب الخسة والخبث أن يقبلوا بهذا الواقع، لذا فإننا رأيناهم قد غدروا بالمسلمين في محطات عديدة، مما اضطر المسلمين إلى محاربتهم، جزاء غدرهم المتكرر ونقضهم لبنود المعاهدة بينهم وبين المسلمين , والأمر لم يكن انقلابا عليهم فرضته المصلحة النفعية، كما تورد الشبهة بل عقابا عادلا استحقوه بتصرفاتهم.

6-7-7- الحكمة من عدم مقابلة العنف بالعنف في بداية الدعوة

ويقولون أيضا إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في بداية الدعوة وتظاهر بأنه مسالم، لأنه كان ضعيفا، فلما قويت شوكته انصرف إلى القتال، وهذا كلام أقل ما يقال فيه إنه سخيف لأن من يريد السلامة لا يدخل في موضوع معارضة قومه في الأساس، ولا يرفض إغراءاتهم بتولي الملك، ولا يعرِّض أتباعه للأذى منهم، .. فالكف عن القتال في بدء الدعوة إذن كان لهدف تربوي لا مصلحي مادي .. إذ ليس منطقيا ولا مقبولا لأية دعوة دينية، تخاطب العقل والروح وهمها الهداية أن تبدأ انتشارها بالعنف، أو أن ترد العنف بعنف مضاد.

إنَّ العرب لم ينسوا بعد كيف هزم رب الكعبة جيش أبرهة، ومنه ظن الناس أنَّ قريشا هي التي على الحق، ولذلك فإن الدخول في معارك خاسرة مع قريش في بداية الدعوة، يفهم منه أنهم أي المسلمين على باطل، ولذلك وبعد فتح مكة دخلت الكثير من القبائل في دين الإسلام وهذه أنموذج من الفوائد من هذا الموضوع.

الفترة المكية فترة إعداد

الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد ، ومن أهدافها تربية الفرد على الصبر وضبط أعصابه، وتربيته على أن يكون فردا في مجتمع منظم ، له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته; ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره – مهما يكن مخالفا لمألوفه وعاداته.

الدعوة السلمية أشد أثرا

الدعوة السلمية أشد أثرا وأنفذ , في مثل بيئة قريش ; ذات العنجهية والشرف ; والتي قد يدفعها القتال معها – في مثل هذه الفترة – إلى ازدياد العناد، وإلى نشأة ثارات دموية جديدة.

تجنب شق الصفوف

لم تكن هناك سلطة نظامية عامة , تعذب المؤمنين وتفتنهم . إنما كان ذلك موكولا إلى أولياء كل فرد , يعذبونه هم ويفتنونه و"يؤدِّبونه" ! ومعنى الإذن بالقتال – في مثل هذه البيئة – أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت .. ثم يقال:هذا هو الإسلام !

الأمل بهداية المعاندين

كثيرون من المعاندين الذين يفتنون المسلمين الأوائل عن دينهم , ويعذبونهم ويؤذونهم ; هم أنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلص , بل من قادته . . ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء؟؟؟

تعاطف النخوة العربية مع المظلوم

إن من عادة النخوة العربية , في بيئة قبلية , أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ولا يتراجع ! وبخاصة إذا كان الأذى واقعا على كرام الناس فيهم . . وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة – منها نقض صحيفة الحصار، لبني هاشم في شعب أبي طالب , بعدما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة .

عدم الدخول في معركة خاسرة

كان المسلمون قلة، فالمعركة لو وقعت ستؤدي إلى قتل المجموعة المسلمة – حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم – ويبقى الشرك , وتنمحي الجماعة المسلمة . ولا يقوم في الأرض للإسلام نظام , ولا كيان واقعي ..

سبل الدعوة مؤمنة

في الوقت ذاته لم يكن هناك ضرورة قاهرة ملحة, لتجاوز هذه الاعتبارات, والأمر بالقتال ودفع الأذى. لأن سبل الدعوة كانت مؤمَّنة في شخص الداعية صلى الله عليه وسلم، وشخصه في حماية سيوف بني هاشم , فلا تمتد إليه يد إلا وهي مهددة بالقطع،

6-7-8- الحكمة من تحويل القبلة

بعد أن وضح الجو العام للشبهة المطروحة، نأتي لبعض الأحداث التفصيلية مثل تحويل القبلة، فنقول: لم تكن القبلة في بداية الأمر موجهة نحو مكة، لأن رب العالمين أراد أن يعلم المسلمين أن هذا الدين ليس دعوة قبلية أو عنصرية، بل هو امتداد للرسالات السابقة التي كان مركز أكثرها بيت المقدس، فكأنه أراد من المسلمين أن ينزعوا من قلوبهم كل أثر للتعصب، حتى إذا قويت

الدعوة في النفوس، ودخلت هذه المعاني إلى قلوب المسلمين، جاءهم الأمر بتحويل القبلة إلى مكة، وذلك إشارة من رب العالمين، إلى أنَّ هذا الدين يجب أنَّ يتميز عن الأديان المنحرفة ويجب أنْ يخالفهم في كل شيء..

هذا ولا يمكن أن يفهم التوجه إلى بيت المقدس أنه مجاملة لأهل الكتاب.. فعلى العكس من ذلك كان المسلمون يـــشعرون بـــالحرج أمام استعلاء اليهود الذين قالوا : إنه طالما يصلي إلى قبلتنا فنحن الذين على الحق ، وكان الرسول يقلِّب ناظريه في السماء يرجو من الله القبلة الأخرى، وهذا دليل آخر على إلهية الاختيار والتحول, وكان من آثار تحويل القبلة أيضا تمييز المسلمين عن المنافقين وضعاف النفوس، الذين فُتنوا وارتدوا , وفيه تقوية لعزائم المسلمين بوجود إشارة واضحة إلى عودتهم إلى مكة, وازديـــاد عنـــاد المشركين الذين قالوا: إنه توجه إلى قبلتنا، ويوشك أن ينقلب إلى ديننا, وفيه زيادة غيظ اليهود الذين وعـــدوا الرســـول– كـــذبا – بقولهم : عد إلى قبلتنا نتبعك ونصدقك .

الباب السابع: مناقشة النصرانية

تمهيد

لهذا الباب اربع فوائد اساسية

1- يقنع النصارى بزيف عقائدهم

2- يدحض شبهة اساسية للالحاد الذي ينفي وجود الله بدعوى ان كل دين يظن نفسه على حق وبالتالي لا احد منهم على حق.

3- يطمئن قلب المتشكك الذي يشعر ان الاسلام صحيح ولكنه يتساءل: الا يظن كل انسان دينه صحيحا؟

4- يقوي ايمان المسلم الضعيف حينما يرى الفارق شاسعا بين دينه وبين بقية الاديان.

7-1- لماذا مناقشة النصرانية؟

7-1-1- مقدمة

ما ادراني ان ديني صحيح؟ الا يعتقد كل منتم لدين ما انه على حق؟ يسأل المسلم المتشكك.. وفي معظم الاحيان لا يبالي ان يبحث عن الجواب بل يبقى على تشككه بدينه حتى وفاته.. وها نحن نحاول ان نقدم له الجواب على طبق من فضة حينما سنناقش النصرانية بهدوء و موضوعية لنبين له ان هناك آلاف الشواهد والادلة على بطلان هذا الدين وأن الحجج العقلية والتاريخية والعلمية والحسية تضافرت لتؤكد ما ذهبنا اليه. اما لماذا النصرانية بالذات فذلك لأنها الدين الوحيد الذي يعتبر نفسه ندا للاسلام كون اليهودية والهندوسية أديان عنصرية مغلقة على معتنقيها بينما لا تعتبر البوذية والكونفوشيوسية انفسها ديانات بل فلسفات أما المادية الإلحادية فلا تعتبر دينا كاملا لأنها ليست قائمة على الإيمان بل على الشك ولأن الملحد يتأرجح في اعتقاده حسب هواه بحيث يستحيل عمليا ان تجد ملحدا يحمل نفس عقيدة ملحد آخر مما يجعل الحوار مع جماعة منهم غير ذي جدوى ان لم يكونوا منضوين تحت إطار ثقافي موحد (مثل الشيوعية) يلزمها بمبادىء مشتركة.

وغايتنا من هذه المقارنة أن نصل إلى خلاصة ثابتة يستطيع أن يقرأها أي شخص بتجرد، فإن كانت النتيجة لصالح الإسلام بشكل لا يبقى أي مجال للشك فيه وصلنا إلى مبتغانا وأما إذا لم تكن حاسمة فهذا بحد ذاته مدعاة للنصراني أن يبحث كيف يصل دين مؤلف من قبل شخص كاذب كما يدعون الى درجة المساواة مع دين سماوي صادق؟ ونحن على ثقة بأن أي شخص سيقرأ هذه المقارنة سيصل إلى احدى هاتين النتيجتين لأن الاحتمال الثالث القائل بتفاهة الإسلام وبكونه دين منقول عن النصرانية ادعاء باطل لن يجد أي اساس له عند البحث المجرد.

7-1-2- ضوابطنا في مناقشة العقيدة النصرانية:

1. معظم ما هو منشور في الكتب او في الانترنت جارح جدا في حق النصارى ولا يصلح نموذجا للحوار معهم بل لا يصلح حتى للقارىء المسلم، فالإنسان عادة لا يثق بالكلام المليء بالتهكمات و التجريح بل يفضل ما يخاطب العقل والمنطق. كلنا يرى الهجوم المتواصل على الدين الإسلامي من الثقافة الغربية النصرانية وكلنا مدرك بأن مبعث هذه التجريحات هو البغض العميق الذي يكنونه لنا فإذا أردنا بهذه الردود رد الكيل لهم فلن نصل إلى أي نتيجة اللهم إلا التشفي وان كان هدفنا دعوتهم إلى الإسلام فلا يصح أن نكون بهذه القسوة بل نتبع ما امرنا به الله" **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين"**

2. كثير من الحجج والبراهين تفتقد إلى المنطق وخاصة تلك التي تحاول البرهنة على عقائد المسلمين من مقاطع مأخوذة من الكتاب المقدس. ومنها على سبيل المثال محاولة الداعية الشيخ ديدات رحمه الله لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (دون أن يعني هذا التقليل من شأن جميع الجهود التي قام بها في مناظرة المبشرين)، ذلك إننا لا نعترف بكون هذا الكتاب المقدس هو

الإنجيل الذي انزله الله على عيسى عليه السلام وبالتالي فأن أي استدلال منه هو بمثابة اعتراف منا بحجيته، وهذا يفتح الباب على أمور خطرة منها أن يعترف المسيحي بنبوة محمد (أو ينكرها بتفسير مغاير للمقطع المستدل به) ومن ثم يحاول إقناعنا بألوهية المسيح سندا للكتاب المقدس نفسه الذي احتججنا به كما انه يفتح الباب للنصارى أن يفسروا لنا القرآن على هواهم كما حاولنا تفسير كتابهم بما يوافق عقائدنا (وهذا ما يجري بالفعل). كما علينا أن نتذكر بأن الكتاب المقدس الحالي مفصل ليلاءم عقيدة النصرانية وحذف منه كل ما يمكن أن يشير إلى رسالة الإسلام لذلك فمحاولة الاستدلال به على رسالة الإسلام عبثية ويستحيل أن تكون قطعية. وفي ختام هذه الفقرة أحب أن أوضح أن هذا الأمر لا يمنعنا من الاستدلال ببعض المقاطع من هذا الكتاب على تناقضه أو على تكذيب ادعاء معين من قبلهم أو رد شبهة يعيروننا بها (مثل تعدد الزوجات، القصاص والحرب)

3. والخطأ الثالث هو مهاجمة كل عقيدة نصرانية ليست موجودة في الإسلام دون المبالاة بمحاولة فهمها من وجهة النظر النصرانية (مثال قضية تقديسهم للصليب والتي يصفها بعض المسلمون بعبادة الصليب)، فهذا يفتح الباب أيضا لأن يهاجم النصراني كل قضية إسلامية ليست موجودة في دينه كأن يتهمنا اننا نعبد الحجر الاسود او الكعبة.

7-1-3- مناقشة النصرانية في هذا الكتاب

1- سنبدأ بعرض الاختلاف بين الاسلام والنصرانية تاريخيا مبينين عدم وجود اي دليل تاريخي دامغ عن صحة الكتاب المقدس وصدقيته.

2- ننتقل بعد المناقشة التاريخية الى مناقشة العقيدة النصرانية عقلا ونبين مدى ضعفها امام المنطق العقلي المجرد.

3- وبعد ذلك ننتقل لدراسة الناحية الفلسفية والفكرية من النصرانية لنصل الى نتيجة ان مثالية النصرانية مثالية مجنحة غير قابلة للتطبيق.

4- وختاما نعرض لمقارنة سريعة بين القصص القرآني وقصص كتاب النصارى المقدس.

7-2- الكتاب المقدس والمجمعات النصرانية

7-2-1- مقدمة

سنحاول في هذا الفصل عرض الحقائق بشكل موضوعي للقارىء المهتم بالدخول في تفاصيل الديانة النصرانية اما غير المهتم فيمكنه ان يقفز عن هذا الفصل لأن المهم فيه هو الخلاصة. والخلاصة هي ان مؤلفي الكتاب المقدس مجهولون بمعظمهم وان المجامع الكنسية النصرانية التي اقيمت لتفسير الدين النصراني لم تستند على اي نصوص مقدسة بل على آراء واهواء شخصية.

7-2-2- مم يتألف الكتاب المقدس؟

يتألف الكتاب المقدس من جزئين: العهد القديم والعهد الجديد.. ويتألف العهد القديم بمجمله من اسفار توراة اليهود اما العهد الجديد فيتألف من اربعة اناجيل وبعض الرسائل التي كتبها المبشرون الاوائل للأمم.. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: قبل ان يؤمن اي شخص بالكتاب المقدس الا يتوجب عليه ان يعرف من ألف اسفاره وكتبه؟ دعونا نلقي نظرة سريعة على هذا الموضوع.

7-2-3- مؤلفو اسفار العهد القديم مجهولون

ماذا يقول الباحثون النصارى في نسبة اسفار العهد القديم الى مؤلفيها؟

- سفر التكوين و الخروج و الاحبار و العدد و التثنية تنسب الى موسى
- سفر يشوع ينسب معظمه الى يشوع
- سفر القضاة يحتمل ان يكون صموئيل
- اخبار الايام 1 و 2 محتمل ان يكون عزرا قد جمعها
- صموئيل 1 و 2 مجهول
- سفر الملوك 1 و 2 مجهول
- راعوث ليس معروفا بالتحديد

• في عام 324 اقرت كتب استير، باروخ طوبيا، يهودية،وزدم، باستيكس و لكن البروتستانت رفضوها (الكتب المعروفة ب "ابوكريفا")

نحن اذن امام كتب لا نعرف كتابها و يستغرب القارىء المحايد ورود عبارات مثل "تنسب، يحتمل، مجهول، ليس معروفا بالتحديد" كما يستغرب كيف تضاف اسفار الى الكتاب المقدس بعد 300 عام من ولادة المسيح عليه السلام؟؟؟ و هل كانت كلمة الله ناقصة طيلة الوقت السابق

7-2-4- نسبة الاناجيل الى مؤلفيها

لم يحتفظ التاريخ بنسخة للانجيل في حياة المسيح و لا في الخمسين سنة التالية التي اعقبته و ذلك بتأثير الضربة القاسية التي وجهها اليهود الى تلامذة المسيح عليه السلام من بعده. تلك الضربة التي شتتت شملهم و منعتهم من ان يحتفظوا بشيء من مخلفاته. وان بقي كثير منهم يحتفظ في صدره بقدر غير قليل من كلمات المسيح ووصاياه و حكمه وامثاله. فلما سكن هذا الغليان الذي اعقب المسيح و فترت حدة المطاردة التي سلطها عليهم اليهود واخذوهم بها و رجع التلاميذ الى ما في صدورهم من ذكريات تحدثوا بها الى الناس و كتب الناس ما سمعوه من هؤلاء التلاميذ حكايات تروى عمن كانوا منذ البدء معاينين و معايشين للمسيح روايات مختلطة باحاسيسهم ممتزجة بمشاعرهم و آمالهم.

و من الخطأ الاعتقاد بان الاناجيل الاربعة هي الوحيدة ففي بدء المسيحية راجت مئات الاناجيل حصرت في سبعين انجيلا ثم انتهت بعد الغربلة الى اربع. يقول بولس في رسالته الى اهل غلاطية (و هذه الرسالة جزء من العهد الجديد و بالتالي من الكتاب المقدس) : اني اتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ليس هو آخر غير انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحوّلوا انجيل المسيح. و الآن ننظر نظرة سريعة الى الاناجيل المعترف بها و نسبتها الى مؤلفيها (كما يقول الباحثون النصارى) كما ننظر الى الهدف الذي من اجله كتبت الأناجيل لأن اسلوب كل انجيل يختلف حسب القوم الذين بشروا به.

1- انجيل مرقس:

مرقس ليس من التلاميذ و انجيله يعتبر اقدم الاناجيل بشر بانجيله المكتوب باليونانية في <u>الاسكندرية</u> سنة 70م

2- انجيل متى:

نسب التراث القديم هذه البشارة الى الحواري متى و لكن معظم علماء اليوم يرفضون هذا الرأي، لقد اعتمد الكاتب على مجموعة من التراث الشفهي، لقد استغل متى بشارة مرقس استغلالا كبيرا"

انجيل "متى" اذن اصطلاح فنحن نقول انجيل "متى" اختصارا لكلمة "ينسب الى متى"، و الا كيف يقوم شاهد عيان مثل متى و هو احد حواريي المسيح بسرقة معلومات رآها بعينه من كتابات مرقس الذي كان لا يزال في العاشرة حين كان يسوع يدعو بني اسرائيل.

<u>بشر بانجيل متى بين اليهود</u> حوالي 80 م و كتب بالسريانية و لم يتبق الا الترجمة اليونانية

3- انجيل لوقا

اخذ الكثير عن مرقس كذلك و بشر بانجيله في نفس الوقت معه في الاسكندرية و باللغة اليونانية و هو يتوجه <u>الى الكفرة من غير اليهود.</u> اذ يقول في بدايته: اذ كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة في الامور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت انا ايضا اذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ان اكتب على التوالي اليك ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علّمت به.

4- انجيل يوحنا

يصطبغ الكتاب من نزعة قريبة من القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة و ما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية قد جعل الكثير من الباحثين في الدين المسيحي يشكون بأن واضعه هو الرسول يوحنا بل شخص اراد بنسبته اليه ان يلقى قبولا و هو لا يعرض لسيرة المسيح كبقية الاناجيل بقدر ما هو <u>عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية.</u> ينتهي انجيل يوحنا: هذا هو التلميذ

الذي يشهد بهذا وكتب هذا.ونعلم ان شهادته حق واشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين

7-2-5- بقية كتب العهد الجديد

يخطىء الكثير من المسلمين عندما يظن بأن العهد الجديد مقتصر على الاناجيل الاربعة. فهو يحوي الكثير من الرسائل و الرؤى المنسوبة لتلاميذ المسيح. و والنصارى يسلمون بأن هذه الكتب جزء من كلام الله الموحى به كذلك. و السؤال الذي يطرح نفسه هو من الذي يحدد هذا الأمر؟ و الجواب هو المجامع الكنسية (او بالاحرى الفئة الغالبة من مجموع فرق المسيحيين في ذلك العصر).

7-2-6- المجامع الكنسية النصرانية

1-مجمع نيقية 325 م

جرت خلافات كثيرة حول شخصية المسيح فراجت مقولات تقول بأنه مخلوق (عقيدة آريوس) و انتهى المجتمعون الى انه آله.

2-المجمع القسطنطيني 381 م

لم يبحث مجمع نيقية علاقة الالوهية بروح القدس فراجت مقولات ترجح بان الروح القدس ليس بآله بل مخلوق (عقيدة مكدونيوس) انعقد هذا المجمع و اثبت ان روح القدس هو روح الله و حياته.

3-مجمع افسس الاول 431 م

ما هي طريقة التقاء الآب و الابن و الروح القدس؟

راجت مقولات تقول بأن العلاقة بين الله و بين ابنه المحبة و المسيح الظاهر ليس الها و لكنه مبارك بما وهبه الله من الآيات و التقديس (مذهب نسطور بطريرك القسطنطينية) انعقد المجمع و اثبت طبيعتين للمسيح واحدة لاهوتية و اخرى بشرية و تم لعن نسطور و نفيه الى مصر.

4-مجمع خليقدونية 451 م

راجت مقولات تقول بأن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت و الناسوت (بطريرك الاسكندرية ديسكورس) و عقد هؤلاء مجمعا في افسس لم تعترف به الكنيسة الكاثوليكية. و قامت هذه الكنيسة بمجمع مضاد في خليقدونية و قرروا ان المسيح فيه طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة و ان الالوهية طبيعة وحدها و الناسوت طبيعة وحده التقتا في المسيح. (و هنا انشقت الكنيسة القبطية انتصارا لديسكورس)

5-مجمع قسطنطينية الثاني 553 م

ان جانبا من الاساقفة اعتنق فكرة تناسخ الارواح حتى زعم ان المسيح ليس حقيقة بل هو نموذج خيالي. فقرر المجتمعون تحريم هذه الافكار.

6-مجمع قسطنطينية الثالث 680 م

في القرن السابع ظهر رجل يسمى يوحنا مارون كان يدعي بأن المسيح له طبيعتان و لكن له مشيئة واحدة فقرر المجمع فساد هذه العقيدة. (و هنا نشأت المارونية)

7-مجمع نيقية الثاني عام 787 م

قرر المجمع تقديس صور المسيح و القديسين ردا على قرار سابق للملك قسطنطين الخامس بتحريم هذه الامور.

8-مجمع قسطنطينية الرابع 869 م

ذهب بطريرك القسطنطينية فوسيوس الى ان الروح القدس منبثق من الآب وحده فعارضه بطريرك روما و قال انه منبثق من الآب و الابن معا و عقد مجمعا طرد فيه فوسيوس و حرمه.

8 مرة اخرى – مجمع قسطنطينية الخامس 879 م

استطاع فوسيوس استرجاع مركزه فابطل مقررات المجمع السابق و قال بانبثاق الروح القدس عن الآب فقط. و من هنا نشأت الكنيسة الارثوذكسية التي رفضت الاعتراف بسلطة بابا روما (الملقب خليفة بطرس) و انتصرت لبطركها فوسيوس.

9- مجمع روما عام 1123 م

و من هنا فصاعدا لم تعد الكنيسة الارثوكسية تعترف بهذه المجمعات. قرر هذا المجمع أن تعيين الاساقفة من شأن البابا لا الحكام.

10-مجمع روما 1139

فشل في التوصل الى رأب الصدع بين الكنيسة الشرقية و الغربية.

11-مجمع روما 1179

قرر أن انتخاب البابا يكون بثلثي عدد الكرادلة

12-روما 1215

الكنيسة البابوية تملك الغفران و تمنحه لمن تشاء، اقرار ما شاع سابقا من ان الخبز و الخمر في العشاء الرباني يتحول الى جسد و دم المسيح. و بقيت المجمعات على هذا المنوال حتى التاسع عشر حين ازدادت المنازعات.

19- مجمع تريدنتوا من 1542 م الى 1563 م

و كان غرضه الرد على الافكار التقدمية التي طلعت بها فرقة البروتستانت، و من هذا التاريخ نشأ مذهب البروتستانت.

20-روما عام1869

اقرار ان الباب معصوم

7-3- كيف نشأت عقيدة النصارى؟

7-3-1- دراسات نصرانية عن المسيح التاريخي

في دراسة اسموها "الإنجيل الخامس"حاول اربع وعشرون عالما نصرانيا من جامعات غربية مختلفة على مدى ست سنوات أن يصيغوا ترجمة للاناجيل لا تصطبغ بايمان كاتب الانجيل الشخصي. و هدفوا من وراء هذه الدراسة الى اعطاء القارىء صورة واضحة عن حقيقة ما قاله يسوع المسيح. لقد جمع هؤلاء الباحثون 1500 حديث منسوبة للسيد المسيح في الاناجيل وخرجوا بالنتيجة التالية " **82 % من كلام المسيح ليس له** " وأكملوا قائلين :"لقد تعلم اللاهوتيون والعلماء أن يميزوا بين يسوع التاريخي ومسيح الايمان، بين شخص عاش في بقعة معينة وزمن معين وشخصية اعطيت بعدا دينيا يتمثل بالفداء والخلاص". و لكن إن كان 82 % من الكلام المنسوب للمسيح ليس له فمن اين أتت الاضافات؟ يكمل الباحثون خلاصتهم فيقولون "إن العهود القديمة لم تعرف ما يسمى بالسرقة الادبية فكثير من كتبة الأناجيل كانوا يقتبسون مما سبقهم من أقوال الحكماء وينسبونها إلى المسيح" , يقولون ايضا "ان الكثير من الأقوال المنسوبة إلى المسيح إما مسها التخفيف أو المبالغة لتناسب القوم الذين تتوجه اليهم الاناجيل". وبغض النظر عن مدى التزام النصارى بهذه الدراسة وجدواها أو مدى صحة النسبة المشار اليها فإن ما لا يمكن اغفاله هو اعتراف النصارى بشكل او بآخر وعلى نحو متسارع مع تقدم الزمن بأن كتبة الاناجيل لم يرووا حقيقة حياة يسوع كمؤرخين انما كتبوا تفسيرا لعقيدتهم الشخصية بخصوص المسيح عبر ذكر طائفة معينة مما تناهى الى سمعهم من اخباره.

7-3-2- اختلاف مضمون الاناجيل تبعا لاختلاف الأقوام المبشرين

ذكرنا فيما سبق ان كل كاتب للاناجيل كتب انجيله بروحيته الخاصة وفي هذا يقول اللاهوتي النصراني الاستاذ عوض سمعان في كتابه "الله طرق اعلانه عن ذاته": "ان الاختلاف بين كتبة الاناجيل في بعض التعبيرات يرجع الى ان كلا منهم كتب عن المسيح من ناحية خاصة والى جماعة خاصة من الناس ف"متى" كتب لليهود عن المسيح بوصفه ملك العالم الذي تنبأت التوراة عنه، مرقس كتب للرومان عن المسيح بوصفه عبد الرب الكامل المنفذ لمشيئة الله في كل حين و لوقا كتب لليونان عن المسيح بوصفه ابن الانسان الذي يعطف على الانسانية ويوحنا كتب لجميع المؤمنين عن المسيح بوصفه ابن الله الازلي. لذلك من البديهي ان يقتبس كل منهم من اقوال المسيح ما يتناسب مع الغرض الذي كتب لأجله و مع حالة الناس الذين كتب لهم ايضا و قد كتب الانجيل الى هذه الجماعات دون غيرها لأن العالم في القرن الأول كان ممثلا فيها تقريبا. كما ان هذا الاختلاف هو دليل قانوني على صدق شهادة الرسل و قيام كل منهم بتسجيل سيرة المسيح بالاستقلال على غيره اذ انه لو كانت اقوالهم واحدة في مبناها لكان هناك مجال لاتهامهم بان بعض كتبهم قد نقل عن الانجيل الذي كتبه البعض الآخر."

ويشكل كلام عوض اعترافا بأن الاناجيل كتبت لتلبي اهدافا معينة في نفس كاتبها وبالتالي يستحيل ان تكون وحيا. لذلك نجد ان كل واحد من هذه الاناجيل يركز على اقوال معينة للمسيح تناسب هدفه و يحذف تلك التي لا تناسبه و قد لاحظ الداعية الشيخ ديدات ان الاناجيل الاربعة اتفقت على حادثة دخول المسيح على ظهر جحش الى اورشليم فيما لم يذكر المقطع الذي ينسب الى المسيح عن امره تلامذته بتعميد الامم ب" الآب و الابن و الروح القدس" الا في انجيل واحد؟؟؟

و السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: هل يحق للكاتب ان يختزل من اقوال المسيح ما يريد و يبقي منها ما يثبت الناحية التي يتكلم بها؟ هل يحق له تسليط الضوء على ناحية معينة من حياة المسيح و يهمل الاخرى ؟ الا يشبه هذا تصرف وسائل الاعلام الغربية ففي معظم الأحيان هي لا تكذب و لكنها تخفي الكثير من الحقائق او تسلط الضوء على حوادث تافهة و تتجاهل الحوادث المهمة. و هذا بمجمله نوع من الكذب و التدليس يشوه الحق حسب اهواء الأمم.

7-3-3 من هو مخترع النصرانية الاساسي؟

اذا كان معظم النصارى يقرون بأن تأليه المسيح لم يكن على يد الحواريين و بأن الكتب المنسوبة اليهم في الاناجيل ليست لهم، فمن هو مخترع الديانة النصرانية الاساسي؟

بولس هو أبو النصرانية المعاصرة باعتراف الكل وافضل من اعطى تفسيرا للمسيح التاريخي برأي النصارى وهو اكبر مساهم في العهد الجديد من بين سائر كتابه. و في كتابه "المئة الاشهر في التاريخ" وضع د. هارت بولس في مرتبة اعلى من المسيح نظرا للتأثير الهائل الذي احدثه في مسار التاريخ. بولس كان يهوديا اسمه شاول يضطهد المسيحيين الى ان رأى المسيح في المنام يقول له "لماذا تضطهدني" فآمن للتو. ولكن ما يدهش في هذا الايمان كون بولس لم يلجأ الى تلاميذ المسيح كي يتعلم اوامره ولا الى بطرس "الصخرة التي بنى المسيح الكنيسة عليها" بل بدأ يبشر بالديانة المسيحية للتو. والنصارى يفسرون ذلك بكون "المسيح انكشف لبولس انكشافا تاما في هذه الرؤية". لاحظوا معنا كيف تتكون عقيدة النصارى من مجموعة اكاذيب وافتراضات لا منطقية. لا بد وأن معظمكم يظن بأن عقيدة التثليث هي النقطة اللامنطقية الوحيدة في الفكر النصراني ولكن الحقيقة تتمثل في أن المحافظة على هذه الكذبة وحمايتها دفع المسيحيين الى الايمان بالكثير من الاكاذيب تطبيقا للمثل الذي يقول "حبل الكذب قصير".. فأي منطق في هذا الكلام: يرسل الله ابنه (تعالى الله ان يتخذ ولدا) كي يعلم التلاميذ والبشر بتعاليم معينة ثم ينسخ كل هذه التعاليم في رؤيا دامت ثوان الى شخص لم ير المسيح يوما. لماذا يضعنا الله في هذه الحيرة؟ وعلى اي اساس سنختار عقيدتنا؟ على أساس كتاب لا نعرف من كتبه اسمه الكتاب المقدس ام على أساس شخص لم ير المسيح اسمه بولس؟ على كل حال قبل ان نكمل دعونا نتأكد مما رويناه لكم عن بولس حتى الآن كما يعلنه هو عن نفسه في الكتاب المقدس: "واعرّفكم ايها الاخوة الانجيل الذي بشرت به انه ليس بحسب انسان. لاني لم اقبله من عند انسان ولا علّمته بل باعلان يسوع المسيح. فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية اني كنت اضطهد كنيسة الله بافراط واتلفها. وكنت اتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من اترابي في جنسي اذ كنت اوفر غيرة في تقليدات آبائي. ولكن لما سرّ الله الذي افرزني من بطن امي ودعاني بنعمته ان يعلن ابنه فيّ لابشر به بين الامم للوقت لم استشر لحما ودما ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي بل انطلقت الى العربية ثم رجعت ايضا الى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما. ولكنني لم ار غيره من الرسل الا يعقوب اخا الرب."

7-3-4- كيف وافق الحواريون على مغالطات بولس؟

لم يقبل الحواريون بأقوال بولس وهذا مما يجمع عليه الكثير من النصارى. لا بل ان هذا موجود في نص الكتاب المقدس على لسان بولس نفسه الذي بدأ دعوته دون ملاقاتهم والذي اتهم بطرس بالرياء لأنه تشبث بالشريعة. وهذا الانقسام بين التلاميذ من جهة وبولس من جهة اخرى يتكرس في العهد الجديد نفسه الذي ينقسم الى قسمين: انجيل يوحنا (و رؤياه) ورسائل بولس من جهة والاناجيل الثلاثة وسائر الرسائل من جهة اخرى. القسم الاول يدعو الى الايمان بالمسيح للخلاص بينما القسم الثاني يدعو الى اتباع الناموس والقدوة بالمسيح للخلاص. وامام هذا التناقض كان لا بد من كتابة كتاب ما يشكل صلة وصل بين القسمين فكان كتاب "اعمال الرسل" الذي يجمع بين بولس وسائر الرسل في دعوة التبشير ويضيق الفوارق الهامة بينهما. والمراقب التاريخي يشك في حدوث هذه الدعوة المشتركة و يرجح الخلاف الضاري بين الطرفين وان كنا لا نستبعد شخصيا ان يكون قد حدث بعض

التبشير المشترك لأن الخطر العظيم الذي ادخله بولس لم يكن ظاهرا في ذلك العصر فهو لم يخرق الناموس من حيث اوامر الزنا والشذوذ الجنسي واحترام المرأة لزوجها و سائر تلك الامور بل ركز على قضية ثانوية و هي الختان الذي كان صعبا بالفعل على غير اليهود لكن الخطر كل الخطر كان في المنهجية التي يفكر فيها بولس كما سنرى في المقطع التالي.

7-3-5- ما الذي استحدثه بولس في النصرانية؟

هل هو الايمان بالمسيح كأله؟ هل هو الاعتقاد بالتثليث؟ لا نعتقد بأن بولس كان يعتقد هذا الاعتقاد فقد اكدنا سابقا ان هذا الاعتقاد لم يكن مألوفا عند النصارى الأوائل بل تجوهر عبر الوقت. لنرى ماذا يقول بولس عن المسيح : "ولكن الذي وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة من اجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لاجل كل واحد. " انه يصفه بأنه يكاد يكون ملاكا و معناه بأن بولس و ان كان قد ساهم في الغلو الذي مارسه النصارى بحق المسيح لم يصل الى اعتباره آلها بل الى اعتباره مخلوقا سماويا. التغيير الاساسي الذي قام به بولس هو تفسيره للمسيح على انه اتى ليفدي البشرية و يخلصها من الخطيئة الاصلية في حين ان المسيح عليه السلام كان نبيا كغيره من الرسل و انزل على قومه خاصة وهذا الكلام موجود على لسان المسيح حتى في كتابهم المحرف "هؤلاء الاثنا عشر ارسلهم يسوع واوصاهم قائلا.الى طريق امم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة." "لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء.ما جئت لانقض بل لاكمّل. ولكن بولس ابى والا ان يجعله فداء للبشرية وأن يبشر فيه بين الامم وان يلغي الناموس الذي لم يلغه عيسى عليه السلام (مع تركيزه على الختان). من اكثر العبارات التي وصف فيها بولس تعبيرا هي هذه الجملة "لقد ابدل بولس فكرة الخلاص في المسيحية من حياة على نسق المسيح الى مجرد ايمان بالمسيح". بمعنى آخر ليس من الضروري على النصراني ان يلتزم بالناموس ان آمن بالمسيح وهذا ما ادى بالمسيحية اليوم الى التخلي عن العبادات واوامر الشريعة واستبدال هذه الاوامر بعقيدة الفداء التي سنأتي على ذكرها لاحقا.

7-3-6- الكتاب المقدس تفسير لشخصية المسيح التاريخية

وكخلاصة لجميع ما قيل فأننا نستنتج ما يلي: في مجال التبشير يقدم المبشرون النصارى كتابهم المقدس على أنه كلام الله كي لا يضلوا الحملان الصغيرة (العامة من النصارى أو النصارى الجدد). و لكن في حلقاتهم الداخلية لا يجد المبشرون ضررا من الاعتراف **بأن كتابهم المقدس كان تفسيرا دينيا لشخصية المسيح التاريخية**. بمعنى آخر لا صلة مادية واضحة بين المسيح التاريخي الحقيقي وما نقل على لسانه في الأناجيل. لذلك لا غرابة في ان تجد ان كثيرا من الفلاسفة الغربيين ينتقدون القديس بولس على أساس انه ابتدع دينا جديدا اما سر التعلق الكنيسة النصرانية به فهو لكونه أفضل من اعطى شرحا متكاملا لشخصية المسيح التاريخية بنظرهم. هذا فضلا على أن مساهماته في العهد الجديد هي أقدم الكتابات الموثقة وقد تأثرت بشروحاته جميع الكتب اللاحقة في العهد الجديد ومنها الأناجيل الأربعة بالطبع.

7-4- التفسير الاسلامي لشخصية المسيح والنصرانية

7-4-1- مقدمة

بعد ان بينا تطور النصرانية عبر التاريخ وتفسير بولس لشخصية المسيح عليه السلام دعونا نلقي نظرة على تفسير الاسلام لشخصية المسيح عليه السلام.

7-4-2- لمحة تاريخية عن ظروف بعثة عيسى عليه السلام

ارسل الله نبينا عيسى عله السلام الى بني اسرائيل بعد ان قست قلوبهم واكتفوا بتطبيق ظواهر الشريعة ليخفف عنهم بعض التكاليف. " **ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين - ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون**" (آل عمران 49-50) وقد ارسل اليهم في وقت كان لديهم ما يشبه الحكم الذاتي تحت سيطرة الامبراطورية الرومانية. وهذا يجعل الفترة التي يعيش فيها اقرب الى العهد المكي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك من الطبيعي ان نجد فيها كثيرا من

الاحكام التي تلتزم بضبط النفس والتسامح والصبر على الظلم والإضطهاد حتى يقضي الله امرا كان مفعولا اذ ان الدعوة في بدايتها لا تبدأ الا بهذه الطريقة.

7-4-3- شخصية يسوع النصارى مخالفة لشخصية مسيح الاسلام

وطبقا لما توصلنا اليه من كون الكتاب المقدس محرف فنحن لا نصدق كل القصص التي مرت فيه ونشعر ان اكثرها محور وبعضها لا اصل له حتى. اذ يلاحظ القارىء اللكتاب المقدس اليوم ان يسوع الانجيل يظهر دائما بمظهر المناور الذي يخشى قول كلمة الحق ويقولها بطريقة ملتبسة امام اليهود الذين جاءوه باحثين له عن هفوة يدينونه بها امام السلطة الرومانية الوثنية.. وطبعا ما كان هذا دأب الانبياء عليهم السلام بل كانوا جريئين في قول كلمة الحق بكل وضوح وثبات. ولو ان الامر يقتصر على بعض الشؤون البسيطة لهان المر ولكنهم يصورونه بهذا المظهر حتى في اهم امور العقيدة عندهم. انظر الى المثل التالي من انجيل يوحنا: "انا والآب واحد، فتناول اليهود ايضا حجارة ليرجموه. اجابهم يسوع اعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند ابي. بسبب اي عمل منها ترجمونني. اجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف. فانك وانت انسان تجعل نفسك الها. اجابهم يسوع أليس مكتوبا في ناموسكم انا قلت انكم آلهة. ان قال آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله.ولا يمكن ان ينقض المكتوب. فالذي قدسه الآب وارسله الى العالم أتقولون له انك تجدف لاني قلت اني ابن الله. ان كنت لست اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي. ولكن ان كنت اعمل فان لم تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا ان الآب فيّ وانا فيه.″ فهل تستطيع ان نفهم ماذا يريد يسوع الإنجيل المزيف ان يقول؟ هل هو اله ام لا؟ وكيف يجبن ان يقول عن عقيدة الخلاص للناس ويتركهم يتخاصمون 300 عام ليحسموها؟؟

7-4-4- المجامع النصرانية انتقائية

نستطيع ان نرى بوضوح بأن معظم هذه المجامع كانت مجامع السلطة و ان المجمع الاول استبعد 2000 قسيسا و اخذ برأي ثلاثمائة فقط هم المقربين من الملك قسطنطين وحتى لو غضضنا النظر عن هذا فإن الناظر في هذه المجمعات كلها يرى ان قراراتها لم تكن ابدا على اساس النصوص المقدسة (دون ان يعني هذا بأننا نعترف بهذه النصوص). بل كان الحكم فيها للرأي المجرد فقط. و كانت الكنائس تنشق عن بعضها لاسباب شخصية فكل مدينة تناصر بطركها. كما ان ما يثير الاستغراب ان العقيدة اللاهوتية نفسها لم تحسم حتى القرن الثامن حين استقر الرأي على كيفية تكون هذا الثالوث العجيب، لا بل نحن نجزم ان هذا الامر ما زال مثار بحث حتى الآن لأنك لا تسأل نصرانيا الا ويفسر لك هذا الثالوث بشكل مختلف وهذا امر طبيعي لأن من كذب كذبة في اول الطريق سيضطر ليكذب ثانية لتغطيتها و ثالثة لتغطية الثانية و هكذا دواليك.

7-4-5- عصمة الكنيسة

والسؤال الذي يطرح نفسه هو "من الذي يضمن لنا أن بولس وجميع المجامع التي قامت بعده ومنها ما حرق الاناجيل الخاطئة ومنها ما وضع نظرية التثليث هم على حق؟" الجواب النصراني على ذلك هو "**المسار التاريخي للأمور**". بمعنى آخر ليست العصمة والوحي مقصورة على بولس وعلى كتبة الأناجيل الذين لا نعرف أسمائهم بل على كل شخص أو حدث ساهم في ايصال النصرانية إلى ما هي عليه اليوم (أو على الأقل إلى اليوم الذي اتخذت فيها شكلها شبه النهائي في مجمع نيقية سنة 300 م). من وجهة النظر الإسلامية يبدو هذا التبرير غير منطقيا (وهو كذلك بالطبع) ولكنه بالنسبة للنصارى الذين "بلعوا" تأليه المسيح فليس صعبا عليهم "بلع" هذه النظرية كذلك. تذكرنا هذه المقولة بنظرية البقاء للأقوى فبما أن مسار التاريخ أدى إلى عقيدة التثليث الحالية التي انتصرت بمنطق القوة أو الأغلبية فلا بد وأن تكون هي العقيدة الصائبة وبما أن الكتاب المقدس الحالي اختير بعد مراجعات ومداولات واختيارات كثيرة فلا بد أن يكون هو الصواب. وما سميناه نحن "المسار التاريخي" يطلق عليه النصارى اسما عقديا هو "**الكنيسة**" (تجلي المسيح عبر التاريخ الى العالم). وفي ما يتوقف البروتستانت عند الكتاب المقدس كآخر مرحلة من مراحل هذا التجلي (بمعنى آخر كل ما يمثله المسيح موجود في هذا الكتاب) فإن بقية الكنائس وخاصة الكاثوليك يظنون بأن هذا الكشف ما زال مستمرا مع رأس الكنيسة خليفة القديس بطرس (الحبر الاعظم) الذي له –نظريا على الاقل– سلطة تحديث الدين (وربما نقض ركن من أركانه المتعارف عليها حتى ذلك التاريخ).

7-4-6- تفسير الاسلام لشخصية المسيح اصدق من تفسير بولس و المجامع الكنسية

يرفض النصارى ان يفكروا في احتمال كون المسار الذي وصلت إليه النصرانية خاطىء و تتمثل حجتهم في أن الله لا يمكن وأن يسمح لأمة كاملة بأن تضل وان أجدادهم لو كانوا على خطأ لما استطاعوا تغليب رأيهم. غير أن هذا المنطق (إن صح ان نسميه منطقا) ليس حجة على غيرهم من الأديان إذ كم من الأديان الضالة (باعتراف النصارى أنفسهم) تغلبت على الحق قبل مجيء المسيح أو حتى بعده. وسنرى عندما يأتي الوقت المناسب بأن أي باحث تاريخي ينظر بعين مجردة سينظر الى احتمال كون المسيح كان نبيا لم يقل يوما بالألوهية أكبر بكثير من الرأي المقابل. بمعنى آخر ان التفسير الذي أعطاه الإسلام للمسيح أصدق بكثير تاريخيا من التفسير الذي أعطاه بولس و ما تبعه من مجامع وبالتالي ليس على المسلمين أبدا ان يظنوا بأن التاريخ يقف إلى جانب ادعاء النصارى بأن المسيح ادعى الألوهية بل العكس هو الصحيح.

طبعا والإسلام يرفض مقولة المسار التاريخي هذه كأساس للإيمان "**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**" فينهى عن اتباع التاريخ أو التراث أو التقاليد كأساس للحق بل يدعو دوما للتفكر والتعقل كسبيل للهداية. ليس هناك ايمان أعمى في الإسلام بل ايمان على بصيرة. ما من مسلم يقول على سبيل المثال أن لجنة مؤلفة من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) اجتمعت لتراجع نصوص القرآن الكريم وحذفت منه ما لا يتوافق مع عقائد اللجنة وزادت عليه رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة وإلي غيرها (لا ننسى ان الكتاب المقدس يحوي رسائل من بولس إلى الرومان وغيرهم من الاقوام!!!) و بأن هذا الكتاب الذي نتج من اجتماع عمر/عثمان هو كلام الله بدليل أن عمر وعثمان انتصروا على من خالفهم وما كان الله ليسمح بذلك لولا موافقة ذلك للحق.

7-5- مقارنة بين القرآن والسنة من جهة والكتاب المقدس من جهة اخرى

7-5-1- مقدمة

تحدثنا في الفصول التي سبقت عن الكتاب المقدس ومؤلفيه وظروف كتابته، والآن نتحدث عن القرآن الكريم والسنة لنبين الإختلاف الجذري بين الاصول التي بني عليها الاسلام والاصول التي بنيت عليها النصرانية.

7-5-2- هل الكتاب المقدس كلام الرب؟

يقول الداعية احمد ديدات رحمه الله: يعتبر السيد سكروجي من أكبر علماء البروتستانت التبشيريين وهو يقول في كتابه "هل الكتاب المقدس كلام الرب؟" ما يلي "نعم ان الكتاب المقدس من صنع البشر بالرغم من أن البعض جهلا منهم قد أنكروا ذلك". " ان هذه الكتب قد مرت من خلال أذهان البشر و كتبت بلغة البشر وبأقلامهم، كما انها تحمل صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر" و يقول عالم نصراني آخر "و بعكس القرآن فإننا نجد أن العهد الجديد يحتوي بعض التلخيص والتنقيح. هناك اختيار للألفاظ وتجديد وشواهد. إن كتب العهد الجديد قد جاءت من ذهن الكنيسة التي تقف وراء المؤلفين، فهذه الكتب تمثل الخبرة والتاريخ".

و يتابع السيد ديدات فيجد أن الكتاب المقدس يحتوي ثلاث أنواع من الكلام:

1- كلام الرب: مثل "أنا أنا الرب ولا مخلص غيري" (نبوءة اشعيا)
2- كلام نبي الرب: مثل "فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحا، إنه لا صالح إلا الله وحده"
3- كلام المؤرخ: "فنظر عن بعد شجرة تين ذات ورق، فدنا اليها، لعله يجد عليها شيئا فلما دنا لم يجد الا ورقا"

و المسلم يملك هذا النوع من الكلام ايضا ولكنها مفصولة في ثلاث كتب.

1- القرآن الكريم كلام الله الموحى إلى عبده باللفظ والمعنى.
2- الحديث الشريف ومعانيه موحاة ولكن الفاظه من الرسول صلى الله عليه و سلم.
3- السيرة النبوية العطرة وهي سرد لما وقع مع الرسول من حوادث بأيدي علماء المسلمين.

ويتابع الشيخ ديدات فيقول بأن نسخة الملك جايمس وهي من أشهر النسخ المعتمدة اليوم حتى عند الكاثوليك رغم انها في الأصل للبروتستانت نجد في مقدمتها اطراء جميلا للترجمة إلا اننا نصطدم بالجملة التالية التي كتبها مراجعو هذه النسخة من علماء

النصارى: "و لكن نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جدا و ان هذه العيوب و الاخطاء عديدة و خطيرة مما يستوجب التنقيح في الترجمة الانجليزية" وكي لا نظن بأن التنقيحات طفيفة يعطينا الشيخ ديدات مثالا على ذلك من انجيل يوحنا 3: 16 حين يشير الى كلمة begotten اي مولود قد استؤصلت من الانجيل عند تنقيحه مع ما في هذا الأمر من خطورة كون هذه الكلمة تمس العقيدة المسيحية في الصميم فالاختلاف بين "ابن الله" (وهي كلمة شائعة عند اليهود بمعنى حبيب الله) و"ابن الله المولود" شاسع جدا على المستوى العقدي وإذا جاز حذف هذه الكلمة فما الذي يضمن الا تحذف (أو تزاد) كلمات اخرى؟

7-5-3- كيف وصل النصارى الى عصمة كتابهم؟

إلى هنا ينتهي كلام الداعية ديدات ونستنتج منه ما يلي:

1- لا يوجد مثيل للقرآن الكريم عند النصارى واليهود (أو عند أي دين آخر) من حيث وجود كتاب يتكلم فيه الرب مباشرة لعباده دونما مشاركة مع احد آخر بصياغة هذا الكتاب. وبالتالي كيف نتحدث بأن الكتاب المقدس كلام الله؟؟؟

2- الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق كما رأينا من قبل تمثل بالادعاء في عصمة المسار التاريخي للنصرانية اي عصمة كل من تناوب على كتابة العهد القديم الذي كتب على مدى قرون وعصمة و قدسية التلاميذ الذين كتبوا الأناجيل (علما بأن نسبة هذه الأناجيل إلى التلاميذ ليست مبتوتة أبدا كما رأينا) وأكثر من ذلك علينا أن نؤمن بعصمة المترجمين والمنقحين الذين ترجموا وعدلوا الكتاب المقدس خلال هذه القرون (مع كل نسخة للكتاب المقدس تزاد كلمات و تنقص اخرى) وعصمة كل المجامع الكنسية التي حذفت كتبا واحرقت اناجيلا واستبقت اخرى. في المقابل لا يطلب الإسلام أبدا عصمة أي شخص باستثناء الرسول صلى الله عليه و سلم الذي اوحي اليه القرآن وسجل وحفظ في الصدور والسطور خلال حياته وليس بعد وفاته بسبعين سنة.

3- قد يقول قائل بأن النصراني أو اليهودي لا يؤمن بعصمة الكتبة إنما بصدقهم في نقل ما سمعوه كما يؤمن المسلم برواة الحديث الشريف وهنا يطرح سؤالا: "هل توفر لليهود عبر قرون طويلة من الاضطهاد من ينقل الأحكام بصدق؟" (هذا على فرض أن اليهود كانوا صادقين في ايمانهم وهو ادعاء ينقضه القرآن والانجيل (الحالي) و التوراة (الحالية) فاليهود حتى في كتبهم الحالية قتلة الأنبياء وعبدة العجل. ونفس الأمر ينطبق على النصارى الذين تلقوا ضربة قوية شتتت شملهم عند صلب المسيح (كما يعتقدون هم). ونحب ان نشير هنا إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي توفي رسوله بعد إقامة حكم مستقر تتأمن فيه الظروف الموضوعية لحفظ التراث الديني دون تحوير.

7-5-4- شواهد من الكتاب المقدس على اختلاط كلام الكاتب بكلام الانبياء

سنقتصر على عرض الشواهد التي تؤيد النقطة الأولى من اختلاط كلام الكتبة بالكلام المنسوب إلى الله أو رسوله. يبتدأ انجيل لوقا بالمقطع التالي: إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالي إليك ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علّمت به

و هنا نسأل هل الله عز وجل يكتب رسالة إلى العزيز تاوفليس؟ بالطبع لا. هل عيسى المسيح عليه السلام يكتب هذه الرسالة؟ بالطبع لا ايضا. اذن من هو الكاتب؟ يقول العالم النصراني فيليبس في مقدمته لترجمة "بشارة القديس لوقا" : "قام لوقا بمقارنة و تنقيح المواد المتوفرة، و من الواضح أنه كانت لديه مصادر اضافية اخرى استقى منها هذه المعلومات" وبالتالي ليس هناك وحي الهي إنما دراسة موضوعية كالتي نقوم بها الآن.

و لنرى كيف ينتهي انجيل يوحنا: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا.ونعلم ان شهادته حق واشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين

و هنا نرى بوضوح أن كاتب انجيل يوحنا ليس يوحنا إنما شخص آخر يشهد بيوحنا وبأن شهادته حق. ومرة أخرى دخل كلام الكاتب إلى الانجيل ليعتبر كلاما مقدسا وموحى به هو الآخر. يحق لنا أن نستغرب كيف يعتبر هذا المقطعان جزءا من الكتاب المقدس. مثلا نرى على أول صفحة من القرآن الكريم "هذه النسخة طبعت على نفقة خادم الحرمين الشريفين" و لكن هل يأتي يوم تصبح فيه هذه الجملة آية من القرآن الكريم؟؟؟

على فرض ان هذه النقطة السابقة غير جوهرية باعتبارها لم تقدم أو تؤخر بمحتوى الانجيل دعونا نرى كيف يبتدأ انجيل يوحنا: في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه. عبر قراءتنا للأناجيل الأربعة فهذا المقطع – على رغم غموضه – هو الشاهد الوحيد منها على عقيدة التثليث (وإن وجدت اشارات أخرى غامضة عن ألوهية المسيح). والغريب أن هذه الجملة كما يبدو منسوبة إلى كاتب انجيل يوحنا (لو كان المسيح قالها لقيل "قال يسوع" قبلها كما هي العادة). وهنا نستغرب كيف يضيف هذا الكاتب جملة من افكاره الخاصة إلى الانجيل بحيث تصبح آية يستشهد بها لإثبات امر عقدي؟؟؟

7-5-5- بين القرآن والكتاب المقدس

- القرآن الكريم منزل من الله لفظا و معنى وليس الكتاب المقدس كذلك بل هو عندهم كلام الله الذي عبر عنه القديسون بلغتهم.
- القرآن الكريم لا يحتوي اي تناقض و الكتاب المقدس يحتوي الكثير من التناقضات باعتراف النصارى ايضا حتى ان اللاهوتيون يقولون: الكتاب المقدس مثل البشر يحمل اخطاءهم و عثراتهم و تناقضاتهم (لا عجب اذا كان الله عندهم يحمل صفات البشر فهل نستغرب أن يحمل كتابهم المقدس صفات البشر أيضا).
- القرآن الكريم حفظ في الصدور و قرأ في الصلوات و كتب على عهد الرسول صلى الله عليه و سلم بينما لم تكتب الاناجيل الا بعد عشرات السنين من صعود المسيح الى السماء.

7-5-6- بين الحديث والكتاب المقدس

بما ان الاناجيل تروي حياة المسيح و اقواله فهل يصح مقارنتها بالاحاديث الشريفة و السيرة التي تروي حياة محمد صلى الله عليه و سلم؟

- الأحاديث الشريفة تشمل كل حياة الرسول صلى الله عليه و سلم في الدعوة و ليست مقتطفات مختارة حسب اهواء الكتبة. فهل يعقل أن المسيح عليه السلام لم يقل سوى ثلاثمائة حديث في حياته؟ نحن نملك أحاديث تشمل كل امور الحياة من تجارة و زواج و طهارة و صلاة و سفر ، بعض الأحاديث تصور ردة فعل الرسول صلى الله عليه و سلم من غضب او من سرور او وضعية يديه في الصلاة أما اناجيلهم فكتبت لغرض معين و هو دعوة الأمم للإيمان بالمسيح.
- الأحاديث الشريفة متواترة و سندها موصول الى الرسول صلى الله عليه و سلم بينما لا نعرف سند الاناجيل، لا نعرف حتى كتبتها الاصليين و مترجميها...
- وراء الأحاديث علم عمل فيه الفقهاء طوال سني حياتهم و هو علم الحديث و اصوله الذي يدقق في السند و صحته و يضعف الأحاديث التي تروى عن أناس لم يشتهروا بالصدق او بقوة الحفظ فيما لم نسمع عن وجود هذا العلم للتدقيق في الأناجيل. لقد واجهت المسيحية الاضطهاد منذ نشأتها ، وفي عصر تدوينها ورواية كتبها؛ ولذا وقع الاضطراب في الأناجيل بسبب انقطاع أسانيدها الذي يعترفون به جميعا . إنه لا غرابة في كتب دونت في جو سري مشحون بالتوتر والخوف والمصادرة ، ودونت على فترات متباعدة جداً أن تختلط فيها الحقائق بالأساطير، وأن تتسرب إليها تأثيرات المجتمع الروماني ، وتأثيرات الفلسفة اليونانية .
- كل ما روي عن الرسول صلى الله عليه و سلم موجود في كتب الأحاديث حتى الضعيف و المكذوب و الاسرائيليات بينما قام المسيحيون باحراق كل الاناجيل التي لا تتفق مع عقائدهم. و لو أنهم صادقون مع أنفسهم لأبقوها كما فعلنا و ضعفوها أو كذبوها بأدلة معينة مثل ضعف الثقة بالسند و لكنهم لم يحرقوها و يتلفوها لضعف سندها بل لاحتوائها على ما لا يناسب عقائدهم. هذا هو التفسير المنطقي الوحيد ومن لديه تفسير آخر ليطلعنا عليه و المسلمون يظنون خطأ بأن انجيل برنابا هو الانجيل الوحيد غير المعترف فيه و هذا غير صحيح فهناك المئات من الاناجيل المنسوبة للتلاميذ و القديسين و التي كانت رائجة في العصور المسيحية الأولى ولكنها احرقت على يد مجمع كنسي كانت مهمته اعداد الكتاب المقدس و حتى عصرنا هذا ما زالت بعض من هذه المخطوطات محفوظة في الأديرة. و روى لنا احد الأصدقاء النصارى الغربيين بأن انجيل يوحنا كاد أن يفشل في امتحان الدخول

ضمن دفتي الكتاب المقدس و لكنه دخل في آخر لحظة (بالواسطة على ما يبدو) و يردف هذا الصديق بأنه يتمنى لو لم يدخل لما فيه من عبارات معادية للسامية تتحدث عن اليهود بقسوة!!!!!

- كل الأقوال المذكورة هنا هي حقائق و ليست شبهات و قد تأكدنا منها من قبل لاهوتيين معروفين و لكن بعض النصارى العامة يغرر بهم كي لا يشكوا بدينهم فتخفى عنهم هذه الحقائق أو يقال لهم بأن كل من دخل في هذه العمليات (كتابة- ترجمة – تنقيح – اختيار – حرق ...) معصوم.

7-6- أدلة محسوسة على تحريف الكتاب المقدس

7-6-1- مقدمة

يسأل النصارى: ان كنتم تدعون ان تحريف الكتاب المقدس حاصل فاثبتوا لنا اين وكيف ومتى وقع التحريف، صحيح اننا افضنا في الفصول السابقة في بيان الادلة التاريخية على تحريف الكتاب المقدس ولكن لما كان التاريخ حجة قابلة للتأويل والأخذ والرد خاصة اننا لا نملك آلة الزمن فسنحاول التركيز في هذا الفصل على الادلة الحسية والمادية والعقلية فقط. والجواب على السؤال المطروح يكون عبر ثلاثة وجوه:

7-6-2- التناقض دليل التحريف:

فالمعيار لكشف التحريف كما يقدمه القرآن الكريم هو التناقض. **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**. دونما كبير اهتمام بمتى ولماذا وكيف حصل التحريف.

1- التناقضات في العهد القديم

تقول السيدة ايلين وايت (نبية الطائفة السبتية) : "ان الكتاب المقدس الذي نقرؤه اليوم هو نتيجة عمل نساخ عديدين استطاعوا في معظم الاحيان ان ينفذوا عملهم باتقان مدهش. و لكن النساخ لم يكونوا معصومين من الخطأ و الرب في هذه الأحيان لم ير ضرورة حفظه من اخطاء النسخ". لذلك فهم ينسبون أخطاء الأرقام في العهد القديم إلى أخطاء في النسخ وهذا دليل آخر على وجود التحريف سواء كان مقصودا ام لا.

سبع سنين أم ثلاث سنين؟

صموئيل الثاني 13:24

فأتى جاد إلى داود واخبره وقال له أتاتي عليك سبع سني جوع في ارضك أم تهرب ثلاثة اشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك ام يكون ثلاثة أيام وبأ في ارضك.فالآن اعرف وانظر ماذا أرد جوابا على مرسلي.

أخبار الأيام الأول 11:21

فجاء جاد الى داود وقال له هكذا قال الرب اقبل لنفسك إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك وسيف أعدائك يدركك أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووبأ في الارض وملاك الرب يعثو في كل تخوم اسرائيل.فانظر الآن ماذا أرد جوابا لمرسلي

700 ام 7000 ، فارس ام راجل؟

صموئيل الثاني 18:10

وهرب ارام من أمام اسرائيل وقتل داود من ارام سبع مئة مركبة واربعين الف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك.

اخبار الأيام الاول 18:19

وهرب ارام من امام اسرائيل وقتل داود من ارام سبعة آلاف مركبة واربعين الف راجل وقتل شوبك رئيس الجيش.

الفين ام ثلاثة؟

الملوك الأول 26:7

وغلظه شبر وشفته كعمل شفة كاس بزهر سوسن.يسع الفي بث.

اخبار الايام الثاني 5:4

وغلظه شبر وشفته كعمل شفة كاس بزهر سوسن.يأخذ ويسع ثلاثة الآف بث.

اربعة آلاف ام اربعين الفا؟

الملوك الاول 26:4

وكان لسليمان اربعون الف مذود لخيل مركباته واثنا عشر الف فارس.

الاخبار الثاني 25:9

Chr:9:25:2

وكان لسليمان اربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر الف فارس فجعلها في مدن المركبات ومع الملك في اورشليم.

2- التناقضات في العهد الجديد

تناقضات العهد الجديد (الاناجيل) أكثر بكثير من تلك الموجودة في العهد القديم (التوراة) لأن الأناجيل الأربع تتكلم عن نفس القصة ولكن غالبا تأتي بشكل متناقض. يبرر النصارى هذا الامر بكون كل انجيل كتب إلى فئة من الناس وبالتالي يعرض لوجه من وجوه المسيح ولكن هذا الكلام يبرر أن تختلف الصياغة، أن تختصر بعض أقوال المسيح ولكنه لا يبرر أن يقول المسيح شيئا في أحد الاناجيل و شيئا آخر في انجيل آخر في مقاطع تتحدث عن نفس الظرف. ذلك لا يبرر أيضا المفارقات في الأرقام او الأزمنة و إلا أصبح تزويرا للحقائق. وذلك لا يبرر أن تجتمع هذه الاناجيل على حادثة دخول المسيح بيت المقدس على ظهر جحش وتتفرد احد هذه الاناجيل بقول قاله المسيح بعد قيامته وبنيت عليه أسس عقدية مهمة. يقول ول ديورانت " وملاك القول ان ثمة تناقضا كبيرا في الاناجيل وان فيها نقاطا مشكوكا بصحتها وكثيرا من الحوادث التي وضعت عن قصد لاثبات الكثير من النبوءات الواردة في العهد القديم"

7-6-3- اختلاف النسخ دليل تحريف

مولود (حذف الكلمات)

بينا في الفصل السابق ان كلمة "مولود" اضيفت إلى الكتاب المقدس ثم حذفت منه بحيث ان بعض النسخ الآن تحتوي هذه الكلمة و بعضها لا. انظروا الى يوحنا 16:3.

لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية.

For God so loved the world, that he gave his only begotten Son, that whosoever believeth in him should not perish, but have everlasting life. (KJV)

على ما يظن (اضافة ما بين الأقواس)

يقول الداعية أحمد ديدات بخصوص المقطع في لوقا 23:3 بأنه في مخطوطات لوقا الأكثر قدما لا توجد الكلمات (على ما يظن) فخاف مترجمو الانجيل أن يضيع النصارى الجدد ويظنوا بان المسيح هو ابن يوسف النجار فأضافوا تعليقهم الخاص بين قوسين ولكن هذين القوسين أزيلوا من جميع الطبعات غير الانكليزية ليصبحوا جزءا من الكتاب المقدس.

ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي

And Jesus himself began to be about thirty years of age, being (as was supposed) the son of Joseph, which was the son of Heli, (KJV)

آخر انجيل مرقس (إضافة الهوامش)

و يعطي ديدات الكثير من الأمثلة عن فقرات تقفز من النص إلى الهوامش ثم تعود إلى النص ويتساءل عن هذه البدعة. فهل الكلام في الهامش جزء من الكتاب المقدس أم لا؟. في بعض الطبعات قفزت المقاطع من 8-20 من الفصل الأخير لإنجيل مرقس إلى الهامش على اعتبار أنه تبين للدارسين أن هذه الفقرات غير موجودة في النسخ القديمة. فهل تعتبر هذه المقاطع من ضمن الانجيل أم لا؟

7-6-4- لا ضرورة لاثبات تحريف لكتاب المقدس

يقع بعض المسلمين في فخ المبشرين النصارى حينما يسألونهم "ألا ينص القرآن على وجوب الإيمان بالكتاب المقدس؟" (bible) فيجيب المسلم "نعم" جاهلا مما يتكون هذا الكتاب. في الحقيقية لا ذكر للكتاب المقدس في القرآن الكريم. وما يثير العجب أن لا

وجود لذكر "الكتاب المقدس" أو bible في الكتاب المقدس نفسه بينما القرآن الكريم يحتوي في آياته عشرات المرات على كلمة "القرآن"!!!! والسؤال الذي يطرح نفسه كما يقول الشيخ ديدات : "هل نسي الله أن يسمي كتابه؟؟؟؟" بالطبع لا ولكن الكتاب المقدس ليس كتابا الهيا انما مجموعة مخطوطات وأسفار كتبت بأيدي بشر وجمعها ونقحها بشر اختاروا ما يناسب معتقداتهم وجمعوها في كتاب واحد اسمه الكتاب المقدس.

الإسلام يعترف بكتاب اسمه الانجيل أنزل على عيسى عليه السلام وكتاب اسمه التوراة أنزل على موسى عليه السلام. وتشابه الأسماء بين أناجيل الرسل وانجيل عيسى لا يجعلنا نؤمن بأن هذه الاخيرة هي الانجيل، تماما مثلما لا نؤمن بأن ما يسميه اليهود التوراة هو توراة موسى لأن فيها الكثير من الأسفار التي كتبت بعد وفاة موسى عليه السلام. من بين كل أسفار العهد الجديد لا ينظر المسلمون إلا إلى كلام عيسى عليه السلام في الاناجيل الذي يشكل عشرة بالمئة فقط منه دون ان يعترفوا بأن كل ما قيل دار فعليا على لسانه.

وهذا الكلام الذي قلناه يعطينا جوابا على شبهة طالما رددها النصارى وهي " إذا كان الإنجيل حرف، فمتى وأين و كيف؟ وهل من المعقول أن تغير التعديلات الطفيفة على مر الزمن في بنية الكتاب المقدس كله؟" ويدفعوننا لندخل في جدل تاريخي عقيم جوابه بكل بساطة "في حديثنا عن الكتاب المقدس نحن لا نتحدث عن تحريف له لأنه في الأصل كتاب مختلف تماما عن الانجيل الذي انزل على عيسى، عندما نقول بأن الانجيل حرف فنحن نقصد بأن الكثير من اقوال عيسى عليه السلام حرفت أو أخذت على غير معانيها اما تعليقات كتبة الأناجيل أو بقية الأسفار في العهد الجديد فلا يعنينا لا من قريب ولا من بعيد إذا كانت حرفت أم لا".

7-7- بين محمد والمسيح

7-7-1- مقدمة: هل الاسلام دين عنف؟

يتهم النصارى الاسلام بأنه دين عنف فيقولون: "يقول القرآن: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" هل نبي الإسلام نبي رحمة فعلا؟ فما تفسير آيات القتال إذن؟ وما تفسير جوهر رسالة نبي الإسلام حين قال :"أمرت أن أقاتل الناس"؟ وما هو الغرض من الغزوات؟ فأين هي الرحمة؟ أين هذا من أفعال المسيح الذي كان هو الرحمة المتجسدة؟!يصف الاسلام اتباع غيره من الأديان بنعوت دنيئة، على أنهم حمير وكلاب وأنهم أضل من الدواب... بل ونعتهم بأنهم أشر الخليقة، وقام بتكفير كل عقائد المسيحية دون استثناء، لكن المسيح أحب الجميع دون استثناء بل وغفر حتى للذين صلبوه قائلا : يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

هذه صورة من انواع الهجوم النصراني ضد الاسلام.

7-7-2- العنف موجود في العهد القديم

و لا يهمنا هنا ان نتوقف عند موضوع معين محدد بل عند نقطة اساسية الا وهي المقارنة بين الدينين. يبدو انه من الحجج الرائجة عند النصارى ان يحاولوا اثبات عظمة المسيح عليه السلام وسمو رسالته مقابل همجية الاسلام ونبيه. نحن كمسلمون لا ندخل في هذا النقاش العقيم. فالانبياء اخوة دينهم واحد وشرائعهم مختلفة. وكل ما يتهم به النصارى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من عنف لا يعدو الا واحدا بالمئة مما ورد في كتابهم المقدس عن سائر الانبياء: موسى وداوود عليهم السلام وغيرهم. فكيف يكون ما يتهمون به محمدا داحضا لنبوته ولا يكون كذلك بالنسبية لأنبيائهم؟؟؟

7-7-3- اختلاف وضع المسيح عليه السلام عن وضع محمد عليه الصلاة و السلام

ثم ان المقارنة بين شخصين تكون في حالة وجودهما في موقع واحد والا فلا يمكن مقارنة قائد عسكري باديب او فيلسوف مثلا. اسس محمد صلى الله عليه وسلم دولة في المدينة وكان عليه حمايتها فكيف يقارن بالمسيح الذي كان مجرد مواطن في دولة خاصة للاحتلال؟؟؟ ان المقارنة المنصفة يجب ان تكون بين تعاليم سليمان وداوود عليهما السلام (وهم انبياء اقاموا دولة) وتعاليم الفترة المدنية. او بين محمد صلى الله عليه وسلم في مكة وبين المسيح عليه السلام.. فاذا كانت المقارنة على هذا الوجه فلن نرى أي فارق جوهري بينهما: لقد تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه من الظلم في مكة ما لم يتحمله اتباع المسيح عليه السلام انفسهم.. ومع ذلك امروا بالصبر والعفو.. اما بعد تأسيس الدولة فهل من المعقول ان يقدم أي زعيم دولته لقمة سائغة للعدو؟؟ وهل يقبل أي نصراني ان يطبق مبدأ "من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر" على عدو محتل يبيد النسل ويحرق الزرع؟؟ طبعا

لا يقبل النصراني بذلك فهو يحارب بشراسة كغيره من الامم ويقتل وينكل لا بل ويعتدي مخالفا وصية المسيح عليه السلام التي يدعي الالتزام بها ومبررا هذا بكون العمل العسكري او السياسي منفصل عن الدين : "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله". أسفون.. نحن كمسلمون لا نعيش هذا الانفصام في الشخصية فكل شي عندنا لله "**قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**".

7-8- هل المسيح إله؟

7-8-1- مقدمة: نقطة الخلاف الرئيسية

ان نقطة الخلاف الرئيسية مع النصرانية هي في ادعاء الألوهية للمسيح. هل يقبل العقل (ولا نقول يستوعب لأن كثيرا من الامور خارجة عن نطاق الاستيعاب مع خلوها من التناقض) أن يكون المخلوق الها؟ بل هل لهذه العبارة من معنى في الأصل؟ أليست مثل قولنا هذا الشيء أبيض وأسود في الوقت نفسه؟ **أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**

7-8-2- هل يقبل العقل التجسد؟

الحجة الأساس في رفض تجسد الله في المسيح هو استحالة هذا الفعل ولا ينفي هذا الامر قدرة الله لان قدرة الله تتعلق بالممكن عقليا وليس بالمستحيل العقلي. المستحيل العقلي عمليا هو كلام لا معنى له فإذا جئت إلى شخص أعزب وقلت له" هل طلقت زوجتك؟ "فهل يستطيع أن يجيبك ب" لا "أو ب" نعم"؟ سؤالك لا معنى له في الأساس. ومن هذا الباب تدخل جميع الأسئلة من جنس" هل يستطيع الله أن يخلق آلها غيره؟ "أو" هل يستطيع الله أن يصبح معدوما؟" "هل يستطيع الله أن يتحول إلى مخلوق ضعيف؟

يستنكر النصارى ان ينسخ الله في القرآن حكما معينا موجودا في التوراة ويعتبرون هذا الأمر ضد المنطق والمعقول ولكنهم يقبلون أن يكون الإنسان الذي يأكل ويشرب الها؟؟؟ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون**

يعتبر المسلم انه يحب المسيح عليه السلام اكثر من النصارى فانما يكون الحب بالإتباع ونحن اتبعنا رسالته ورسالة كل الانبياء من قبله. كل الأنبياء باعتراف النصارى أنفسهم أتوا ليدعوا إلى عبادة الله الواحد ولم يأت احد يدعو الى تأليه نفسه، لا نفهم كيف يستغرب النصراني ان تنسخ الشرائع وهي أحكام قابلة للتغير حسب استعداد البشر ولكنهم لا يستغربون أبدا ان تنسخ العقيدة وهي حقيقة لا تتغير لا بل وتنسخ بما لا يقبله أي عقل ايضا وهو تأليه البشر!!!!

7-8-3- هل التجسد ثابت تاريخيا؟

فلندع العقل المجرد جانبا، ولنستعمل المنطق التجريبي. أليس من الغريب أن يأتي الرقم واحد وثم الرقم اثنان ومن ثم الرقم ثلاثة ومن ثم الرقم خمسة ؟ ألا ترى أن الرقم الرابع ينبغي ان يكون اربعة وإلا خرق السلسلة؟ لو تمعنا في تاريخ الاديان لرأينا أن يسوع الكتاب المقدس هو الوحيد الذي خرق سلسلة الانبياء بادعاءه الالوهية (كما يدعون). **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.**

ما حدث للنصارى هو نفس ما حدث لمعظم الديانات الأخرى وهو ظاهرة الغلو كما يصفها القرآن" **ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** "وهذه الظاهرة موجودة عند بعض الفرق الإسلامية الذين غالوا في حب علي رضي الله عنه وفي تقدير معركة كربلاء حتى أصبحت الحدث الرئيسي عندهم متفوقة على جميع الإحداث التي وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

7-8-4- هل المسيح يكذب؟

قد يسألنا النصراني .. الم تعتبروا ان تاريخ محمد عليه الصلاة والسلام يشهد له بالصدق واعتبرتم هذا دليلا على صدق رسالته؟ فهل كان المسيح عليه السلام اقل صدقا من نبيكم؟ نجيب ان هذا قياس مع الفارق لوجود احتمال كبير ان يكون كلام المسيح عليه السلام قد حرف؟ ألا يعبد البوذيون بوذا ويدعون بأنه الههم أيضا؟ إن أخطأ البوذيون ألا يوجد احتمال أن يكون النصارى قد

اخطئوا أيضا؟ لا يوجد اليوم من يشكك في أن القرآن الكريم كان موجودا على عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكان يتلى في الصلوات ولكن كل علماء النصرانية انفسهم يعترفون بأن الاناجيل لم تكن موجودة في عهد المسيح وانها كتبت بعده بوحي من الله إلى تلاميذ المسيح (كما يقولون). إذن لا يستطيع أي بشري أن يتهمنا بتكذيب المسيح عندما ننفي كونه إلها. ذلك أنهم لا يملكون أي كلام موثق عن المسيح عليه السلام، إنما يتبعون الظن :"**وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا**" المسألة هي بيننا وبين كتبة الأناجيل لا بيننا وبين المسيح لذا يجب إعادة صياغة المسألة بهذا الشكل "هل كذب كتبة الأناجيل أم لا؟" و ليس "هل كذب المسيح أم لا؟".

7-8-5- هل سمح تلاميذ المسيح بتأليهه

نستبعد ان يكذب التلاميذ لأنهم رافقوا المسيح عليه السلام وأحبوه ولأن القرآن الكريم يمدح الحواريين، ولكن هل المسلم مجبر على تكذيبهم؟ أيضا وكما مر معنا رأينا ان علماء النصارى يعترفون بأن الاناجيل ليست مكتوبة من قبل تلاميذ المسيح بل نسبت إليهم لكي تلقى رواجا بين الناس.

والسؤال الذي يطرح نفسه اذن كيف سمح الحواريون للناس بتأليه المسيح؟ الجواب بديهي جدا.. ظهور المبشرين الكذبة والذين نعتبر بولس من اهم روادهم وهو الذي كان يضطهد المسيحيين الى ان آمن فجأة لرؤيته المسيح كما يقول عن نفسه.. ايضا لا ننسى ان التعديلات الخطيرة بدأت بعد وفاة الحواريين أو بعد قتلهم بالاحرى فالتاريخ يذكر ان بطرس اعدم على سبيل المثال. وها هو اللاهوتي الاستاذ عوض سمعان يؤكد على كلامنا في قوله: "اننا اذا رجعنا الى تاريخ علاقة الرسل بالمسيح (اي الحواريين) وجدنا انهم لم يجرءوا في اول الامر على الاعتراف بانه هو الله. لأنهم اي الرسل كيهود كانوا يعلمون تمام العلم ان الاعتراف ان انسانا هو الله يعتبر تجديفا يستحق الرجم في الحال ولأنهم كيهود كانوا يستبعدون ان يظهر الله في هيئة انسان."

7-8-6- هل ادعى المسيح الالوهية في حياته؟

رأينا فيما سبق اجماع النصارى ان لا احد من الناس أله المسيح في حياته وأن الحديث عن تأليهه بدأ بعد صلبه المزعوم . يقول الاستاذ عوض: "ولكن بعد ما عاشوا – يقصد رسل المسيح – زمنا طويلا وشاهدوا فيه تصرفاته واعماله في كل ناحية من نواحي الحياة – ادركوا كل الادراك انه لم يكن انسانا عاديا، ومن ثم اخذوا يفكرون في شخصيته، ويجتهدون في الكشف عن حقيقتها. فقالوا مرة "انه ملك اسرائيل" مع انه كان فقيرا كل الفقر بعيدا عن اسباب السياسة وقالوا مرة انه "المسيا" (المسيح المنتظر عند اليهود) مع انه كان موضع استهزاء رجال الدين الذين كانوا اكثر الناس معرفة بصفات المسيح. واستمروا في الشك الى ان مات ميتة العار والشنار على الصليب فخامرهم الشك في حقيقته وظنوا انهم كانوا مخدوعين به ولكن عندما رأوه قد قام من الاموات تبددت شكوكهم وتحولت الى يقين ولذلك صاح اكثرهم ريبة وشكا "ربي و الهي" عند رؤيته فصادق المسيح على كلامه."

كما قدمنا فإن اكثر المسيحيين تعصبا يعترفون بأن المسيح لم يبشر بالوهيته طيلة حياته ولكن كما رأينا في المقطع السابق فإن بعض النصارى يظن بأنه كشف هذا السر بعد القيامة لتلاميذ واشدد على كلمة "بعض النصارى" لأن معظم النصارى الغربيين الذين حاورناهم لا يقرون بأن التلاميذ رفعوا المسيح الى مرتبة الإله بل يقولون بأن ذلك جاء في مرحلة لاحقة بعد وفاة الحواريين. وقد رأينا سابقا بأنه حتى بولس جعله في مرتبة اقل من الملائكة و لم يبشر بالوهيته مما يشير الى تذبذب واضح بما يفترض به ان يكون العقيدة التي تؤمن الخلاص للانسان.

7-8-7- هل يعقل ان يترك المسيح للمجامع الكنسية أن تبين العقيدة؟

- إن جميع العقائد النصرانية الأساسية مثل التثليث وألوهية المسيح والروح القدس لم تحسم إلا بعد 300 سنة من صعود المسيح وكان هناك الكثير من الفرق التي تملك اعتقادات مغايرة. يدعي النصارى بأنها فرق ضالة كما يوجد في الإسلام فرق ضالة فنقول نعم هناك فرق ضالة في الإسلام ولكن هناك مرجع يفصل بيننا وبينهم وهو القرآن الكريم ولكن ما مرجع النصارى لاتهام الفرق التي تنادي بألوهية مريم العذراء بالضلال؟ ما حجتهم لاثبات الوهية الروح القدس؟ ما مرجعهم لاثبات الطبيعتين للمسيح مع مشيئة واحدة؟

- حتى لو رجعنا إلى الأناجيل التي لا نعترف بها فإننا لا نرى المسيح عليه السلام يتكلم فيها عن هذه المعتقدات السالفة الذكر ولا يتكلم عن معاقبة من يرفض الوهيته بل يركز على القيم والفضائل وعبادة الله وحده. فلو كانت هذه الامور السابقة من صلب العقيدة أما كان ليشرحها بنفسه خاصة إذا ترتب عليها العذاب الأبدي؟. عجيب جدا أن يترك أمر تبيان هذه الأمور الخطيرة إلى أشخاص لم يرهم عيسى المسيح عليه السلام (مثل بولس) أو إلى مجامع كنسية بشرية تأخذ قرارها تبعا لإرادة السلطة الحاكمة. أما كان الأولى به شخصيا أن يشرح هذه الامور إن كانت تحمل هذا القدر من الأهمية؟؟؟

7-9- لماذا يرفض المسلمون التثليث؟

7-9-1- مقدمة

يسأل النصراني: لم نرفض التثليث مدعين استحالته عقلا في حين ان كثيرا من الامور عصية على الفهم في الاديان السماوية مثل ازلية الله وارادة الله؟

7-9-2- التفريق بين التناقض العقلي وبين عجز العقل عن الاحاطة بموضوع ما

الجواب: ازلية الله سهلة الفهم لأن الله ليس متغيرا حتى يحتاج للزمن، والصعوبة في فهمنا لهذا الامر ان عقلنا لا يستطيع تخيل اي امر خارج الزمان والمكان وموضوع تخيير الانسان او تسييره سهل الفهم ايضا لأن من يدعي انه مسير تماما هو مكابر فكلنا يعلم اننا نملك الاختيار في كثير من الامور. والعقل لا يستطيع الاحاطة بعلم الله و قدرته حتى يعرف كيف تنسجم حرية الاختيار مع ارادة وعلم الله منذ الازل بما سنفعله. وهكذا نتوصل الى:

1- ازلية الله:

أ- امر منسجم مع المنطق لا بل يفرضه المنطق لأن ما ليس ازليا هو حادث وهذا يتناقض مع صفات الكمال.

ب- ولكن مع ذلك فاننا لا نستطيع ان نتخيل او نحيط بهذه الصفة مثل اي صفة من صفات الله لأن ما هو محدود لا يحيط باللا محدود.

2- التخيير والتسيير.

أ- الانسان مخير وهذا امر حسي نراه بالمشاهدة.

ب- من موجبات كمال الله انه يعلم بما سنقوم به وانه شاء به والا كان جاهلا او ضعيفا يجري في ملكه ما لا يشاء به وهذا من صفات النقص.

ج- لا نستطيع الاحاطة بهذا الامر لأنه متعلق بصفات الله والمحدود لا يستوعب اللا محدود.

3- التثليث.

أ- هل اخبرنا الله بهذا؟ المسلمون يقولون بأن الله واحد أحد لأن الله اخبرهم بذلك والنصارى يقولون بأن الله اخبرهم بأنه مثلث الاقانيم. ولكن حجتنا الاولى عليهم بأن هذا ليس واردا بشكل واضح كما هي عقيدة المسلمين وجميع الانبياء من قبل. انه ليس واضحا حتى في كتابهم المقدس مع كثرة ما حرفوا فيه.

ب- ما هي هذه الاقانيم؟ اذا كانت غيبية كلها فكأنك تفسر الماء بالماء لأنك تفسر ما هو غيبي بما هو غيبي وتخوض فيما لا يستوعب وتحاول ان تفسر ما لا يفسر. انك تحاول ان تفسر الذات الآلهية وعلاقات هذه الذات مع بعضها .

ج- ولو انهم اكتفوا بهذا لهان الامر ولكنهم اصروا على ان يجعلوا احد هذه الاقانيم بشرية ملموسة محسوسة، وهنا نقلوا المعركة من اطارها الغيبي الى اطار حسي فجوزوا ان يصبح المخلوق الها او جزءا من اله وجعلوا الله او جزءا منه او صفة من صفاته او مظهرا من مظاهره او اقنوما منه (طبعا لا نسلم بأن الله يتجزىء في المقام الاول) والقرآن الكريم ركز على هذه النقطة كثيرا لأنها الاسهل على العامي الذي خلق على الفطرة ان يستوعبها.

7-9-3- خلاصة:

لا يوجد اي وجه شبه بين موضوع التثليث ومواضيع صفات الله في الاسلام.

أ- لا يوجد اي تفسير لصفات الله في الاسلام ينتج منه نقصان بحق الله و لكنه موجود في النصرانية.

ب- لا يوجد اي تفسير لصفات الله في الاسلام يحاول سبر هذه الصفات و تشريحها الى مصطلحات غيبية اخرى.
ج- لا يوجد اي جزء حسي مكون لصفات الله في الاسلام (فعلم المخلوقات منفصل عن علم الله ولا يوجد من شبه بينهما الا اللفظ) بينما النصارى يؤمنون بأن المسيح الجسد هو جزء من الله .
د- لا يوجد اشارة واضحة الى كل تعقيدات الثالوث في الكتاب المقدس حتى لو سلمنا جدلا بأنه الانجيل الذي نؤمن به لا بل ان يسوعهم كان يسأل من قبل اليهود :هل تعتبر نفسك الها فيرد بخجل (او خوف منهم لا ادري) : الم يرد في كتابكم ان موسى اله ؟ وكأنه يستحي من ان يشرح العقيدة التي اذا جحدها البشر يدخلون النار.
هـ- منطق التثليث متعارض مع ما جاء به كل الرسل قبل المسيح عليه السلام وبعده.

7-10- الصلب والفداء

7-10-1- مقدمة

يدعي النصارى ان المسيح فدى البشرية بدمه حينما صلب تكفيرا عن خطاياهم.. ونحن نناقش ها هنا العبرة الاخلاقية من الموضوع بعد ان ناقشنا سابقا الناحية العقلية من الموضوع.

7-10-2 - ما هي التضحية الحقيقية؟

يقول النصارى في شرح عقيدتهم عن التجسد والفداء: "يقول المسلمون عن شهداءهم أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ثم ينفون أن يكون المسيح حيا في حالة استشهاده بالصلب. وقد نسوا أن الله هو القدير الودود الذي تفوق محبة لمخلوقاته على محبة وتضحية الأم لوليدها. فإن التضحية تأتي من الكبير للصغير من الغالي إلى الرخيص. فالتضحية بالنفس في سبيل الأرض والعرض هي تضحية بالرخيص في سبيل الغالي وكذلك فإن تضحية المسلمين من أجل الجنة هي تضحية بالرخيص في سبيل الغالي. إن لم تكن التضحية هي بالغالي في سبيل الرخيص وإن لم تكن هي تضحية القوي في سبيل الضعيف أو تضحية الكبير في سبيل الصغير فإنها ليست تضحية أبدا بل هي أنانية مستفحلة. والكتاب المقدس يحذرنا من مثل هذه التضحيات الزائفة ويحرضنا على إتباع نموذج التضحية السمائي الذي رسمه الله كالنموذج الأمثل في المحبة والتضحية الحقة."

ويقولون: "سمعت مرة قصة عن قاض أحضرت أبنته إلى محكمته بتهمة القيادة بسرعة زائدة. وفرض عليها أكبر غرامة ممكنة مما أدهش جميع الحاضرين .ثم نزل من على كرسي القضاء، وأخرج محفظته ودفع بالغرامة عنها. وهكذا تم إرضاء كل من القانون المطالب بالعدالة وقلب الأب المحب . شرح الدكتور جراهام ما سبق أن فعله الله في شخص يسوع – فقد نزل الله وتنازل وأصبح إنسانا ليموت من أجل الجنس البشري لأنه أحبنا. أضاف الدكتور جراهام بأن علينا أن تكون مستعدين للاعتراف بخطيتنا وقبول غفران الله لنا من خلال الإيمان بموت المسيح وقيامته من أجلنا. لا يمكننا أبدا أن نعمل لكسب هذا الغفران أو دفع ثمنه. فهو هبة يمكننا أن نقبلها أو نرفضها. وهناك سبب آخر جعل الله يختار أن يصبح إنسانا، وهو جسر الهوة بين الله والجنس البشري. ولو كان يسوع المسيح إنسانا فقط آو مجرد كائن مخلوق ، لبقت تلك الهوة الواسعة السحيقة بين الله والإنسان ، بين اللامحدود والمحدود، بين الخالق والمخلوق، بين القدوس والفاجر. وما كان لنا أن نعرف الله لو لم ينزل إلينا. وما كان في مقدور أي كائن مخلوق أن يجسر الهوة الهائلة بين الله والبشر، أكثر مما هو في مقدور قطعة فخار أن تطمح إلى فهم الفخاري الذي صنعها والوصول إلى مستواه . وقد نزل الله إلينا مدفوعا بمحبته. أراد أن يفتح طريقا لكي يعطي مجالا لجميع الناس أن يعرفوه. "

7-10-3- العاطفة ليست مقياسا للحقيقة

لا شك بأن النصرانية دين مبني على العاطفة وعلى التراجيديا ولا يستطيع إي مشاهد إلا أن يتأثر بطريقة كلام المسيح التراجيدية كما وردت في الأناجيل وقصة حياته القائمة على الإخلاص والتفاني والفداء ، هذه القصة التي ترجمت إلى فيلم أبكى الملايين خاصة عندما يحمل المسيح الصليب على ظهره ويجبر على وضع إكليل من الشوك على رأسه سائرا بين اليهود الذين لم يتوانوا عن شتمه وضربه على جانبي الطريق. وهذه القصص التي يشرح فيها النصارى عقيدة التجسد والفداء مؤثرة أيضا وخاصة قصة القاضي وبنته ولكن السؤال الذي يطرح : هل الحقيقة مبنية على إثارة العواطف؟ وماذا نفعل عندها بسائر القصص التراجيدية التي تحفل بها سائر الحضارات؟ ليست العبرة بقدرة القصة على استدرار الدموع و إلا لكانت قصة ET المخلوق الفضائي (الغير

موجود) صالحة لتكون في عداد القصص المقدسة. صحيح ان كثيرا من الدعاة المسلمين يتحدثون بلغة وجدانية محببة ولكنهم يوردون هذه القصص من باب الحث على الفضائل وعلى التقوى وليس من باب الحث على ابتداع نظريات وعقائد لم ينزل بها الله من سلطان.

7-10-4- الهوة بين البشرية والألوهية

يقول النصارى إن التجسد كان بغرض تخليص الإنسانية من الخطيئة وبغرض ردم الهوة بين الله والإنسان فهل تخلص العالم فعلا من الشر أم أن الإنسانية اليوم هي في أحلك مراحلها وهل ساهمت العقيدة المسيحية في فهم الله أكثر أم إنها عقدت القضية وأورثت انفصاما بين العقل والقلب ووضعتهما في ازدواجية أمام مختلف التحديات؟ هل هناك إثبات ملموس بأن عقيدة التجسد تجعل النصراني اقرب إلى الله من المسلم، هناك شبه إجماع في الدراسات المعاصرة بأن المسلم بشكل عام أكثر إخلاصا لدينه وتعاليمه من سائر الملتزمين دينيا فلو كانت الهوة مردومة فعلا بين المسيحي والله لوجب أن نراه ملتزما بتعاليم دينه أكثر من المسلم .

7-10-5- التضحية من المنظور الإسلامي

يقول النصارى إن التضحية لا تكون إلا بالغالي مقابل الرخيص ومن اجل ذلك ضحى الله بالغالي" المسيح "مقابل الرخيص "البشر ."وجوابنا على هذا الأمر بأن القضية قضية اولويات فمن قال بأن التضحية هي الأولوية في العبادة؟؟؟ الأولوية هي الطاعة. فهذا إبليس قد ضحى بالغالي: "الجنة ورضى الله" من اجل الرخيص وهو "السجود لآدم" فهل نضع إبليس في قائمة المبجلين؟؟؟ هل المطلوب ان نسلب من الله كل صفات العظمة والجلال كي نهبه صفة المحبة والتضحية؟؟؟

على إن هناك توضيحا آخرا لقضية التضحية. يرفض النصراني تضحية المسلمين بأرواحهم ودمائهم وأموالهم في سبيل الله متهما إياهم بالأنانية لأنهم يفعلون هذا الأمر من اجل الجنة وبالتالي فهم يضحون بالفاني من اجل الدائم وهذا صحيح ولكن السؤال الذي يطرح نفسه" هل من السهل أن تصل إلى هذه المرحلة؟؟؟. نحن نعرف ان الإنسان جبل على النسيان ونعرف مدى صعوبة تطابق الأعمال مع الإيمان. كل مسلم يؤمن بأن الله الرازق ولكن من منهم يتوكل حقا على الله ويقبل ما قسمه له؟ من منهم يوقن حق اليقين بأن الله وحده هو النافع والضار لا الأمراض ولا الطبيب ولا الوزير؟؟؟ قال الملك لأحد الصالحين: "ما ازهدك" فأجابه الصالح" أنت ازهد مني، انا زهدت في الدنيا الفانية بينما أنت زهدت في الآخرة وهي الباقية. أن يبلغ الإنسان مرتبة هذا الرجل الصالح الذي يرى الأمور من هذه المنظار هو مطمح كل مؤمن لأن الإيمان يصبح عندها عين اليقين وليس علم اليقين فحسب.

7-10-6- ليس هناك خطيئة اصلية

يتحدث النصارى عن وجوب الفداء لتغفر لنا الخطيئة الأصلية التي نحملها من عهد آدم. ولكننا كمسلمين نعتقد بأن معصية آدم قد غفرت له لأنه تاب منها. وافتراضا انه لم يتب منها فما ذنب الأبناء بجريرة الآباء؟ وهل يرضى القاضي أو أهل المجني عليه بشخص آخر غير الجاني يقول لهم خذوني بدلا من غريمكم ومن هنا لا نرى ضرورة لأن نفتدى بعامل خارجي عنا عن خطيئة لم نقم بها نحن بالأصل. المسؤولية في الإسلام فردية" **كل نفس بما كسبت رهينة "**والجزاء فردي كذلك**" وكلهم ءاتيه يوم القيامة فردا."**

7-10-7- تناقض الفداء مع صفات الله المعترف بها في الأديان السماوية

يقر اليهود والنصارى والمسلمون بأن الله عظيم قوي منتقم قادر عالم عادل ورحيم . وقصة الفداء لا ترينا إلا جانب الرحمة من الموضوع فأين جانب القوة والعظمة في موته مصلوبا؟ عقيدة الفداء تنص على أن الله تخلى عن جبروته وقوته كي يرينا محبته وهذا أمر مستحيل عقليا كما قدمنا إذ إن صفات الله لا تتغير ولكن حتى لو وضعنا موضوع الاستحالة العقلية جانبا وناقشنا النصارى بالعبرة الأخلاقية للموضوع كونها نقطة تركيزهم. أين الروعة يا ترى في موقف الضعف المهين الذي جرى بحق الله كما تدعون؟ وهل تم انتقام الرب من أولئك اليهود الذين صلبوا المسيح فإذا عدنا إلى قضية القاضي وبنته نرى إن القاضي وقع في مأزق؟ فهل الله يقع في مأزق أيضا؟ القاضي كان مجبورا على الانصياع للقانون؟ فهل الله مجبور على شيء؟ أليس هو من وضع القوانين؟ وأين صفة العلم عند الله إن كان يجهل أن البشرية ستخطيء ؟ وهل صدر الشر رغما عن إرادة الله؟ أما إن كان الفداء معدا له عن سابق تصور وعلم وتقدير فلم يعد للقصة من مغزى اخلاقي بل أصبحت مسرحية شكلية.

7-10-8- تناقض العقاب الإلهي مع فكرة المحبة بلا حدود

تشديد النصرانية المعاصرة على فكرة المحبة بهذا الشكل (وأقول المعاصرة لأن بابوات القرون الوسطى لم يكونوا بتسامح النصرانية الحديثة) لم يترك للعقاب الأخروي أي فرصة للتجانس مع معتقد الفداء.. فلماذا سيعاقب الله الناس إن كان يحبهم بهذا الشكل إلى درجة استعداده للتخلي عن ألوهيته ولبس الثوب البشري من اجلهم؟ إن كان ليس من عقاب كما يقول بعض النصارى اليوم بل محبة مطلقة فكيف نفسر ما ورد عن عذاب جهنم في أمكنة كثيرة من الكتب المقدس والعهد الجديد ؟ هل هي إشارات رمزية أم كذبة لتخويف الناس كي لا يذنبوا؟ وكيف يؤمن النصارى بالثالوث الذي لم يذكر في الكتاب المقدس (على الاقل بشكل صريح) ولا يؤمنون بجهنم التي ذكرت بالتصريح عدة مرات..وحتى لو تركنا قضية العقاب الأخروي لأنها قضية غيبية وركزنا على تأمل عالمنا اليوم ، أليس هذا العالم مليئا بالمآسي؟ فإذا كان الله يتألم لكل عذاب يمس بشرا فلماذا لم يخلق عالما بلا أمراض وبلا كوارث؟ ولماذا لا يمنع المجرمين من ارتكاب جرائمهم؟ هذه النظرة لتصوير محبة الله ورحمته بهذا الغلو ليست متجانسة لا مع الكون الذي حولنا ولا مع كلام الله ووعيده في الكتب السماوية (حتى في الكتاب المقدس بشكله الحالي كما يؤمن به اليهود و والنصارى) واذا تغافلنا عن الشرور غير المباشرة فكيف نغض النظر عن العقوبات الدنيوية المباشرة بأمر من الله؟؟؟ يتفق المسلمون والنصارى واليهود في كون الله غضب على قوم لوط (سدوم وعمورة بلغة الكتاب المقدس) وانه دمر قريتهم فكيف يتفق هذا الفعل مع ما يصفونه به من انه يتألم للشرور والحروب التي بين البشر الذين فداهم بتجسده في شخص المسيح. في الإسلام هذه المحبة بغير حدود مرفوضة" **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير** "هذه النظرة القاصرة إلى الله والتي لا ترى فيه إلا الرحمة والتي تجرده من صفات الجلال هي التي دفعت كثيرا من النصارى الغربيين إلى الإلحاد لأنهم وجدوا انفسهم امام دين غير متجانس ينسب إلى الله كثيرا من الصفات المتناقضة التي لا تستوعبها العقول. وللدلالة على وجود العقاب القاسي عند النصارى سنستعين بمقطع من كلام القديس بطرس من العهد الجديد. وبطرس هو الصخرة التي بنى عليها المسيح كنيسته كما يقول العهد الجديد.

ولكن كان أيضا في الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضا معلّمون كذبة الذين يدسّون بدع هلاك و**إذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا** .وسيتبع كثيرون تهلكاتهم.الذين بسببهم يجدف على طريق الحق .وهم في الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس. لأنه إن كان الله **لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم** وسلمهم محروسين للقضاء **ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحا ثامنا كارزا للبر إذ جلب طوفانا على عالم الفجار. وإذ رمد مدينتي سدوم وعمورة حكم عليهما بالانقلاب واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا.** وأنقذ لوطا البار مغلوبا من سيرة الاردياء في الدعارة. إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوما فيوما نفسه البارة بالافعال الأثيمة. يعلم الرب أن ينقذ الاتقياء من التجربة ويحفظ ألاثمة إلى يوم الدين معاقبين. ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ويستهينون بالسيادة.جسورون معجبون بأنفسهم لا يرتعبون أن يفتروا على ذوي الأمجاد. حيث ملائكة وهم أعظم قوة وقدرة لا يقدمون عليهم لدى الرب حكم افتراء. أما هؤلاء فكحيوانات غير ناطقة طبيعية مولودة للصيد والهلاك يفترون على ما يجهلون **فسيهلكون في فسادهم** .آخذين أجرة الإثم.الذين يحسبون تنعم يوم.

7-10-9- تذكير بصفات الله في الإسلام

ذكرنا حينما تحدثنا عن صفات إله الاسلام ان هناك صفات جمال مثل اللطف والرحمة والعدل والإنعام وهناك صفات جلال مثل القوة و الغضب والانتقام والكبرياء. ولا تقبل الفطرة السليمة أن تنسب صفات الجمال إلى الله من دون صفات الجلال فضلا على أن صفات الجمال و الجلال على حد سواء مثبتة من قبل الله عز وجل في الكتب السماوية كما إنها منعكسة في أفعاله ومخلوقاته كما نشاهدها في حياتنا اليومية أيضا.

وقلنا ان الظلم منتف عن الله فالظلم في الأساس معناه أن تتعدى حدودك وتقوم بما لا يحق لك أن تقوم به أو تتعدى على ما لا تملك لذلك لا معنى لهذه الكلمة في حق الله وجميع ما في الكون ملك له. أما بالنسبة لرحمة الله فهي تطال المؤمن والكافر في الدنيا

والمؤمن فقط في الآخرة بدليل قوله تعالى" **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون**" لذلك فنحن نتفق مع النصراني في قوله " أن الله هو القدير الودود الذي تفوق محبة لمخلوقاته على محبة وتضحية الأم لوليدها "لا بل إن العبارة مرت حرفيا في حديث لرسول الله مع فارق أن هذه الرحمة موجهة لعباد الله فقط وليس لجميع مخلوقاته لأن رحمة الله للمجرم معناها انتفاء العدل وانهيار القانون الأخلاقي الذي يقوم به الدين. قدم على النبي صلى اللهم عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى اللهم عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه **فقال لله أرحم بعباده من هذه بولدها**"

7-10-10- الخلاصة

اعتقد بأننا بينا بشكل واضح لا يدعو للجدل انتفاء الدليل العقلي والديني والتاريخي والوجداني والأخلاقي لقضية التجسد والفداء وبينا فوق هذا كله التناقض الرهيب الذي تحمله هذه العقيدة .وهاجسنا في هذا الرفض إضافة إلى إقامة الحجة على بطلان عقيدة تأليه المسيح هو الرد على الشبهات التي تتهم الإسلام بالقسوة والنصرانية بالرحمة فكما هو معروف تتحدث النصرانية أيضا عن العقاب الدنيوي والآخروي، أما كيف ينسجم هذا العقاب مع محبة الله المفتوحة فهذه مشكلتهم.

7-11- هل صلب المسيح عليه السلام؟

7-11-1- مقدمة

تركنا هذا الموضوع لآخر القسم لأننا وجدناه مستقلا عن مسار المناقشة.. وما كنا لنلقي كبير اهتمام بهذا الموضوع لولا أن رأينا ان هناك شبهة قوية فيه وهي كيف ينفي القرآن الكريم حدثا تاريخيا شاهده الآلاف ونقل الينا بالتواتر، وفي حال لم ينف القرآن الكريم حادثة الصلب فكيف يسمح الاسلام بوقوع الشبه على شخص آخر غير المسيح فيما ظن كل شهود العيان انه هو المسيح؟ ماذا سيكون ذنب النصارى الذين آمنوا بالمسيح إلها لانهم رأوه مصلوبا؟ والن يكون هذا مدخلا كي يكذب الناس في الامور الحسية بدعوى ان الواقع هو غير ما تراه العين.

7-11-2- القرآن الكريم لم ينف الصلب

جوابا على الشبهة الاولى فإن القرآن الكريم لم ينكر حصول حادثة الصلب، والذي ذكره القرآن يفهم منه حصول حادثة الصلب، لكن لغير المسيح عليه السلام، ولم يحدد القرآن شخص المصلوب، لكنه أفاد بوقوع شبه المسيح عليه، فصلب بدلاً عن المسيح عليه السلام. وقد أخبر القرآن الكريم أن الذين يدعون صلب المسيح ليس لهم به علم يقيني، بل هم يشكون في شخص المصلوب على رغم شبهه بالمسيح، لكنه يقيناً ليس بالمسيح عليه السلام. قال الله تعالى: "**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً**" (النساء: 157)

وهذا الذي ذكره القرآن تقره النصوص الإنجيلية التي ذكرت شك الجنود واليهود في شخص المصلوب ذلك ان من جاءوا للقبض عليه أنكروا وجهه وصوته، ولم يعرفوه حيث خرج إليهم وقال: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري، فأخبرهم بأنه هو، بيد أنهم لم يسارعوا للقبض عليه، فأعاد عليهم السؤال، فأعادوا الجواب. (انظر يوحنا 3/18 – 8).

7-11-3- قضية الصلب ليست موجهة لإدانة النصارى

في حين جادل القرآن الكريم النصارى في الوهية المسيح في اماكن كثيرة فإنه لم يجادل النصارى في موضوع الصلب والموضع الوحيد الذي تحدث فيه القرآن الكريم عن الصلب كان في سياق تعنيف اليهود والهدف من ذلك سيأتي في حينه. وبالتالي فلا عقوبة على النصراني الذي ظن ان المسيح عليه السلام صلب قبل نزول القرآن الكريم واخباره بالصلب.. انما العقوبة هي على من أله المسيح عليه السلام لأنه امر مرفوض عقلا ونقلا ولا اساس له ومتناقض مع التوحيد الذي هو جوهر دعوة الانبياء.. إن طرح سؤال "ما ذنب كل من مات قبل نزول القرآن وظن ان المسيح عليه السلام صلب" هو طرح سطحي كطرح من يدعي ان من صلى ومات قبل تحويل القبلة من بيت المقدس الى بيت الحرام تكون صلاته غير مقبولة.. او ان من مات قبل تحريم الخمر فسيعذب بالخمر التي شربها في حياته.. وكله كلام مردود متهافت.. فتطبيق العقوبة على مخالفة الحكم لا يكون الا بعد نزوله.

7-11-4- جهتا الصلب والتأليه منفكتان

وفي سؤال اكثر تطورا يسأل النصارى ايضا ما ذنب الذي ظن ان المسيح إله لانه رأى انه يصلب على الصليب؟؟ ونقول عجبا.. وهل كل نبي يقتل يكون مستحقا للالوهية؟؟ لقد مهد القرآن الكريم لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحذر الناس من الردة او المبالغة في التقديس في حال حدث هذا الامر.. " **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ...**" **(آل عمران 144)** ان الرسل يموتون او يقتلون كما يموت الناس او يقتلون ومحمد رسول الله.. رسول من الرسل وانسان من الناس فليس بدعا ان يموت او ان يقتل.. "**قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم**" .. "**انك ميت وانهم ميتون**"... لقد جرت سنة الله في انبيائه ان بعضهم يستشهد خلال الدعوة والله ينقل ان اليهود قتلوا الانبياء " **كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** " ولم يحدث ان اعتبر هذا دليلا على تأليههم..

7-11-5- لماذا ذكر القرآن الكريم حادثة الصلب؟

ذكر القرآن القصة مرة واحدة في سياق توبيخ اليهود على كفرهم وسوء اخلاقهم...

فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا - وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما- وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (النساء 155-157)

انه مجرد خبر لا أكثر ولا اقل.. خبر يبهت اليهود ويفجعهم ويملأ قلوبهم حسرة وكمدا.. ان اليهود على يقين من انهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم الذي عرفوه وعرفهم وسمع منهم وسمعوا منه. ولم يكن ذلك منهم لأنه جدف على الله كما ادعوا عليه وإنما لأنه جاءهم بأنه المسيح في حين انهم لم يروا فيه المسيح الذي عاشوا في أجيالهم يحلمون به ويتوقعون الخلاص على يديه.. الخلاص من هذه الفواجع والمآسي التي كانوا يتقلبون على جمرها بين الاسر والتشريد.. ويكاد مؤلفو سفر الرؤية يجمعون على ان المسيح سينتصر انتصارا سريعا وسيخضع الكفار آخر الأمر ويتخذ إسرائيل عاصمة له ويسود بعد ذلك عصر طيب تسعد به الدنيا كلها. ومن اجل هذا كله عجل اليهود بمحاولة القضاء عليه واجلائه من بينهم لانه ليس المسيح الذي انتظروه وما زالوا إلى اليوم في انتظاره.. فإذا دخل القرآن في امر الصلب فانا يدخل فيه من هذه الجهة التي تطلع منها احلام اليهود بالمسيح الذين ينتظرون الخلاص والحياة المستقرة الطيبة على يديه وقد جاء القرآن إلى اليهود بما لم يكونوا يحتسبون وكشف لهم ان هذا الضلال الذي عاشوا أزمانا متطاولة فيه ورفع لهم عن ستر الغيب:

1- ليروا ان المسيح الذي طال انتظارهم له وتعلقت آمالهم به هو عيسى بن مريم والا مسيح يرجى لهم بعده وانهم وقد فاتهم حظهم منه فقد افلت من أيديهم الخبر الذي توقعوه وانتظروه

2- انهم ارتكبوا بجهالتهم وحماقتهم وغرورهم أبشع جريمة اذ قتلوا بايديهم املا عاشوا له وبددوا مع بخلهم القاتل ثروة طائلة.

3- انهم وقد حملوا دم المسيح دنيا وديانة فهم لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه انها حسرة وحسرة وحسرات تملئ حزنا قلوب اليهود حين يكشف لهم القرآن عن المسيح الذي حسبوا انهم صلبوه.

هذا ولم يعرض القرآن لهذا الامر الا عرضا في سياق الزراية على اليهود وفضح طواياهم وما اشتملت عليهم نفوسهم.

7-11-6- ما الغريب في نجاة المسيح من الصلب؟

ومن هنا فصاعدا سنتكلم حسب ما اخبرت به الاناجيل نفسها والكلام للاستئناس فنحن كمسلمين لسنا مجبرين ان نكذب او نصدق هذه الحوادث الا ما يفيد نفي الصلب وما يفيد حماية الله للمسيح عليه السلام فذلك مثبت في قوله تعالى: "**وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين**" (المائدة: 110)، كأنهم قد رأوا ساحراً بسبب ما أمده الله من المعجزات الباهرة التي أعيتهم.

اذا عدنا الى الاناجيل نجد ان عيسى عليه السلام اخبرهم بانقاذ الله له، وأنهم لن يقبضوا عليه، ولن يصلبوه ، لأن الله سيصعده إلى السماء : "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً يَسِيراً بَعْدُ ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ

تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا». فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِلَى أَيْنَ هَذَا مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى لاَ نَجِدَهُ نَحْنُ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ؟ مَا هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَ: سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟." [يوحنا 7: 33-36]

" قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي وَتَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولُ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟» فَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ" [يوحنا 8: 21- 23]

كما تتحدث النصوص الإنجيلية عن بعض ما أوتيه المسيح عليه السلام من تأييد الله له، وهذه الأعاجيب التي أوتيها تجعل نجاته ممكنة، وذلك لما منحه الله من قدرات مكنته مراراً من الإفلات من كيد اليهود، وهي ما تجعل نجاته يوم جاءوا للقبض عليه أمراً متوقعاً غير مستنكر ولا مستغرب. بل الزعم بتمكن اليهود وجند الرومان منه يثير سؤالاً كبيراً: أين اختفت هذه القدرات وتلك المعونة الإلهية له؟ هل أسلمه الله بعد طول حمايته وتأييده له، فتخلى عنه في أصعب الأيام وأضيقها..

7-11- 7- المسيح عليه السلام امتلك القدرة على التخفي من اعدائه

فالمسيح عليه السلام – حسب ما ذكرت الأناجيل – قد أعطاه الله عز وجل قدرة على النجاة، والهروب من بين يدي أعدائه، فقد اختفى منهم أكثر من مرة لماّ أرادوا به شراً، فمن الطبيعي والمنطقي أن يهرب منهم يوم جاءوا للقبض عليه. وأمثلة هذه القدرة الباهرة كثيرة منها:

- قول لوقا: "فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كان مدينتهم مبنية عليه، حتى يطرحوه إلى أسفل، أما هو فجاز في وسطهم، وانحدر إلى كفر ناحوم" (لوقا 28/4 – 31)، لقد أفلت من أيديهم بطريقة خارقة .
- ولما كان في الهيكل، وكثر الجدال بينه وبين اليهود، هموا بقتله " فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى " (يوحنا 59/8)
- وفي مرة أخرى جادلهم " فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحدٌ يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد، فآمن به كثيرون في الجمع، وقالوا: ألعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التي عملها هذا " (يوحنا 30/7 – 31).

وقولُ إنجيل يوحنا: " لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد " قولٌ لا يلزمنا فإنه يؤمن بصلب المسيح، ويحاول أن يبرر اختفاء هذه الخاصية عند القبض على المسيح .

- ولما تمشّى في رواق سليمان، وأسمعهم دعوته "فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم، ومضى أيضاً إلى عبر الأردن" (يوحنا 39/10 – 40)، لقد كان يهرب منهم في كل مرة بطريقة تحيرهم، إنها حماية الله وتأييده.
- ولما كان في الخزانة في الهيكل، حاولوا إمساكه " ولم يمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد" (يوحنا 20/8)

ويبقى السؤال أين اختفت هذه الخاصية للمسيح يوم المؤامرة العظمى؟ فلئن استعملها في الهرب من عامة اليهود، فاستعمالها في الهرب من الجند أَوْلَى. ومما تذكره الأناجيل من قدرات المسيح التي أمده الله بها قدرته على اختراق الحجب، يقول يوحنا: "ولما كان عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع، ووقف في الوسط، وقال لهم: سلام لكم" (يوحنا 19/20)، وفي لوقا لم يذكر إغلاق الأبواب، وإن ذكر ما يشعر بوجود أعجوبة " وفيما هم يتكلمون بهذا، وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً " (لوقا 36/24 – 37)

7-11—8- المسيح عليه السلام امتلك القدرة على تغيير هيئته وشكله

كما ثمة أعجوبة أخرى، تجعل نجاة المسيح وخلاصه من أيدي كائديه ممكناً، ألا وهي ما تذكره الأناجيل من قدرة المسيح على تغيير هيئته وشكله، حتى يعجز المقربون منه عن معرفته، وقد صنع ذلك مراراً. لذلك أعطاه الله نعمة إخفاء شخصيته وصورته وصوته عن الناس والتلاميذ.

- فقد أرادوا أن يقذفوه من فوق الجبل فمكنه الله من تغيير هيئته وخرج من وسطهم وهم لم يعرفوه: ((فَامْتَلأَ غَضَباً جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هَذَا فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلُ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.)) [لوقا 4: 28-30]
- كذلك لم يعرفه اثنان من أتباعه وأحبائه: "وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلَكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ" [لوقا 24: 15-16]
- بل لم يعرفه تلاميذه وخاصته: "وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التَّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟». أَجَابُوهُ: «لاَ!» فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا. فَأَلْقَوْا وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ. فَقَالَ ذَلِكَ التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ». فَلَمَّا سَمِعَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ لأَنَّهُ كَانَ عُرْيَاناً وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ." (يوحنا 21: 1-7)
- وكذلك لم يعرفه اليهود ، الذين كانوا يسمعونه في المعبد في كل حين، ولو كان بإمكان اليهود القبض عليه والتعرف عليه لفعلوا ، ولكن تغيير صورته وشكله وصوته أشكل عليهم الأمر ، مما اضطرهم للجوء لأحد تلاميذه ليرشدهم عليه: "فَأَخَذَ يَهُوذَا الْجُنْدَ وَخُدَّاماً مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلاَحٍ. فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضاً وَاقِفاً مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ» رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ أَيْضاً: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». أَجَابَ: قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هَؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ." [يوحنا 18: 3-8]
- كذلك أمسك أعين مريم المجدلية أن تعرفه: " وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟ فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ!» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ." (يوحنا 20: 14-16)

7-11-9- اي اجماع هذا؟؟

ثم ان الحديث عن حادثة الصلب وكأنه حدث تاريخي موثق بالصوت والصورة وخطوة بخطوة يشكل مهزلة حقا.. فالتلاميذ – وهم من يفترض بهم ان يكونوا الشهود الثقات– هربوا حين القاء القبض على المسيح كما تذكر الاناجيل.. والاناجيل تتخبط تخبطا فظيعا في رواية حادثة الصلب .. والمفروض لو كانت هذه الروايات وحياً كما يدعي النصارى، أن تتكامل وتتطابق. ولكن عند تفحص هذه الروايات نجد كثيراً من التناقضات والاختلافات التي لا يمكن الجمع بينها، ولا جواب عنها إلا التسليم بكذب بعض هذه الروايات، أو تكذيب رواية متى في مسألة، وتكذيب مرقس في أخرى ... والتناقضات كثيرة ولا مجال لذكرها ها هنا بل يمكن لكل مهتم ان يقرأها في اي موقع حوار اسلامي نصراني...

7-12- هل النصرانية مثالية؟

7-12-1- مقدمة: لماذا مناقشة الفلسفة النصرانية؟

ينبغي التوضيح اننا لا نناقش فلسفة النصرانية بهدف اقناع النصارى بديننا فهذا موضوع شائك نبدأ فيه من العقيدة ولكن هدفنا الاساسي منه ان نوضح للمسلمين من ضعاف الايمان تفوق ديننا الاسلامي المتسم بالعدل على طوباويات النصارى حيث قدم لنا الاسلام حلولا متجانسة تطبق على ارض الواقع ومثاليتها تسمو بالانسان الى مراتب عليا ولا ترميه في دركات الهاوية... ونحن اذ نختار النصرانية كمثال فذلك لشهرتها في العالم وفي التاريخ حيث بدت في نظرنا صالحة لاقامة مقارنة تظهر نصاعة الاسلام واشراقه وفقا لقاعدة "الحسن يظهر حسنه الضد". اول ما يلفتنا في الفلسفة النصرانية هو احتواءها على كم كبير من القواعد الاخلاقية المثالية "المجنحة" والتي ينطبق عليها المثل القائل "ليس كل ما يلمع ذهبا" فهي براقة فعلا بالنسبة لوقعها على الاذن ولكن عند التطبيق والتحقيق نجد انها ليست مثالية ولا من يحزنون وهي لم تطبق يوما بل غير قابلة للتطبيق في المقام الاول. دعونا نذكر هذه الامثال اولا ضمن سياقها لأن السياق مفيد لمعرفة المعنى ومن ثم نحاول تحليل هذه المعاني

7-12-2- الامثال وسياقها

سنذكر فيما يلي اربع قواعد شهيرة من الاناجيل تحولت لمفاهيم راسخة عند النصارى يتمسكون بها، نذكرها من ضمن سياق النصوص التي جاءت ضمنها. دون ان يفوتنا ان نذكر اننا كمسلمين لا نعترف بقدسية الاناجيل الحالية بل نعتبرها مجهودا بشريا وتحريفا للانجيل الاصلي الذي جاء به عيسى عليه السلام.

1- أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه (متّى)

حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة. فارسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين يا معلّم نعلم انك صادق وتعلّم طريق الله بالحق ولا تبالي باحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس. فقل لنا ماذا تظن. أيجوز ان تعطى جزية لقيصر ام لا. فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربونني يا مراؤون. أروني معاملة الجزية. فقدموا له دينارا. فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة. قالوا له لقيصر.فقال لهم اعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه. فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا.

2- من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر (يوحنا)

اما يسوع فمضى الى جبل الزيتون. ثم حضر ايضا الى الهيكل في الصبح وجاء اليه جميع الشعب فجلس يعلّمهم. وقدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا. ولما اقاموها في الوسط. قالوا له يا معلّم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل. وموسى في الناموس اوصانا ان مثل هذه ترجم. فماذا تقول انت.

قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه. واما يسوع فانحنى الى اسفل وكان يكتب باصبعه على الارض. ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها اولا بحجر. ثم انحنى ايضا الى اسفل وكان يكتب على الارض. واما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكّتهم خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ الى الآخرين. وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر احدا سوى المرأة قال لها يا امرأة اين هم اولئك المشتكون عليك. أما دانك احد. فقالت لا احد يا سيد. فقال لها يسوع ولا انا ادينك. اذهبي ولا تخطئي ايضا.

3- الذي جمعه الله لا يفرقه انسان (متّى)

وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل ان يطلق امرأته لكل سبب. فاجاب وقال لهم أما قرأتم ان الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وانثى وقال من اجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا. اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان. قالوا له فلماذا اوصى موسى ان يعطى كتاب طلاق فتطلّق. قال لهم ان موسى من اجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تطلّقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. واقول لكم ان من طلّق امرأته الا بسبب الزنى وتزوج باخرى يزني. والذي يتزوج بمطلّقة يزني.

4- من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر (متّى)

.سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن. واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ايضا. ومن اراد ان يخاصمك وياخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا. ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين. من سألك فاعطه. ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده. سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم. باركوا لاعنيكم. احسنوا الى مبغضيكم. وصلّوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم. لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات. فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين. لانه ان احببتم الذين يحبونكم فاي اجر لكم. اليس العشارون ايضا يفعلون ذلك. وان سلمتم على اخوتكم فقط فاي فضل تصنعون. أليس العشارون ايضا يفعلون هكذا.

7-12-3- غموض اجوبة يسوع الكتاب المقدس

قلنا سابقا ان يسوع الكتاب المقدس يبدو مناورا في اجوبته.. وهذه المقاطع تؤكد ما ذهبنا اليه ..

لاحظوا معنا عبارات نصب الافخاخ من اليهود ليسوع التي وردت في كل مقطع تقريبا..

- حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة
- قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه

- وجاء اليه الفريسيون ليجربوه

عبارات استدعت ان يجيب يسوع الكتاب المقدس بشيء من الغموض والعمومية: اعطوا ما لقيصر لقيصر.. من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر..

7-12-4- فهم الامور ضمن سياقها

ومع اخذ ما قلناه فيما سبق بعين الاعتبار باستطاعتنا ان نمر مرورا سريعا على هذه القواعد الاربعة المذكورة ونفهمها من ضمن السياق الذي مرت فيه كي نبرهن انها لا يجوز ان تؤخذ باي حال من الاحوال كقوانين عامة شاملة وملزمة انما هي مجرد وصايا اخلاقية في التعامل مع اخوتنا في الايمان. ونؤكد مرة اخرى اننا لا نعترف بها ولا نصدقها ولكن نناقشها هنا بحيادية كنص ادبي فنجد انها لا تعني –على زيفها وتحويرها – ما حاول النصارى اقناعنا به.

1- فصل الدين عن الدولة ام الحرص على عدم استغلال الدين من قبل الساسة.

"دع ما لقيصر لقيصر وما لله الله" اضحت شعارا للعلمانيين وهي ومثيلتها " الدين لله والوطن للجميع" حيث دعوا فيها للفصل بين الدين والدنيا.. وهذا يناقض نظرة الاسلام الذي يعتبر ان الحكم لله في الدنيا وفي الآخرة وهو وحده له حق تشريع الحلال والحرام في كافة نواحي الحياة.

واذا قرأنا السياق تجد ان يسوع الانجيل المحرف حاول ان ينمي روحية بني اسرائيل الإيمانية تاركا أمور التعامل مع الاحتلال الروماني لما بعد تمكين الدعوة في النفوس.. فالاولوية ضمن الظروف التاريخية التي جاء بها تتمثل في اعادة بني اسرائيل الى حظيرة الايمان.

2- اباحة الزنا وتحريم القصاص ام الحض على التوبة

صارت النصرانية فضفاضة جدا فيما يخص العلاقات الجنسية خاصة في الغرب حيث اصبح المحرم عندهم الاجهاض فقط والخيانة الزوجية.. اما الزنا قبل الزواج فلا باس به عندهم اذا كان برضى الطرفين لا بل ان الفتاة عندهم تعتبر معقدة اذا وصلت لسن العشرين وهي عذراء. وعذرهم في ذلك ما نقلوه عن الانجيل المحرف في ان يسوع رفض رجم الزانية.. في حين ان السياق لا يدل على مفهوم اباحة الزنا والفاحشة ابدا بل كل ما في الامر ان الداعية لا يستطيع تطبيق احكام الشريعة قبل اقامة الدولة واحقاق الحق فضلا ان من يريد ان يرجمها كان ابعد منها عن تطبيق الدين فكيف يستقيم ذلك؟ ونذكر في هذا السياق تعليق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطبيق الحد في عام الرمادة لوجود شبهة السرقة لانقاذ النفس من الموت جوعا والحدود تدرأ بالشبهات.

3- تحريم الطلاق ام ترسيخ المودة بين الزوجين

حرمت النصرانية الطلاق اعتمادا على مقولة "ما جمعه الله لا يفرقه الانسان" وهي مقولة لا تستقيم لا بالمعنى النظري ولا التطبيقي. فالزواج عقد شرعه الله والطلاق فسخ للعقد شرعه الله كذلك.. فلا نفهم سر نسبة الاول الى الله ونسبة الثاني الى البشر!!! ثم ماذا يفعل الزوجان ان لم تستقم حياتهم مع بعض واي الامور افضل : ان يظلوا على خلاف وشقاق يؤثر على الاولاد ام ان يعيش كل منهم حياته الخاصة مع زوج آخر؟ والاسوأ من هذا كله ان تحريم الطلاق ادى الى لجوء الناس الى الزنا والخيانة الزوجية حين وقوع الخلاف الزوجي فاصبح الزنا اهون عند الكنيسة من الطلاق في حين ان سياق كلام يسوع يدل ان الطلاق مكروه ولشده كراهيته فان من يطلق ويتزوج اخرى فكأنما هو يزني مع الجديدة.. وذلك كمن يقول لشخص انك ان اذيت فلانا ذبحتني.. قاصدا تنفيره من هذا الفعل بضرب مثال اقسى عليه منه.. فلا نفهم كيف انقلبت المفاهيم واصبح الزنا اسهل من الطلاق في نظر الكنيسة؟؟؟ لا يوجد تفسير آخر غير اتباع الهوى والإنتقائية.

4- تحريم القتل دفاعا عن النفس ام مسامحة الاخ والصبر على اذاه.

ان من الجنون والغباء ما تدعو اليه النصرانية من تحريم القتل حتى قصاصا او دفاعا عن النفس او ان تحرم الحروب حتى لو كانت دفاعا عن النفس والوطن. فهذه سنن فطرية لا يختلف عليها عند أي مجتمع مهما كان بدائيا. ولما كان الامر هكذا أي يستحيل تطبيقه فقد وجد النصارى مخرجا لهم من ذلك بتمسكهم بالقاعدة الاولى وهي ان ما لقيصر لقيصر وما لله لله حيث ادعوا

ان السياسة وما يستتبعها من حروب هي من مسؤولية الحكام (قيصر) وبالتالي فهم غير مسؤولين عنها او محاسبين. وقد صدق رب العالمين حينما ذم طريقة التفكير هذه بقوله "**ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**" فهم يحتكمون لقوانين متناقضة ومتضاربة فكأنهم اضحوا عبيدا لعدة اسياد وليت هؤلاء الاسياد متجانسون بل هم متشاكسون ايضا. وطبعا اذا نظرنا للسياق على تحريفه فأننا لا نفهم منه هذه المبادىء الملتوية انما نفهم ان على الانسان ان يقابل السيئة من صديقه او خصمه بالحسنة ان يعفو عنه ويسامحه وهذه خصال علمنا اياها اسلامنا كما ورد في القرآن الكريم "**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**"

7-12-5- الخلاصة

حدد علماء الاسلام ضوابط صارمة لتفسير القرآن الكريم منها تفسير القرآن بالقرآن والرجوع الى قواعد اللغة العربية وتقييد المطلق وتخصيص العام وما الى ذلك.. هذا بالإضافة الى ان الأحكام فيه تحمل معاني الالزام الا ان وجدت قرينة تصرفها الى الندب. اما كتاب النصارى المقدس واناجيلهم فهي لا تحمل هذه القطعية لا في ثبوتها ولا في معانيها ولا في الاحكام المنبثقة عنها. لذلك تعددت تفسيرات طوائف النصارى للنصوص وكل منهم اختار ما يناسبه وفسره على هواه.. قد يقول قائل ان الفرق الاسلامية انحرفت ايضا فنقول بما وضحناه سابقا ان العلماء حددوا ضوابط تفسير القرآن الكريم مما عصم الامة بمجموعها من الضلال.. اما النصارى فلم يحددوا اية ضوابط وتركوا باب التفسير والشرح مفتوحا لاي شخص كي يفهم النصوص على هواه. ولذا كان لنا الحق كمسلمين ان نفسر هذه النصوص التي لا نعترف بانها وحي رباني بالطريقة التي نفهمها والتي تبدو مقنعة لنا حيث توصلنا الى الاستنتاج:

1- بعد التمعن في الاناجيل المحورة نقول ان هذه النصوص لا يمكن ان تفهم كما يفهمها النصارى اليوم.

2- هذه المبادىء غير مثالية وغير واقعية انما هي مثالية مزيفة ورنانة.

3- الجانب الايجابي الذي ممكن يفهم من بعضها موجود في ديننا ما يضاهيه لا بل ما يفوقه.

7-13- فروقات اساسية بين الاسلام والنصرانية

7-13-1- مقدمة

لا نهدف من هذا الفصل بيان تفوق الاسلام على النصرانية فحسب بل وضع حد لافتراءات الملحدين على الاسلام تحت ستار مهاجمة الدين بشكل عام وهذا منطق متهافت خاصة في ظل تمايز الاسلام عن بقية الاديان في اكثر الامور التي يهاجم الدين فيها ومنها موقف الدين من العقل، موقفه من العلم، موقفه من المرأة فيكف يوضع معهم في سلة واحدة؟

7-13-2- العقل بين الاسلام والنصرانية

هل صحيح أن النصرانية تُعنى في عقائدها برعاية العقل، وترفض كل ما يخالفه؟وهل صحيح أن الإسلام لا يُعنى بأمر العقل، ولا يبالي أن يناقضه في عقائده؟ الحقيقة: أن الردَّ على هذين السؤالين كليهما بالنفي. بل العكس هو الصحيح، بل الصواب الذي تثبتُهُ كلُّ البراهين من داخل الدينين ونصوصهما ومصادرهما، ومن خلال موقف كل منهما مع العقل والعلم في التاريخ. مَن يقرأ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد: فلا يكاد تمرُّ به هذه الكلمات: عقل يعقِل، وتفكَّر يتفكَّر، ونظر ينظُر، وكلمات: البُرهان والحجَّة والبيِّنة، والحِكمة والفقه، والعلم والتدبُّر، والألباب والنُّهي، وأمثالها. وهذه الكلمات شائعة في القرآن الكريم في سُوره المكيَّة والمدنيَّة، وهذا ما جعل كاتبا عربيا مدنيا كبيرا مثل الأستاذ عباس العقاد، يؤلِّف كتابا عنوانه: (التفكير فريضة إسلامية).

هذا وقد قرر المحقِّقون من العلماء: أن إيمان المُقلد غير مقبول، ولا يُحقِّق له النجاة عند الله والخلاص في الآخرة، بل يجب أن يؤمن عن طريق الدليل، ولو كان إجماليا، وغير مُرتَّب ترتيبا منطقيا. قال تعالى: **{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** [النمل:64]، **{نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** [الأنعام:143]. وهذا بخلاف الإيمان في النصرانية، فهو قائم على الوُجدان لا على البُرهان، وعلى التسليم لا على التفكير، ولهذا شاع عندهم قولهم: آمن ثم اعلم! اعتقد وأنت أعمى! أغمض عينيك ثم اتبعني!

إن الإسلام كرم العقل أيما تكريم، كرمه حين جعله مناط التكليف عند الإنسان، والذي به فضله الله على كثير ممن خلق تفضيلا، ويتجلى هذا التكريم في الآتي:

1. خص الله أصحاب العقول بالمعرفة لمقاصد العبادة

والوقوف على بعض حكم التشريع، فقال سبحانه بعد أن ذكر جملة أحكام الحج **{واتقون يا أولي الألباب }** [البقرة: 197]. وقال عقب ذكر أحكام القصاص: **{ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب }** [البقرة: 179].

2. قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول

فقال عز وجل: **{ومايذكر إلا أولوا الألباب }** [البقرة: 269].

وقال عز وجل: **{لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب }** [يوسف: 111]. وقال

عز وجل: **{ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون }** [العنكبوت: 35].

3. اثنى الله على أصحاب العقول

وجمع لهم النظر في ملكوته، والتفكير في آلائه، مع دوام ذكره ومراقبته وعبادته، قال تعالى: {**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض** } إلى قـوله عـز وجل: **{إنك لاتخلف الميعاد }**

[آل عمران: 190-194].

4. ذم الله عز وجل المقلدين لآبائهم

وذلك حين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامها رضاً بما كان يصنع الآباء والأجداد، قال عز وجل: **{وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنآ أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون }** [البقرة: 170-171].

5. حرم الإسلام الاعتداء على العقل بحيث يعطله عن إدراك منافعه.

- فمثلاً: حرم على المسلم شراب المسكر والمفتر وكل مايخامر العقل ويفسده، قال عز وجل: **{ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون }** [المائدة: 90].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ) رواه أبوداود، وصححه الحافظ العراقي.

6. شدد الإسلام في النهي عن تعاطي ماتنكره العقول وتنفر منه

كالتطير والتشاؤم بشهر صَفَر ونحوه، واعتقاد التأثير في العدوى والأنواء وغيرها، وكذا حرم إتيان الكهان وغيرهم من أدعياء علم الغيب، وحرم تعليق التمائم وغيرها من الحروز.

7-13-3- العلم بين الاسلام والنصرانية

يجد الدارس لحضارتنا الإسلامية، ولتاريخنا الإسلامي مآثر ومزايا لا توجد في غيره من تواريخ الأُمم والحضارات، وكلها من آثار الإسلام وتعاليمه، ونضحه على الأُمة التي صنعت هذا التاريخ.

من هذه المآثر والمناقب المشهورة: أن العلم والدين في حضارتنا يتعانقان، ولا يتصارعان، ويتفقان ولا يختلفان، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين. ولهذا لم يقُم عندنا ما قام عند أمم أخرى – مثل الأمم الأوربية في عصورهم الوسطى – من صراع تأجَّجت ناره بين العلم والدين، أو بين الفكر والعقيدة، أو بين الشريعة والحِكمة.

لقد عرَف تاريخ أوربا هذه المعارك المُشتعلة بين العلم والدين، وبعبارة أخرى: بين رجال العلم والفكر من رُوَّاد الابتكار والاختراع في مجالات العلم المختلفة من ناحية، وبين رجال الكنيسة الغربية المُمثِّلين للدين والمُتكلمين باسمه من ناحية أخرى ... فقد تبنَّوا نظريات معينة تلقوها من فلسفة اليونان، أضفوا عليها لونا من القداسة والعصمة – وهي فكر بشري محض – ولم يسمحوا لأحد أن يُخالفها، أو يخرج عن إطارها، ومَن فعل ذلك استحقَّ لعنة الله، وحُكم عليه بالإلحاد والهرطقة، والمُروق من الدين.

وأنشئت (محاكم التفتيش) الرهيبة، لتُلاحق هؤلاء الذين اجترأوا على حُرمة الدين، واستباحوا الحِمى المُحرَّم، وخرجوا عن النطاق المرسوم، فقرَّروا مثلا: أن الأرض كُروية، وليست مبسوطة. هذا في الوقت الذي كان فيه طلاب العلم من المسلمين يقرأون في كتب التفسير مثل: تفسير الفخر الرازي، وفي كتب (علم الكلام) مثل كتب الجرجاني والتفتازاني، وفي كتب (المِلل والنِّحل) مثل كتاب ابن حزم (المتوفى 456هـ): فكرة كُروية الأرض والتدليل عليها، ولا يجدون في ذلك حرجا في الدين، ولا عنتا في الدنيا.
لقد نشأ المنهج العلمي الاستقرائي التجريبي في تُربة الحضارة الإسلامية، ونما وترعرع على أيدي علماء المسلمين، نظريًا وفلسفيًا، وعمليًا وتطبيقيًا. ونمت علوم الفيزياء والفلك والكيمياء والتشريح والطب والرياضيات وغيرها، نمواً حافلاً، تُوِّج بتطبيقات ناجحة، في شتَّى مجالات الحياة والإنسان. وكذلك نقد المسلمون المنهج الصُّوري القياسي الأرسطي، كما نرى ذلك في نقد ابن تيمية للمنطق نقداً علمياً رصينا[2].
وعن الحضارة الإسلامية أخذ الأُوربيون المنهج التجريبي. روجر بيكون، وفرنسيس بيكون وتلاميذهما، إنما تتلمذوا على المسلمين وعلومهم وحضارتهم، واقتبسوا منهم، ونقلوا عنهم، وهذا ما اعترف به المؤرخون والباحثون المنصفون من الغربيين، كما نقلنا من قبل.

7-13-4- المرأة بين الاسلام والنصرانية

تنظر النصرانية للجسد على انه شر مطلق ، فقد كان القديس امبروز (أسقف ميلانو فى القرن الرابع) يعظ فى أمر الروح كنقيض للجسد الذى هو شر. فهو يقول: "فكر فى الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد ، ونبذت الانغماس فى الشهوات ومتع اللذات الجسدية، وتخلصت من اهتمامها بهذه الحياة الدنيوية" بالنسبة لأمبروز كان الجسد مجرد خرقة بالية ملطخة بالأقذار ، تُطرَح جانباً عندما يتحد الانسان بالله الروحانى بالكلية. لقد كان أوغسطين يردد هذه الفكرة باستمرار ، فكم صلى قائلا "آه خذ منى هذا الجسد، وعندئذ أبارك الرب" وفى سير حياة القديسين المسيحيين الكبار نجد مثل هذا الارتياب فى الجسد. لقد اعتاد فرانسيس الأسيزى أن ينادى جسده قائلاً: (أخى الحمار)! كما لو كان الجسد مجرد بهيمة غبية شهوانية ، تستخدم لحمل الأثقال ، وكثيرا ما كان القديسون يتعهدون أجسادهم باعتداء يومى من أجل إماتتها بالتعذيب الذاتى بطرق تقشعر من هولها الأبدان. ومن الرهبان من قضى حياته عارياً ، ومنهم من كان يمشى على يديه ورجليه كالأنعام ، ومنهم من كان يعتبر طهارة الجسم منافية لطهارة الروح .وكان أتقى الرهبان عندهم أكثرهم نجاسة وقذارة. حتى أن أحدهم يتباهى بأنه لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره. وآخر يقسم أن الماء لم يمس وجهه ولا يديه ولا رجليه مدى خمسين عاماً، وكان الكثير منهم لا يسكنون إلا فى المقابر والآبار المنزوحة والمغارات والكهوف. وقد روى بعض المؤرخين من ذلك العجائب: فذكروا أن الراهب (مكاريوس) نام فى مستنقع آسن ستة أشهر ، ليعرض جسمه للدغ البعوض والذباب والحشرات، وكان يحمل دائماً قنطاراً من الحديد.
تقول الكاتبة كارين أرمسترونج: "فى القرن الثالث عشر الميلادى قال الفيلسوف اللاهوتى القديس توما الاكوينى ، الذى ساد الفكر الكاثوليكى حتى عهد قريب ، أن الجنس كان دائماً شراً .. .. وعلى أى حال ، فإن هذا الموقف السلبى لم يكن محصوراً فى الكاثوليك ، فلقد كان لوثر وكالفين متأثرين إلى أقصى حد بآراء أوغسطين ، وحملا مواقفه السلبية تجاه الجنس والزواج إلى قلب حركة الإصلاح الدينى مباشرة. لقد كره لوثر الجنس بشكل خاص ، على الرغم من أنه قد تزوج ومحا البتولية فى حركته المسيحية. لقد كان يرى أن كل ما يستطيع الزواج عمله هو أن يقدم علاجاً متواضعاً لشهوة الانسان التى لا يمكن السيطرة عليها. لقد سلم أوغسطين [القرن الرابع الميلادى] إلى الغرب تراث الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها ، فهناك فى لب كل تشكيل للعقيدة ، توجد المرأة حواء ، سبب كل هذه التعاسة ، وكل هذا الثقل من الذنب والشر ، وكل الانغماس البشرى فى الخطيئة. لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معاً فى ثالوث غير مقدس. فبالنسبة لذكر متبتل مثل أوغسطين ، لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة. وفى الغرب بقيت المرأة هى حواء إلى الأبد ، هى إغراء الرجل إلى قدره المشئوم. بل إن إنجاب الأولاد الذى تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسى وينبوع القدرات التى تمتلكها ، نجده فى المسيحية قد غلفه الشر باعتباره الوسيلة التى تنتقل بها الخطيئة. وتواصل كارين أرمسترونج: لقد كان يُنظر إلى جسد المرأة باشمئزاز على نحو خاص ، كما كان مصدر إرباك لآباء الكنيسة أن يسوع ولد من امرأة. فكم ضغطوا بشدة فى موعظة تلو موعظة ، وفى رسالة تلو رسالة على أن مريم بقيت

عذراء ، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعده أيضاً (.... لقد كتب أودو الكانى فى القرن الثانى عشر: "إن معانقة امرأة تعنى معانقة كيس من الزبالة"لقد كانت الأحشاء الخفية للمرأة ، والتى تتسم بالقذارة ، مع رحمها الذى لا يشبع ، موضع استقذار وفحش بشكل خاص. ولقد كتب أسقف فرنسى عاش فى القرن الثانى عشر: أن كل النساء بلا استثناء مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم. وقال الراهب البنديكتى برنار دى موريكس دون مواربة فى أشعاره: إنه لا توجد امرأة طيبة على وجه الأرض). وقال الراهب الانجليزى اسكندر نكهام: (أنه نظراً لأن المرأة لا تشبع جنسيا ، فإنها غالبا ما تصطاد بائساً حقيراً لينام معها فى فراشها ليشبع نهمها إذا كان زوجها غير موجود فى لحظة شبقها. ونتيجة لذلك كان على الأزواج أن يربوا أطفالاً ليسوا أولادهم. وقال القديس ترتوليان: (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل.

فقد عانت المرأة الويلات من جراء أقوال بولس هذه وغيره لمدة قرون من الزمان، فقد اعتبر رجال هذا الدين المنسوب للمسيح "أن المرأة دنس يجب الإبتعاد عنه، وأن جمالها سلاح إبليس وحرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم، ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعار من طبيعتها وكيانها البشرى. وهذا الإعتقاد تسرب إلى النصرانية من بين معتقدات وعادات كثيرة انتقلت إليها من الديانات الوثنية القديمة، التى كانت تعتبر المرأة تجسيداً للأرواح الخبيثة، والتى كانت متفقة على تحقير النساء وإذلالهن، بل وإبادتهن بأفظع الطرق والوسائل الوحشية، ومن بينها إلزام المرأة التى يموت زوجها أن تحرق نفسها بعد موته وإحراق جثته مباشرة "

و قالت سيمون دى بوفوار : لقد أسهمت العقيدة النصرانية فى اضطهاد المرأة ولم تقم بدور بسيط فى هذا. كما قال ماركوس إن فكرة أن تكون المرأة حاملة للخطيئة الأزلية ، والتى تتعلق بها عقائد الديانة النصرانية تعلقاً لا تكاد تنفك منه أبداً ، هى التى أثرت أسوأ تأثيراً على الناحية الإجتماعية والقانونية للمرأة. كما كانت مخلوق ثانوى وشريكة للشيطان فى الخطيئة الأزلية. فأهل الكتاب يرون أن المرأة هى ينبوع المعاصى ، وأصل السيئة والفجور ، ويرى أن المرأة للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحركه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب على الإنسانية جمعاء.

في المقابل تقوم النظرة القرآنية للمرأة على أساس من الإنسانية المجردة التي يترتب عليها تقرير الكرامة التي تم الإعلان عنها في قوله تعالى : "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً". لقد ركز الإسلام ابتداء على تصحيح جملة المفاهيم الخاطئة التي تراكمت عبر العصور، فهو لم يجعل المرأة أصل الخطيئة، خلافا للكتاب المقدس الذي يحملها مسؤولية إغواء آدم، وخلافا للديانة اليهودية التي جعلت من المرأة نوعا من اللعنة التي حلت على بني آدم . ولم يعتبر الإسلام المرأة جسدا بلا روح إنسانية، ولم يقل إنها أمر من الموت، وأسوأ من السم والنار والجحيم خلافا لشريعة الهندوس. وإذا كانت بعض المجتمعات قد أباحت للرجال بيع زوجاتهم حتى عهد قريب كما كانت عليه الحال في بريطانيا حتى عام 1805 م، أو كانت تمنع المرأة من إبرام أي تعاقد مالي بدعوى أنها قاصر كالطفل والمجنون كما كان الوضع في فرنسا حتى عام 1938، فقد أكد الإسلام من البداية على إنسانية المرأة وعلى أهليتها، بل واستنكر على بعض العرب قتلهم لبناتهم تحت ذرائع متعددة، قال تعالى: "**يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**". كما أنه لم يقبل فكرة الرهبنة واعتزال النساء حتى ولو كان ذلك بدعوى التفرغ للعبادة، خلافا للكنيسة الكاثوليكية التي لا زالت تتمسك بذلك بخصوص الرهبان .

هذا وقد قرر الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء إلا فيما دعت الحاجة الواضحة إلى استثنائه، فقد جاء في القرآن الكريم: "**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**". "**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**". "**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون**". فالآيات تجمع الذكر والأنثى تحت حكم واحد.

إن المجتمعات الإنسانية و الشرائع والنظم غير الإسلامية لم تعط المرأة قدرها الذي منحها إياه الدين الإسلامي، فقد ظلت المرأة تعاني من سلبها حقوقها، ومن عدم التسوية في الكرامة بينها وبين الرجل، والكتب التاريخية حافلة بالأحداث المظلمة التي مرت بها المرأة عبر العصور الممتدة.

7-14- خلاصة باب النصرانية

السؤال الرئيسي الذي كتبنا هذا القسم لاجله هو: كيف يتأكد المسلم ان دينه صحيح في الوقت الذي يظن كل انسان ان دينه صحيح؟

بقية الاديان لا ترقى لمستوى الاسلام من جميع الوجوه. وقد اخترنا النصرانية لانها اشهر الاديان فمناقشتها تكفي لاعطاء فكرة عن بقية الاديان. وفيما يلي نبذة عن اهم الاسئلة التي مرت معنا في هذا القسم والتي بينا من خلال الاجوبة عليها تهافت النصرانية وبطلانها.

1- الله مطلق القدرة فما المشكلة في أن يتجسد في شكل بشري؟

الإله من حيث التعريف يتصف بصفات الكمال وليس من الكمال ان يتحول الى رجل يمشي في الاسواق ويأكل الطعام ونحن نعرف الى ماذا يتحول هذا الطعام.

2- هل كذب المسيح عليه السلام اذن حين دعا الى تأليه نفسه؟

لا لم يكذب فلم يثبت عنه ابدا انه دعا الى تأليه نفسه.

3- وماذا عن بعض الاشارات في الاناجيل التي تدل انه ابن الرب؟

الاناجيل محرفة اولا وثانيا الاشارات غامضة ومتناقضة.

4- كيف عرفتم انها محرفة؟

- الانجيل الذي نؤمن به انزل على عيسى والتوراة على موسى اما ما لدينا بين دفتي الكتاب المقدس فقد كتبه البشر باعتراف النصارى. واكثر كتاب فصول الكتاب المقدس مجهولون.
- التناقضات دليل تحريف.
- التصحيحات والحذوفات في كل نسخة جديدة دليل تحريف بتعبير آخر لا زال التحريف مستمرا.

5- هل حقا الاشارات الى الوهية المسيح في كتابهم المقدس غامضة ومتناقضة؟

بلا شك ففي احيان كثيرة يسأل المسيح في الكتاب المقدس ان كان إلها فيجيب بطريقة ملتبسة واحيانا ينادى بالصالح فيرفض ان ينادى بهذا الاسم واحيانا اخرى يتكلم بنبرة فلسفية حلولية بحيث يجعل تلاميذه يحلون فيه كما يحل هو في الإله.

6- وما المشكلة ان كانت الاشارات غامضة؟

المشكلة ان هذه عقيدة يدان فيها المرء اما الى الجنة واما الى النار. فعليها ان تكون واضحة وضوح الشمس. ونحن نستغرب ان يترك المسيح عقيدة الدين الذي انزل عليه للمفسرين والشارحين من خلفه بدل ان يحسمها هو.

7- من الذي اثبت اذن ان المسيح اله واعتبرها عقيدة جازمة؟

الجواب هو المسار التاريخي.. وليس شخصا بمفرده.. لقد تطورت العقيدة طيلة 300 عام حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم.

2- وهل من المعقول ان يعيش ملياري شخص اليوم في وهم؟ يظنون ان المسيح هو ابن الله وهو ليس كذلك؟

الا يدعي النصارى ان البوذيين والهندوس يعيشون في وهم ايضا حينما عبدوا البشر والبقر والحجر؟ وهؤلاء يناهزون المليار ايضا.. فالعدد ليس مؤشرا على اي شيء..

9- وما هو الدافع لهذا التحوير في العقيدة وتأليه البشر؟

اي شخص عظيم يموت بطريقة مأساوية يبالغ في تعظيمه وهذا امر موجود الى اليوم ففي لبنان تحول رفيق الحريري الى شبه شخص مقدس بعد اغتياله مثلا.. فماذا نقول في اشخاص اعظم من هذا الرجل بكثير.. اشخاص كانت لهم مرتبة روحية كبيرة ومعجزات وكرامات؟؟ وماذا نقول في عامل الزمن؟ وحتى في الاسلام عندنا طوائف غالت في محبة سيدنا علي رضي الله عنه.. علينا الا ننسى ان لحادثة الصلب دافع قوي لتعظيم المسيح عليه السلام اذ كان بني اسرائيل الذين ارسل اليهم المسيح عليه السلام

يقولون ان من يموت على الخشبة ملعون فحاول بعض غلاة النصارى ان يخرجوا من هذه اللعنة بادعائهم ان الإله تحول الى لعنة كي يفدي البشر الخطاة..

10- نفهم من هذا الامر ان المسيح لم يؤله مباشرة انما غلوا في تعظيمه في بادىء الامر؟

نعم. في العادة لا تصل الامور الى تأليه اي انسان مباشرة بل يبتدأون بتعظيمه فوق مستوى البشر حتى يصل الامر في النهاية الى التقديس او التأليه. فالاصنام لم تعبد ابتداء بل اقيمت لتخليد ذكرى اشخاص عظماء ثم ظن الناس انها ممكن تنفع وتضر فعبدوها.

11- هل هناك شخص رئيسي كان له الدور في بدء عملية الانحراف عن السكة؟

لا ريب وانه بولس اليهودي الذي لم يكن من تلامذة المسيح بل كان يضطهدهم الى ان جاء يوم وحلم ان المسيح يسأله لم تضطهدني فآمن به وانطلق مبشرا بعقيدته الخاصة بين الاقوام ميسرا عليهم امور الشريعة مطالبا منهم ان يؤمنوا بأن المسيح فداهم لينجوا لا ان يعيشوا كما عاش عليه السلام كي يصلوا الى النجاة.

12- وهل بولس هو من أله المسيح؟

بولس رفع المسيح الى مرتبة الملائكة ولكنه لم يؤلهه وان كان فتح الباب لذلك الموضوع حين بالغ في تعظيمه وتقديسه. اما من أله المسيح عليه السلام فهي المجامع الكنسية النصرانية التي كانت تأخذ القرارات بما يتناسب مع الرأي الغالب للحاكم او السلطة الكهنوتية وكان كل مجمع يحرم مخالفيه ويضطهدهم ويحرق كتبهم. ويبدو ان تيار تأليه المسيح كان اقوى من خصومه ويحظى برضى الحكام فانتصر على مخالفيه وازاحهم من على وجه الخريطة. احد اسباب انتصار هذا التيار هو مهادنته للوثنية الرومانية التي كانت سائدة في هذا العصر والتي كانت تميل الى تأليه المخلوقات والى الانحلال من اي قيد ديني ثقيل مثل الشريعة حيث وجد هؤلاء في تفسير بولس للمسيح غايتهم.

13- وهل جاء محمد صلى الله عليه وسلم لينقض كلام المسيح؟

هذا اعتقاد النصارى للاسف ودافعهم في ذلك جهلهم بالاسلام وجهلهم بدينهم ايضا، فلو درسوا كيفية تطوره لرأوا ان محمدا عليه السلام لم يأت لينقض كلام المسيح عليه السلام او يكذبه. بل جاء ليصحح ما تراكم من اخطاء في النصرانية. للمسيح تفسيران: تفسير غيبي حلولي رائده بولس وتفسير واقعي موضوعي هو تفسير الاسلام. فالتحدي هو بين هاتين المدرستين لا بين مدرسة محمد ومدرسة المسيح عليهما السلام فهؤلاء اخوة لعلات ورسالتهما من مشكاة واحدة.

14- وماذا يقول الاسلام عن المسيح عليه السلام؟

يعتبر الاسلام ان كل الانبياء دعوا الى دين واحد هو دين الإسلام وان عقيدتهم عقيدة واحدة فكلهم دعوا الى عبادة الله وحده وهو ادعاء متوافق مع العقل والمنطق والتاريخ. والمسيح عليه السلام لم يدعي الالوهية بل جاء ليخفف من التكاليف الثقيلة التي كان يرزح تحت وطأتها بنو اسرائيل والتي فرضها الله عليهم لقسوة قلوبهم. مع الاسلام نربح محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نخسر المسيح عليه السلام.

15- كل ما قلتموه جميل ومقنع ولكن النصرانية دين جذاب بما تحمله من قيم الرحمة والمحبة خاصة انها جاءت بعد اليهودية التي شابها الكثير من العنف والقسوة فكيف يأتي الاسلام ليقوم بخطوة الى الوراء في هذا الاتجاه؟

الرد من عدة وجوه:

- كل الانبياء جاءوا بالاسلام وجاءت الشرائع مختلفة كي تتلائم مع طبيعة كل شعب. على انه ينبغي التنويه ان شريعة موسى عليه السلام لم تكن عنصرية او عنيفة بل حورها اليهود لتصبح كذلك وفي الوقت نفسه لم تكن النصرانية روحانية ومثالية بهذا الشكل بل حورها بولس واتباعه لتصبح كذلك. نحن اذن لا نؤمن بوجود اختلافات كبيرة وجذرية بين شرائع الانبياء خاصة انها كلها مبنية على الوصايا العشر.

- المثالية والروحانية النصرانية لم تطبق عبر التاريخ بل على العكس كانت الوحشية هي ميزة التعامل النصراني مع غيره من الشعوب في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في الاندلس وصولا الى البربرية الغربية المعاصرة. وذلك بمباركة من الكنيسة
- حديث النصرانية عن الفداء والرحمة والمحبة بلا حدود هو من قبيل ذر الرماد في العيون لأن دينهم يفرض العذاب الابدي على من يرفض ألوهية المسيح.. والخلاف بينهم فقط في شكل هذا العذاب هل هو معنوي ام حسي... فكيف يتوافق العذاب مع المحبة بلا حدود؟

16- وماذا عن ادعاء النصارى ان المسيح عليه السلام افضل من محمد صلى الله عليه وسلم لكونه لم يلطخ يديه بالدم على قولهم؟

لا تجوز المقارنة بين نبي عاش مواطنا في دولة تخضع لحكم الكفار وبين نبي اسس دولة وجب عليه حمايتها من قوى الشر. ان حياة محمد عليه الصلاة والسلام في المرحلة المكية لا تختلف كثيرا عن حياة المسيح عليه السلام. وحياة محمد عليه الصلاة والسلام في المدينة تشبه حياة داوود عليه السلام حينما نصب ملكا على بني اسرائيل. وبالتالي لكل مقام مقال.

17- كيف نفسر تشابه قصص القرآن الكريم مع قصص التوراة ؟ الا يدل هذا على ان محمدا اقتبس هذه القصص من العهد القديم؟

- الرسول صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يطلع على الكتب السابقة.
- الادعاء بالنقل يتجاهل احتمال ان يكون محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا فعلا وفي هذه الحال فأين المشكلة في تشابه القصص ما دامت من مشكاة واحدة ومصدر واحد؟
- عرض القرآن الوقائع عرضاً يختلف عن عرض التوراة لها .
- أضاف القرآن جديداً لم تعرفه التوراة فى المواضع المشتركة بينهما .
- صحح القرآن أخطاء " خطيرة " وردت فى التوراة فى مواضع متعددة .
- انفرد القرآن بذكر " مادة " خاصة به ليس لها مصدر سواه .
- فى حالة اختلافه مع التوراة حول واقعة يكون الصحيح هو ما ذكره القرآن. والباطل ما جاء فى التوراة بشهادة العقل والعلم والتاريخ.

18- بالنسبة لحادثة الصلب، كيف يسمح الاسلام بوقوع الشبه على شخص آخر غير المسيح فيما ظن كل شهود العيان انه هو المسيح؟ ماذا سيكون ذنب النصارى الذين آمنوا بالمسيح إلها لانهم رأوه مصلوبا؟ وألن يكون هذا مدخلا كي يكذب الناس في الامور الحسية بدعوى ان الواقع هو غير ما تراه العين.

سياق الكلام الذي جاء نفي صلب المسيح فيه كان سياق تقريع اليهود الذين كانوا ينتظرون قدوم المسيح فلما جاءهم على غير ما تهوى نفوسهم حاولوا قتله ولكن رب العالمين ابطل شرهم وانقذه من بين ايديهم بمعجزة (اين الغرابة في ذلك؟ الم ينقذ رب العالمين موسى عليه السلام وقومه من فرعون بمعجزة). هذا ولا يجب ان يربط التأليه بالصلب.. فكم من نبي قتل او مات فما علاقة هذا بالتأليه؟؟؟ ان من ظن ان المسيح عليه السلام صلب قبل اخبار القرآن بنجاته لا لوم عليه وهو معذور عند ربه الا ان كان قد رفعه الى مستوى الالوهية لأن ذلك يتناقض مع العقل والنقل.

الباب الثامن: الدين الحق

تمهيد

وصلنا في الباب السابق ان النصرانية دين محرف، وعرفنا ان الاسلام بالمقابل دين موثوق ومتجانس ومثبت تاريخيا.. ولكن هل من سبيل للاقتناع بالاسلام بطريق آخر؟؟ بطريقة المتن هذه المرة وليس السند.. هل مضمون الاسلام وفكره يؤهله لمقارعة سائر العقائد والانتصار عليها؟ هي يمكن للباحث عن الحق ان يصل الى قناعة بالاسلام فقط من خلال دراسته لتعلمياته وافكاره وفلسفته بدون ان يعرف أي شيء عن خلفيته التاريخية او مواصفات نبيه؟

8-1- مواصفات الدين الحق

8-1-1- مقدمة

كثيرا ما نتابع جلسات حوارية بين الاديان والعقائد المختلفة منها ما هو حي ومنها ما هو مكتوب. فنهز رأسنا اسفا لمستوى الحوار المتدني فهو لا يخرج عن واحدة من الحالات التالية:

1- جدال هو اقرب الى السباب والشتم منه الى حوار يخاطب العقل والمنطق.

2- حوار مجاملات من نوع وحدة الاديان والاستخفاف بالعقول والقفز فوق الاختلافات الجوهرية.

3- حوار في الفروع يضيع وقت المستمع او القارىء في تفاصيل لا تغني ولا تسمن من جوع نظرا لغياب الارضية المشتركة التي ينطلق منها الطرفان.

لذلك وكي نخرج من هذا الاطار السلبي ونقدم مادة جديدة تفيد القارىء ولا تهدر وقته فعلينا ان نلتزم بثلاث ضوابط

1- الموضوعية التامة بحيث لا تنطلق في الحوار بهدف طحن الخصم بقدر ما تسعى الى ايصال وجهة نظرك له.

2- المصداقية العلمية بعيدا عن الاستخفاف بالعقول.

3- وضع مبادىء واصول عامة تشكل ارضية مشتركة للحوار.

ولا ندعي ان النجاح سهل في هذه الضوابط الثلاث فالموضوعية المطلقة مستحيلة والمصداقية العلمية ليست حاسمة في العلوم الانسانية كما هي الحال في العلوم التطبيقية كما ان المبادىء والاصول التي سيضعها كل طرف هي نتيجة تراكم خبراته الشخصية وخبرة محيطه وبالتالي قد لا تكون شاملة لكل ما يجب ان يوضع من قواعد في هذا المضمار، فلا ريب ان كل طرف سيذكر اشياء وتغيب عنه اشياء. لكن جل ما نسعى اليه هو وضع حجر اساس يكون مدخلا لبناء هرم ضخم اسمه اصول الحوار بين الاديان. ونتأمل ان يأتي غيرنا ويكمل ما بدأنا به ويضع فرضياته التصحيحية او المضادة لما وضعنا كي نخرج بمادة غنية تنفع كل باحث عن الحقيقة.

8-1-2- مبادىء فكرية اساسية يجيب ان تنسجم فيها العقائد والاديان

1- الدين يجب ان يكون مفتوحا للجميع

بعض الاديان والعقائد مغلقة على جنس معين او نسل معين فهي لا تصلح بأن تسمى عقيدة عالمية او تعرض على نطاق البحث للحوار. فلم نهتم بدراسة دين او عقيدة او جمعية لا تفتح لنا المجال لدخولها؟ ان اول مبادىء الاخلاقي والعدل لأي عقيدة تقدم نفسها على انها حقيقة مطلقة ان تفسح المجال للناس ان يعتنقوها. اما ان تقوم عقيدة ما وتدعي انها الحل وانها الحقيقة دون ان تفتح المجال للناس بالانضمام اليها فهذه عنصرية مقنعة لا يمكن الا ان تفرق بين الناس وتثير البغضاء بينهم.

2- الدين يجب ان يحمل قيما اخلاقية عادلة و رادعة

لا ينبغي للدين ان يكون عملا تطوعيا او موضة او رياضة روحية لتمضية الوقت وتطوير الذات بل عليه ان يحمل قيما الزامية ضابطة وصريحة. ومن من اهم مهمات الدين ان يشكل رادعا اخلاقيا لصيانة المجتمع وان يحمل في طياته مبادىء العقاب

للمخالف والثواب للمنتمي الملتزم بالقواعد، وعلى هذه المبادىء ان تكون اخلاقية، عادلة وواقعية فمن غير المنطقي ان يعاقب الشخص بجريرة عمل الآخرين ولا ان يفدي شخص خطايا الآخرين. فاذا فقد الدين هذا النظام المتكامل استحال الى مجرد رياضة روحية او سفسطة كلامية لا تعكس أي تأثير مهم على ارض الواقع.

3- عقائد الدين واساسياته يجب ان تكون سهلة الفهم على العامة

بما ان كل دين (او ايديولوجية) يدعي انه الحقيقة المطلقة لكل البشر فمن المنطقي الافتراض ان العقيدة الاساسية لهذا الدين يجب ان تكون سهلة وبمتناول فهم العامة، نعم قد لا يفهمها العامي بنفس العمق الذي يفهمها المثقف ولكنه بالنهاية يستطيع ان يقتنع بأصلها بدلا من ان يرددها كالببغاء مثلما يردد الكثير من العامة شروحات عقائد دينهم مع انهم لا يفقهون شيئا منها. لو كان الدين للنخبة فقط لما كان هناك من معنى ان يكون التكليف فرديا بل لكان التكليف على الخاصة فقط وهذا ما لا يدعيه أي دين على حد علمنا.

4- عقيدة الدين لا يجب ان تتغير عبر العصور اما شريعته فمن الممكن ان تتغير

بما ان كل دين يدعي انه الحقيقة المطلقة وغالبا ما يقدم نفسه على انه الحلقة الاخيرة في سلسلة رسالات سابقة فعلى هذا الدين ان يكون منسجما مع فحوى عقائد هذه الرسالات السابقة ولا يخالفها، فإن كان الاصل واحدا فلا يمكن ان يقتنع العقل البشري ان تتغير العقيدة من رسالة الى اخرى اذ ان عقيدة الدين هي جوهره وحقيقته والجوهر لا يتغير ان كان الاصل واحدا انما يتغير اللباس الشكلي لينسجم مع تطور البشر الفكري ويصبح اكثر ملائمة لهم فمن هنا استحالة تغير العقيدة مع الزمن في مقابل احتمال ان تتغير الشريعة تبعا لتغير مصالح الناس عبر الزمن ومستوى تفكيرهم.

5- برهان الوصول الى الدين الحقيقي ينبغي ان يكون مركوزا في النفس

تتألف الشخصية الانسانية من ثلاث عناصر اساسية: العقل والعاطفة و الفطرة (او الوجدان)، فالدين الحقيقي والصحيح يجب ان يكون مركوزا في النفس الانسانية بحيث ترشد اليه الفطرة، يتقبله العقل ويصدقه، وفي نفس الوقت يكون قادرا على ارواء العاطفة واشباعها. اما الاديان التي تطلب منك الغاء عقلك والتسليم الاعمى بها عن طريق استدرار العواطف فهي اديان لا ترقى الى المستوى المقبول. اذ ان العواطف متغيرة حسب التربية والمرء بتعلق بما شب عليه وما اعتاده فمن غير المنطقي ان يكون الدين الذي يقدم نفسه كحقيقة مطلقة موضوعا شخصيا خاضعا للذوق البشري او لتربية المجتمع واهواء الفرد.

6- يجب ان يكون الدين شاملا

المفترض من الدين ان يقدم نفسه على انه حقيقة مطلقة .. وان كان الدين يقدم الحقيقة المطلقة فعليه بالبداهة ان يكون شاملا بمعنى ان يكون قادرا على الاجابة على كل سؤال يطرح عليه خاصة ان كان اساسيا، ولا نطلب هنا من الدين ان يكون الموسوعة الوحيدة التي نستقي منها معارفنا فكل دين لا بد وان يعطي هامشا للتجربة البشرية كي تجيب على كثير من الاسئلة.. ولكننا نقصد انه ليس من المنطقي ان يطرح الدين سؤالا او يطرح عليه سؤال فيجيب ب"لا ادري".. والا فما الفرق بينه وبين الفلسفة؟ ان الفلسفات هي التي تقدم اسئلة لا جواب عليها وتترك للناس وللفكر البشري التطوع بتقديم الاجوبة غير المؤكدة عليها.

7- يستحيل على الدين ان يكون متناقضا

بما ان الدين يقدم نفسه على انه حقيق مطلقة فيستحيل على هذه الحقيقة ان تتناقض مع نفسها.. طبعا والحديث عن التناقض ليس بالشيء السهل .. فليس كل ما يعجز العقل البشري عن تخيله يعد متناقضا.. فكم من الامور اعمق من ان يستوعبها ويحيط بها العقل البشري ولكنه يتقبلها على اساس انها ممكنة.

8- الدين يجب ان يحث على الانسلاخ عن العقائد المتوارثة البالية

ينشأ أي فرد منا من ضمن منظومة اجتماعية متماسكة تقوم على تلقينه اصولا معينة على انها بديهية وغير قابلة للنقاش وتمثل مبادئا عليا.. فعلى الدين ان يرفض هذه العقلية في التعامل مع البشر فكل دين يجب ان يحمل ثورة على العقائد البالية وان يكون حاسما في تعامله مع الشر ومع انحرافات المجتمع لا ان يكون مهادنا لها او راضيا ان يشغل زاوية معينة فقط تخصص له.

9- يجب ان يقدم الدين تفسيرا مقنعا للكون والتاريخ ولبقية الاديان

من اجل الوصول الى الحقيقة ينبغي قدح زناد الفكر واقامة المقارنات بين العقائد المتنافرة.. فالحقيقة لا نصل اليها بسهولة بل هي في اغلب الاحيان نتاج لتصادم فكرتين متناقضتين نخرج منهما بخلاصة اكثر تماسكا تشكل مع فكرة مضادة احرى اساسا لخلاصة اخرى اكثر عمقا وتماسكا.. وهكذا دواليك.. وبالتالي ففي كثير من الاحيان يبدو لنا الدين الذي نعتنقه منطقيا الى ان نسمع بدين آخر او ايدولوجية اخرى اكثر عمقا وتماسكا .. وبالتالي فلا يمكن الاكتفاء بدراسة ديننا فقط بل علينا الاطلاع على سائر الاديان لنرى ان كانت منسجمة مع ديننا، مضادة له او في تكامل معه.. والدين الامثل هو الذي يقدم نفسه بديلا حضاريا عن جميع الاديان، مفسرا او مكملا لها، قادرا على سد ثغراتها ومصححا الانحرافات التي وقعت فيها ان وجدت.

10- الشريعة يجب ان تكون متجانسة واخلاقية ومنسجمة مع نفسها

تحدثنا فيما سبق عن استحالة تناقض الدين والآن نتكلم عن قاعدة شبيهة تطبق خاصة في شرائع الاديان. على الشريعة ان تكون منسجمة مع نفسها بمعنى ان ليس من المنطقي ان تطالبنا بتطبيق قاعدة اخلاقية ما في حقل من حقول الحياة و من ثم تعتمد قاعدة اخلاقية مضادة بمائة وثمانين درجة في حقل آخر.. نعم هذا لا يعد تناقضا عقليا ربما ولكنه دليل ركاكة و ضعف فالدين المتماسك يشد بعضه بعضا وتؤازر قواعده بعضها البعض لأي جانب من جوانب الحياة انتمت هذه القواعد.

11- الشريعة يجب ان تبنى على اساسيات ثابتة وفرعيات متحركة

يمكن ان نقسم قوانين الشريعة (وهنا نقصد بالشريعة القوانين وليس العبادات التي تعتبر في كثير من الاحيان جزءا من الشريعة) الى ثلاثة اقسام:

1- جزء عام لا يتغير عبر الزمن ابدا حتى مع اختلاف الرسالات مثل حرمة القتل والسرقة والغش.

2- جزء عام من ثوابت الشريعة وهو ما كان حلا لمشكلة معينة متعلقة بطبيعة الانسان اذ ان خصائص البشر ونفسياتهم لا تتغير مع الزمن (مثل عقوبة القتل او السرقة).. نعم قد تتغير هذه الحلول من رسالة الى اخرى (من نفس الدين) لعدم اكتمال نضوج المجتمع البشري ولكن تتغير على يد قادة هذه الرسالات وليس على يد آليات معينة موجودة في الشريعة.

3- جزء متغير يناسب تغير المجتمع وتطوره الحضاري كايجاد حلول منطقية لمسائل مستجدة مثل طفل الانبوب ووهب الاعضاء والملكية الفكرية... وهذا لا مانع من وجود آليات معينة في الشريعة (الاجتهاد) يستبط حلولا مستقاة من روح النصوص الثابتة.

12- الشريعة يجب ان تكون ايجابية و قابلة للتطبيق (لا تكليف بما لا يطاق)

فمن العبث ان نطلب من الانسان مثاليات تفوق قدرته على التحمل مثل ان نطلب منه عدم الدفاع عن النفس في حال تعرضه للاعتداء. او ان نحرم عليه المشاعر التي لا قدرة له على ردها او التحكم بها.. او نحاسبه على التصرفات اللاارادية واللاشعورية التي تجري في كيانه او نحاسبه على ما يخطر بباله حتى لو لم يكن مقتنعا به او عاملا به.

13- الشريعة يجب ان تعترف بحاجات الانسان الاساسية

ليس مقبولا ان يأمر الدين بتجريم كل وسائل تلبية الحاجات الاساسية التي خلقت مع الانسان سواء كانت جسدية او فكرية او اجتماعية او روحية. نعم نحن نعترف ان الجانب الاساسي الذي يركز عليه الدين هو الجانب الروحي ولكن من غير المنطقي بتاتا ان يعمد الدين الى قمع الحاجات الاجتماعية والفكرية والجسدية للبشر.. نعم ممكن ينظمها ويقننها ولكن لا يقمعها.

بعد هذه المقدمة: هل بامكانكم ان تخمنوا اسم الدين الحق؟ نترك هذا لذهن القارىء اللبيب

8-2- المسؤولية الفردية في الأديان

8-2-1- النصرانية

تقول النصرانية إن الإنسان خاطىء منذ ولادته، لأن أباه آدم قد ارتكب الخطيئة، وأن المسيح عليه السلام صلب حسب زعمهم حتى يكفر عن البشر خطاياهم فهو قد تحمل خطايا البشر. وهذه الفكرة معناها أن الإنسان مسؤول عن أعمال غيره، وغيره

مسؤول عن أعماله، وبين هذا وهذا تضيع المسؤولية الفردية التي يحس بها الإنسان انه مسؤول عن أعماله فقط. صغيرها وكبيرها، وليس مسؤولا عن عمل غيره بتاتا. **ويترتب على الفكرة الأولى ناحيتان خطيرتان:**

الأولى: أن الإنسان غير طاهر القلب والنفس منذ نشأته بسبب وراثته الخطيئة وهذا يؤثر تأثيرا سيئا في نظرته لنفسه من حيث إنه ورث الخطيئة فسيعتمد على غيره في حمل خطاياه عنه .

الثانية: انه ما دام غيره مسؤولا عن ذنوبه فأنه لن يبالي بهذه الذنوب. وعندئذ تملأ الخطيئة الارض، وادرس ما يحدث في كنائس امريكا وبريطانيا وغيرهما بالذات تجد مقدار اللامبالاة في الخطيئة. وهذا اكثر الاديان اتباعا الآن في العالم.

8-2-2- البراهمة والبوذيين

وهؤلاء يؤمنون بعقيدة تناسخ الأرواح، وخلاصة هذه العقيدة أن الروح بعدما تفارق جسدا في هذه الدنيا تنتقل إلى جسد اخر في هذه الدنيا نفسها ولا يكون هذا الجسد الثاني أو القالب الثاني بكلمة أصح إلا متفقا مع الحياة التي قد أعدها الإنسان لنفسه بأعماله وأفكاره وميوله وعواطفه فى حياته الأول. فإن كانت أعماله وأفكاره وميوله وعواطفه سيئة فإن روحه ستتنقل إلى طبقة مبتذلة من طبقات الحيوانات أو النباتات، وأما إن كانت أعماله وأفكاره وميوله وعواطفه صالحة فإن روحه سترتقي إلى طبقة من الطبقات العليا. هذه العقيدة مقتضاها أني أنا الإنسان الحالى، إنسان بهذا الوضع نتيجة لسلوك غيري، وحصيلة لسلسلة طويلة من أعمال مخلوقات تبلى، وهذه المخلوقات السابقة على، هي أنا وأنا بأعمالى الحاضرة سأكون بالتالي نباتا أو حيوانا أو إنسانا. بما ان الانسان لا يتذكر انه كان حالا في شخصية اخرى فليس هناك من حافز مهم للعمل وكأن نتيجة عمله سيتحملها شخص آخر.

8-2-3- اليهود

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، الذي غفر له كل شيء، فما فعلوه من جرائم أو مآس، أو مفاسد، أو مظالم، فإن خصوصيتهم هذه تجعلهم بمنجاة من عذاب الله إلا بشكل بسيط جدا جدا.

8-2-4- الالحاد

اذا اعتبرنا الالحاد دينا من حيث هو عقيدة راسخة في قلب من يعتقد به نجد ان الملحد لا يؤمن بوجود الله او الجزاء والعقاب فيقتصر تفكيره على ما يحقق له مصلحته الشخصية وينحصر خوفه من وازع القانون فإن أمن انه بمنجى من الوقوع تحت يده قام في اكثر الاحيان بكل ما تسول له نفسه واهواءه.

8-2-5- الاسلام

لقد كان الإعلان الذي أعلنه الإسلام هو أن الإنسان لا يتحمل إلا مسؤولية أعماله وحده، فلا يتحمل مسؤولية ذنب جد ولا مسؤولية ذنب أخ وعم، إلا إذا كان له علاقة في الموضوع، وأن الجيل اللاحق لا يتحمل أوزار الجيل السابق، وإنما الإنسان مسؤول عن أعماله وحده صغيرها وكبيرها أمام الله في الاخرة، وأمام شريعة الله في الدنيا فقال القران: "**ولا تزر وازرة وزر أخرى**" **(فاطر : 18).** وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". وخاطب القرآن الناس:"**ليس بأمانيكم ولا أماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به**". فاصبح المسلم يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة. حتى قال قائل المسلمين : "كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام " وأصبح الذي يقدم الإنسان أو يؤخره هو عمل الإنسان حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا". رواه البخاري ومسلم.

8-2-6- الخلاصة:

كما رأينا في عقائد الاديان الموجودة صور من فرار الإنسان من المسؤولية وأثارها خطيرة على الحياة الإنسانية كلها، من حيث انعدام مسؤولية الإنسان فجاء الاسلام ليصحح هذا الموضوع وبنظرته نحو المسؤولية الفردية استقام سلوك الإنسان، وتحرر ضمير الإنسان من التواكل والاعتماد على الاخرين، وبذلك لم يعد الإنسان غير مبال في أمر الخطيئة، واستقلت شخصية الانسان استقلالا تاما، وأصبح الخير مرجوا من الإنسان، وقضي على الخرافة، لتقوم الحقيقة محلها.

8-3- هل الدين مسؤول عن مآسي البشرية؟

8-3-1- مقدمة

أليس الدين مسؤولا عن الحروب والاستبداد والتعصب وكل مصائب البشرية؟ اليس من الافضل ان نتخلى عنه ونعيش اخوة متحابين بسلام ووئام؟ هذا ما يقوله صاحب كتاب "وهم الإله" في محاولة سطحية لاستجلاب عاطفة القارىء متخذا من 11 ايلول دليلا دامغا على ذلك وكأن هذا الحدث الذي لم يسقط فيه اكثر من 3 الاف قتيل هو بداية ونهاية العالم وهو وحده القادر على تفسير ظاهرة الحروب في الدنيا..

8-3-2- من الخطأ وضع كل الاديان في سلة واحدة اسمها "الدين"

إن كنا نريد ان نتكلم بمنهجية علمية فلا يصح ان نضع كل الاديان في سلة واحدة ونحاكمها على هذا الاساس. فهذا يتناقض مع قانون الموضوعية الذي يفرض معالجة كل حالة على حدى خاصة في غياب أي ارتباط فعلي بينها. الاسلام مثلا ينظر الى اخطاء النصرانية بنفس العين الناقدة التي ينظر اليها العلماني فكيف يأتي هذا العلماني ليضع الإسلام والنصرانية في سلة واحدة ويحاكمهما سوية؟ قد يقول قائل ان الاستقراء قاعدة معترف بها علميا بمعنى انه يمكنك ان تكون فكرة عامة مبدأية عن مجموعة مظاهر فرعية. هذا صحيح لكن شرط ان يكون هناك ادنى انسجام بين هذه المظاهر الفرعية. فهل فعلا هناك انسجام بين فلسفة الاسلام وفلسفة النصرانية؟ هل هناك تطابق بين روحية الاسلام وروحية النصرانية؟ وهل يرضى الملحد ان نخترع مصطلحا جديدا اسمه "كذا" ونضع النصرانية والالحاد تحته ونحكم على الملحد بجريرة ما فعل هؤلاء حتى لو فعلوا ذلك تحت مبدأ لا يقره هو. ومن هذا الباب نحن نرفض الحكم العام على مسمى الدين. من اراد ان يحاكم الاسلام فليحاكمه على مبادئه هو لا على تصرفات الاديان الاخرى التي لا تلزمنا بشيء.

كنا قد بينا اثناء مناقشة موضوع النصرانية مدى الإختلاف الكبير بين كل من الاسلام والنصرانية في قضايا العقل والعلم والنظرة الى الجسد.. فهل يصح بعد هذا كله ان يقال ان الدين حارب العلم؟؟ او ان الدين يحارب العقل او ان الدين يضطهد المراة او ان الدين يحث على الحروب؟ الا يجب تحديد عن اي دين نتكلم؟

8-3-3- أكبر المجازر كانت من اطراف ملحدة وعلمانية

هل حقا الاديان هي سبب الحروب على الارض؟ وما علاقة الدين بحروب الاستعمار؟ بحرب امريكا الاهلية؟ بحرب كوريا وفيتنام؟ بالحربين العالميتين؟ وتحت مسمى أي دين هجر واعدم كل من ستالين وماوتسي تونغ وهتلر ملايين المواطنين في بلادهم؟ وهل يقارن ثلاثة الاف قتيل سقطوا في احداث 11 ايلول بخمسين مليون قتيل سقطوا في الحرب العالمية الثانية بين دول تنتمي لنفس الدين؟؟؟

8-3-4- الاديان اقنعة استغلت لتجييش عواطف الناس

صحيح اننا قلنا اننا غير ملزمين بالدفاع عن بقية الاديان الا ان الموضوعية تفرض علينا ان نقول انه حتى في حالة النصرانية التي نعتبرها دينا زائفا فنحن لا نستطيع ان نحمل عقيدتها اصر الحروب التي شنت باسمها لسبب بسيط وهي انها في مبدأها تدعو للسلام ولكن بعض المتنفذين والمنتفعين الذين ارادوا الوصول للسلطة والنفوذ استغلوها وحرفوها عن مسارها ليجيشوا الناس عاطفيا... ان النفوذ والهيمنة وسيطرة المصالح النفعية والاقتصادية على العقول والبحث عن اسواق تصريف للانتاج هي السبب الرئيسي للحروب... حتى الحروب التي شنت لاهداف دينية كالحروب الصليبية كان هدفها تجاريا توسعيا.. وبالتالي حتى لو كانت كانت الاديان قد لعبت دورا فهو لم يكن اكثر من مجرد ذريعة لتجييش العواطف تماما كالدور الذي لعبته القوميات والاثنيات والالوان...

8-3-5- ادلة على استقلال الصراعات الطائفية عن مفهوم للتدين

1- الصراعات الطائفية قد تكون ضمن الدين نفسه

كما في حال السنة والشيعة.. البروتستانت والكاثوليك.. ولو كان الاساس دينيا محضا لكان الاولى ان تقوم هذه الحروب مع الاديان الاخرى حيث ان الخلافات بينها اعمق واشمل..

2- الصراعات الطائفية قد تقوم من قبل اناس علمانيين يتزعمون الطائفة

- صحيح ان الحرب الاهلية في لبنان قامت بين المسلمين والنصارى ولكن لم يكن الدين اساسا فيها فالطرفان المتحاربان كانوا بمجملهم علمانيين ولا يطبقون شعائر الدين. ثم ان هذه الحرب تحولت فيما بعد لتصبح ضمن الطوائف نفسها فشهدنا صراعات شيعية شيعية وصراعات مارونية-مارونية..
- وها نحن نشهد نفس السيناريو في العراق حيث يختلط الحابل بالنابل.. فما بدأ مقاومة ضد المحتل تحول لحرب اهلية بين الطوائف وفي مرحلة لاحقة بين احزاب من الطائفة نفسها..
- الحركة الصهيونية حركة علمانية لا يشكل فيها المتدينون الا اقلية.. وهي لا يهمها من الدين اليهودي الا عقيدة الشعب المختار ونقاوة الدم الارزق..

3- الصراعات الطائفية قد تقوم على اساس عرقي بحت

- كما في حال صراع الاكراد مع السنة في العراق حول كركوك.. فلو كانت الحرب دينية لوجب انحياز الاكراد للسنة لكونهم سنة مثلهم ولكن الذي حصل هو العكس فقد انحاز هؤلاء للشيعة.. (ونحن لسنا في هذا المقام في صدد لوم اي طرف بل تقرير الوقائع)
- كذلك الصراع في افغانستان بعد تحريرها من السوفيات جرى على اساس عرقي: بشتون وهزارة وطاجيك واوزبك..
- حرب الهوتو والتوتسي في رواندا حرب عرقية بحتة اودت بمليون قتيل ...

8-3-6- الاسلام والحرب

رسالة الاسلام: دعوة وجهاد..

يقول القرآن الكريم في حق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم " **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**" لم ينزل الاسلام ليقيم حروبا ولا ليكسب اراض جديدة بل جاء ليخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد. جاء ليحرر الناس من الطواغيت والظلم والاستبداد وليعمر الارض ويستخلف الانسان فيها. ولكن كأي نظام آخر اوجد الاسلام آليات للدفاع عن نفسه وعن الدعوة فليس منطقيا ان تترك العقائد الهدامة تسرح وتمرح ويحرم دين الله على الارض من امتلاك آلية للدفاع عن نفسه وردع المعتدين.

لا يحاكم الاسلام وفقا لتصرفات بقية الاديان ولا حتى تصرفات المسلمين

لا يلزمنا ان ندافع عن سائر الاديان فكما بينا الاسلام لا يحاسب بجريرة ما اقترفه غيره ولا تعنينا كذلك الممارسات الخاطئة للاسلام فالدين لا يحاسب وفقا لتصرفات افراده بل وفقا لمبادئه.

الاسلام يحارب الغلو والتطرف

هذا وان الدعاة المسلمين لم يتقاعسوا امام ما يرتكب احيانا من تطرف وتكفير وقتل للنفس المعصومة بغير حق بل ادوا واجبهم كاملا في بيان خطأ هذه التصرفات ومناقشة من يحلها بالادلة الشرعية ولكن يبقى ان بعض هذه الفرق لا يعرف الا السيف ولا يريد ان يسمع او يحاور.. وهؤلاء يعاني منهم المسلمون كما يعاني منهم غيرهم لكون الهجمات الانتحارية تجري عادة في اراض اسلامية.. هذا ولا يجب ان ننسى ان التطرف موجود في كل الاديان وليس فقط في الاسلام وان كان التشدد الاسلامي اوضح للعيان فذلك مرده الى ما يلحق المسلمين من اضطهاد شديد وظلم وتكالب الامم ضدهم وهي عوامل مشجعة لنمو التطرف.

الحقائق لا تنقض بنتائج انما بأدلة

فإن كنا نعتبر الاسلام حقيقة فلا يسع الملحد ان ينكره لمجرد انه رأى جرائم ترتكب بأسمه.. او لمجرد انه اعتبره مسؤولا ولو بشكل غير مباشر عن الحروب والتعصب.. بل عليه ان يجلب دليلا عقليا او حسيا على بطلانه..

الشر موجود في الدنيا

الظلم موجود في الدنيا والتدافع بين الحق والباطل موجود ويستحيل ان يأتي يوم لا حروب فيه مهما تطورت البشرية فالذي يتطور هو التقنيات والاساليب ولكن طمع الانسان وعنجهيته ستظل مسيطرة وكامنة فيه تبحث عن اي سبب او ذريعة كي تتفجر فاحيانا يستغل الدين واحيانا العرقية واحيانا اخرى الوطنية ولكن في النهاية كلها مجرد ذرائع..

الاسلام لم يعد الناس بجنة ارضية

مع ان الاسلام اعتنى كثيرا بالدنيا ووضع لها انظمة تخفف المعاناة عن كل البشر وليس فقط المسلمين الا انه في النهاية لم يدعي انه جاء ليقيم جنة ارضية فالدنيا دار بلاء وامتحان.. والمهم ان يخرج منها الانسان ناجحا ليفوز بالجنة.. حينما يمتلك الانسان هذه العقلية يستطيع ان يفهم اكثر لم لا يشكل موضوع السلام والوئام وانهاء الحروب هاجسا عند المسلمين.. فالاسلام اكبر من ان يتوقف عند 11 ايلول او عند دنيا فانية.. واكبر من ان يظن ان الموت–الذي سيلاقينا مهما فررنا منه– هو نهاية كل شيء..

8-3-7- الخلاصة

وننطلق من حيث بدأنا – اي من حادثة 11 ايلول– فنقول انه حتى في هذه الحادثة لا ينبغي تحميل الدين مسؤوليتها فهي مجرد ردة فعل على ما قامت به الادارة الامريكية من حروب ضد المسلمين في العراق وفلسطين.. والا لم لم تضرب الطائرات الفاتيكان او النروج او السويد؟؟ ومن هنا فالخلاصة سهلة ان الالحاد والتخلي عن الدين لا يشكل ضمانة ابدا لانهاء الحروب فمعظم الحروب لم تشن باسم الدين.. وما شن منها بأسم الدين كان يتوسل به كذريعة والمجرمون بالتالي قادرون ان يبحثوا عن ذريعة اخرى حتى في حال غياب الدين عن الساحة.

8-4- هل الدين افيون الشعوب؟

8-4-1- مقدمة

بينا في الفصل السابق ان من اسوأ التشوهات العقلية عند الملحدين والتي تدل على سطحيتهم في التفكير هي وضعهم كل الاديان في سلة واحدة ومحاكمتها وكأنها شي واحد متناسين ان اعظم الخلافات كانت بين الاديان نفسها فكيف توضع في نفس قفص الإتهام؟ وكيف يحاسب دين على جريرة ما اقترفه غيره..

8-4-2- اشهر المخدرات

يقول احد الادباء: الدين لا ينفع كوزاع اخلاقي فالانسان الجيد سيقوم باعمال جيدة والانسان السيء سيقوم باشياء سيئة ولكن كي يقوم الانسان الجيد بامور سيئة فهذا يحتاج للدين. وهذا كلام صحيح الى حد ما بجزئه الثاني فمعتنق العقائد الفاسدة اسوأ حالا بكثير من الضال الشاك التائه فهذا يحتاج الى توعية فحسب اما ذاك فيحتاج الى جهد كبير لتنظيف دماغه مما ترسخ فيه من ادران هذه العقائد المزيفة. فلنلق نظرة على بعض اشهر مخدرات الزمان.

8-4-3- اليهودية وعقيدة الشعب المختار

يفاجيء قارىء التوراة او العهد القديم ان اليهود على رغم كذبهم ودجلهم وتحريفهم لتوراة موسى عليه السلام الا انهم ابقوا فيها مآثرهم الناصعة بالخيانة والكذب والنفاق والجبن والدجل وحتى الكفر بل ان بعض ما ورد بحقهم في التوراة المنحولة لهو اقسى مما ذكره القرآن الكريم بحقهم ومع ذلك فهم يعتبرون انفسهم شعب الله المختار. كيف؟ ولماذا يكونون مختارين ومفضلين؟ سؤال لا نملك اجابته.. المهم ان اليهودي عنصري الى ابعد الحدود ومقتنع انه حبيب الله مهما فعل من ذنوب وآثام لا بل حتى اذا كفر به فلن يتخلى الله عنه وهذا ما سجله القرآن الكريم ورد عليه "**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير**".. انك ان جئت لتخبر شخصا ان ابا يميز بين ابناءه في المعاملة لقلت عنه ظالم فكيف ان كان هذا الاب يختار أسوأ اولاده سريرة ليصطفيهم على الناس؟ ولله المثل الاعلى فكيف نقتنع بالعدل الذي وصف ذاته العلية به اذا فضل من يكفر به على من يؤمن به لمجرد انه من نسل نبي الله يعقوب عليه السلام؟ وهل بعد هذا من نقاش في كون اليهودية افيون تخدر عقل معتنقها وتشوه طريقة تفكيره و تصده عن العمل الصالح؟؟

8-4-4- النصرانية المتسامحة

فصلت النصرانية المتسامحة بين الدين والدنيا واعطت كل ما لقيصر لقيصر وما لله لله.. وهذا فصل ما انزل الله به من سلطان.. وفي القرآن " **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**" ليس هذا فحسب ولكن قيصر مد سلطانه واصبح يأخذ ما لإلههم ولم يترك له الا كنيسة مهجورة تزار يوما في الاسبوع في تصرف شبيه بمشركي الجاهلية ولا عجب فملة الكفر واحدة "**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون**" وخدرت هذه النصرانية الطوباوية الناس بمثل مجنحة لا تطبق على ارض الواقع وحللت الزنا والشذوذ ولم يبق من شعار مميز لها الا تحريم الإجهاض. وطبعا لا ضرورة ان تتعب نفسك ايها الانسان "فيسوع" يحمل عنك خطاياك وفدى نفسه من اجلك فانت يكفيك ان تؤمن به فقط وتعمل ما شئت من معاص وآثام يتحملها هو عنك.. فهل بعد هذا من افيون؟؟

8-4-5- النصرانية المتشددة

على ان النصرانية لم تكن دوما هكذا بل كان لها عصر ذهبي في العصور الوسطى مارست فيه اقصى انواع الاجرام والمجازر سواء ابان الحملات الصليبية ضد الشرق المسلم او اثناء محاكم التفتيش في الاندلس الضائعة. ولم تسكن هذا العدوانية الا حينما ارتد كيدهم في نحرهم وحينما نال اهل اوروبا الظلم والاضطهاد من قبل الاقطاعيين المتحالفين مع الاكليروس فاندلعت الثورات مطالبة باقصاء الدين عن الحياة تحت شعار "اشنقوا اخر ملك بامعاء آخر قسيس" وبذا انتهت حقبة صكوك الغفران البابوية التي يمنح فيها الجنة لمن يدفع اكثر وحقبة حرق العلماء على خلفية اتهامهم بالسحر والشعوذة... على انه لا يفوتنا ان نسجل ان هذه النصرانية الوحشية عادت لتطل رأسها من جديد على يد المحافظين الجدد في اميركا امثال سيء الذكر بوش وهم من يطلق عليهم بالصهاينة المسيحيين الذين يؤمنون ان عودة المسيح لن تكون الا بقيام دولة اسرائيل وبمعركة كبيرة تفني ثلثي سكان العالم (معركة هرمجدون). فلا ريب ان هذه العقيدة هي افيون آخر يخدر الشعوب ويجعلها مطية وسلعة لرجال ومؤسسات يستغلون الدين لمصالحهم الشخصية.

8-4-6- فرق الاسلام المنحرفة

لم يكن الاسلام يوما دين تخدير بل دين ثورة وتحرير للناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد. نعم وجدت فرق كثيرة مثل المرجئة والقدرية والجبرية والمشبهة والاحمدية والقاديانية والمعتزلة والخوارج حرفت الاسلام عن معانيه السامية وحولته الى افيون يخدر الامة ولكن تمايزها عن الاسلام الحقيقي كان دوما واضحا لكل ذي بصيرة .

- مخدر من يظن ان المسلم ينجو يقينا من النار لمجرد ايمانه النظري الخالي من التطبيق والتصديق فليست العبرة بالاماني والمسميات. ومن يقول هذا هو اشبه بالنصارى واليهود حين قالوا " **نحن أبناء الله وأحباؤه** " في حين ان رب العالمين يقول:" **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا**"
- مخدر من يظن ان العقيدة الحقة هي الجدال في الغيبيات وترك العمل وهو اشبه بنصارى القسطنطينية حين انشغلوا بالخلاف حول جنس الملائكة في وقت كان محمد الفاتح يدك اسوارها.
- مخدر من يعتمد التواكل بدلا من التوكل وشابه بذلك طاويي الصين حين رضوا ثقافة الخنوع بحجة قبول الحياة كما هي والتكيف مع امواجها.
- مخدر من يقدس مشايخه ويعصمهم عن الخطأ وهو عندها اشبه بالنصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وكانت عبادتهم لهم هي طاعتهم له فيما يحللون ويحرمون.
- مخدر من اتخذ من اعتمد المنطق التبريري والتمييع للاسلام، والقرآن حافل بذم هؤلاء..
- مخدر من اتخذ من الاسلام طريقة لاستغلال محبة الناس في الدين للكسب المادي او السلطوي فاشترى بآيات الله ثمنا قليلا.

8-4-7- الشيوعية

على ان الماركسيين او الشيوعين لن يهنأوا كثيرا بما نقوله ها هنا فقد خبأنا لهم بشرى غير سارة الا وهي ان الشيوعية هي اكبر افيون عرفته البشرية واكبر كذبة انطلت على الناس لعقود طويلة. لقد ظن ماركس انه "يتشاطر" حين رمى تبعات تخدير الشعوب على الاديان متغافلا ان العقيدة التي اخترعها ونسبت اليه بالشراكة مع لينين ستتحول الى مخدر قاتل. تهرب الشيوعية من تصنيف نفسها كدين كي تلقى رواجا بين الناس ولكن هروبها شبيه بتنصل ابليس من شروره تحت مسميات مختلفة. وها قد بان زيف الشيوعية اليوم للعالم كله وللأسف لا زال بعض الناس من بني جلدتنا مؤمنا بها حتى بعد ان انهارت في اول بلد قامت فيه نعني به الاتحاد السوفياتي. لقد فشلت الشيوعية في محطات عديدة:

- فشلت حينما وصلت الى الحكم بالقوة في حين انها كانت تدعي انها ستصل عن طريق التطور التاريخي الطبيعي للمجتمع.
- فشلت حين وعدت الناس بالعدالة فاذا بها عدالة افيونية لتخدير الناس عن المطالبة بحقوقهم. وابلغ من وصف هذه العدالة المزعومة كان الكاتب الشهير جورج اورويل في كتابه الساخر عن الشيوعية " مزرعة الحيوان" حين قال كل الناس متساوون ولكن بعضهم اكثر مساواة من بعض..
- فشلت حين ارتكبت مجازرا ابان الثورة الثقافية في الصين وابان عهود ترحيل الشعوب القسري في روسيا الستالينية بل فاقت اعداد قتلى هذه الحروب عدد ضحايا الحروب العالمية..
- فشلت حين حولت السلطة الى دكتاتورية بغيضة ونظام شمولي ظالم يمارس عبادة الحاكم وتقديسه وتحنيطه بعد موته واعتبار كل ما يقوله منزلا ومقدسا في تقديس اشبه بتقديس اهل مصر القديمة لفرعون.
- فشلت حين جمعت الالحاد مع الظلم والدكتاتورية والعنصرية وغسيل الادمغة وهل هناك اكثر من تخدير للشعوب حين تقنعهم انهم متساوون وانك جلبت لهم الحرية والمساواة وتبقى هذه الشعارات البراقة حبرا على ورق وعبارات ببغائية في حين يستولي رجال الحزب على الدولة ومقدراتها وثرواتها؟؟؟

8-4-8- الخلاصة

ويبقى الفارق الاساسي بين الاسلام وبين هذه الاديان المنحرفة ان الاسلام يملك مرجعية للحكم عليه الا وهي القرآن الكريم فهي تلزم من انحرف عن الاسلام الصحيح بالعودة اليه وتكون دليلا واضحا كالشمس على زيف الانحرافات عنه اما بقية الاديان فتنحرف بدون أي آلية للعودة الى اصولها التي اسست عليها (المزيفة في احيان كثيرة). فكيف يشكل ما يسمى بالكتاب المقدس – وهو كتاب كتبه بشر مجهولون– مرجعا للنصارى وهو ينقح في كل ترجمة ولا يعترف به كمرجع موحد ولا تؤخذ أوامره بجدية ملزمة كما يلزمنا القرآن الكريم بخطابه لنا؟؟

8-5- هل يحظر الاسلام التفكر والاسئلة؟

هل الاسلام يحث على السؤال ام يدعونا للتوقف عند ما نتعلمه؟

8-5-1- الاسئلة المندوبة

1- الاسئلة التي تزيد القناعة واليقين.

هذا إبراهيم، عليه السلام، يدعو ربه:"..**ربّ أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن ؟! قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي..**" (البقرة:260) وهذا موسى، عليه السلام، يرجو ربه:"**ربّ أرني أنظر إليك**" ولكن أنّى لبشر أن يطيق ذلك في قانون الدنيا. ومن هنا لا بد من تقريب هذه الحقيقة إلى موسى، عليه السّلام، ليقتنع ويطمئنّ قلبه: "..**قال لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**" (الأعراف: 143)، فالاستسلام الحقيقي هو استسلام العارفين، والانقياد الجوهري هو انقياد المقتنعين، ولا فلاح لمنهج ولا فكرة لا تقيم بناءها على أساس من المعرفة والاقتناع.

2- معرفة الحكمة من الامور والتخلص من قيود التبعية العمياء

يحتاج الناس إلى البرهان، وإلى معرفة الحكمة من وراء التشريع، حتى في الشعائر التعبديّة. أمّا قول العلماء إنّ العبادات لا تعلل، فإنها قضية أخرى لا علاقة لها بالحكمة. وحتى عندما يعجز العقل البشري عن إدراك الحكمة فإنّه بالإمكان تقديم الدليل على هذا العجز، وعندها تتحقق القناعة المطلوبة، كما حصل عندما طلب موسى، عليه السلام، أن يرى الله تعالى. إذا كنّا بحاجة دائمة إلى استجلاء الحكمة من وراء النص الديني، وإذا كانت الملائكة قد تساءلت عن الحكمة:" **أتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ويسفك الدماء**"، فماذا يمكن أن نقول في أولئك الذين يريدون أن يجعلوا من الشعوب أغناماً تُقاد، وماذا نقول في الديكتاتوريّات التي ابتليت بها الأمّة فكانت صوراً مكررة لفرعون وهو يقول:" ما أريكم إلا ما أرى"؟!

8-5-2- الاسئلة المحظورة

1- السؤال فيما لم يفصله الله (خاصة في عهد النبوة)

"يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم .عفا الله عنها والله غفور حليم . لقد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين"

هناك أمور تركها الله مجملة أو مجهلة; ولا ضير على الناس في تركها هكذا كما أرادها الله . فقد رأينا في سورة البقرة كيف أن بني إسرائيل حينما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة , بلا شروط ولا قيود , كانت تجزيهم فيها بقرة أية بقرة . . أخذوا يسألون عن أوصافها ويدققون في تفصيلات هذه الأوصاف . وفي كل مرة كان يشدد عليهم . ولو تركوا السؤال ليسروا على أنفسهم . وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ذروني ما تركتكم . فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم , واختلافهم على أنبيائهم ". وفي الصحيح أيضا:" إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها , وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم - غير نسيان - فلا تسألوا عنها "

2- السؤال في الغيب المجرد

كذلك على الناس ان يتركوا كشف هذا الغيب أو ستره . وأن يقفوا هم في هذه الأمور عند الحدود التي أرادها العليم الخبير .. إن المعرفة في الإسلام إنما تطلب لمواجهة حاجة واقعة وفي حدود هذه الحاجة الواقعة . . فالغيب وماوراءه تصان الطاقة البشرية أن تنفق في استجلائه وحسب القلب البشري أن يؤمن بهذا الغيب كما وصفه العليم به . ومن هذه الاسئلة سؤال: ماذا يحل بالملكين المكلفين بمراقبة الانسان بعد مماته؟

3- السؤال فيما لا ينفع

سئل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صفين، فقال: تلك دماء كف الله عنها يدي، فلا أحب أن يلطخ بها لساني!

4- السؤال فيما لم يكن

عن ابن عمر قال : لا تسألوا عما لم يكن فإني سمعت عمر ينهى أن يسأل عما لم يكن . وروى أيضا بإسناد حسن عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوا إلا عن ثلاثة عشر مسألة حتى قبض , كلهن في القرآن وما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم

5- ما يقصد به فتنة الناس او ما فوق طاقتهم

مثل الأسئلة التي يريد بها أصحابها المراء والجدل، أو التعالم والتفاصح، أو امتحان المفتي وتعجيزه، أو الخوض فيما لا يحسنونه، أو إثارة الأحقاد والفتن بين الناس، أو نحو ذلك، لأنها تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبني، وتفرق ولا تجمع.

8-6- هل الشريعة الاسلامية جامدة؟

8-6-1- مقدمة

كثير من ضعفاء الايمان يسألون: كيف تريدوننا ان نعيش بشريعة انزلت من 1400 عام؟ قبل أن نجيب على السؤال.. دعونا نلقي نظرة على الطبيعة الانسانية.

8-6-2- ليس التحضر سوى قشرة ، والطبيعة البدائية دائماً في الأعماق

يختلف الإنسان المتحضر عن الإنسان البدائي بذلك القدر الهائل من المعرفة والعادات التي اكتسبها ، غير أن الإنسان الطبيعي ما يزال يرقد تحت تلك الطباع المكتسبة ، ولم يصبه تغيير من الناحية العلمية . إن الخصال المكتسبة أبعد من أن تلقَّح ، أو أن تنقل نفسها بالوراثة كما يظن بعض الناس عادة ... إن الطبيعة البدائية وإن تبدت خامدة مكبوتة ــ تبقى في أعماق الشعور .... إنها تظل تنبض بالحياة في أرقى المجتمعات حضارة[1] . هذه البدائية الكامنة تظل مستعدة للوثوب والطفو على السطح في الوقت الذي تجد فيه الفرصة المواتية ، والفرصة المناسبة تتمثل في ضعف القيم وخلخلة النظام وانتشار الظلم ، والعدوان على المجال الحيوي للفرد أو الجماعة وفي حالات القصور الاجتماعي ، وحالات الرفاه الزائد والمعيشة السهلة ... وإن شئت أن تقول : في حالات التراخي في الكفاح من أجل الوجود .

ما نشاهده اليوم من تصرفات (الصرب) مواطني يوغسلافيا السابقة شاهد حي على ما نقول ، والفظائع التي جرت في (رواندا) دليل ملموس على أن تورط الإنسان في الوحشية ونكوصه إلى أخلاق الغابة شيء في متناول يده بصورة دائمة! هذا كله يعني أن الخيار الوحيد أمام الأمة حتى تحافظ على مكتسباتها المادية والمدنية هو أن تعطي للصحة الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية الأولوية العليا ، وأن تشجع كل الافكار والمبادرات التي بإمكانها أن تؤدي إلى نوع من التقدم في هذه الأصعدة . علينا أن نشجع كل أولئك الذين تجاوزوا همومهم الشخصية لينشغلوا بهموم الآخرين ، وان نضع الجوائز والحوافز، وأن نسمي الشوارع بأسماء أولئك الذين يقدمون أفكاراً أصيلة تساعد الأمة على النهوض من كبوتها ، كما أن علينا أن نحجِّم أولئك الجهلة وذوي الأطماع الذين يتعيَّشون على مصائب الأمة ، ويترعرعون في المال الحرام ، كما تترعرع الجرذان في مياه المجاري!! .

8-6-3- الشريعة فيها الثابت وفيها المرن

يقول المستشرقون: أن الشريعة الإسلامية تتسم في مجموعها بالجمود، وهو يتعارض وحاجات المجتمع، لتطوره الدائم ، إلى شريعة متطورة. وهذا كلام لا يقوم على أي دعامة من المنطق أو ميزان من العلم، اذ قد ثبت أن تعلق هؤلاء الناس بالجديد وانكماشهم عن القديم، إنما هو استجابة لوهم من الأوهام النفسية فقط. إذ من المعلوم أن النفس البشرية تتعلق بالجديد أيا كان نوعه ظنا منها بأنه لا يزال يحتفظ بذخره ومكنون خيراته، وتعاف القديم مهما كان نوعه أيضا، لتبرمها به وتوهمها بان الزمن قد استجلب خيراته وقضى على فوائده وأن العقل البشري لا بد أن يكون قد تجاوز إلى ما هو أجدى وأنفع . . ونحن، لو أسلمنا نفوسنا إلى أوهامها وطبيعتها بمنأى عن ضوابط العلم وقواعد العقل، لانجرفنا مع التيار ذاته، ولسعينا وراء كل جديد أيا كانت حقيقته وأضراره، وفررنا من كل قديم مهما كانت فضائله. ولكن لو امعنا النظر لرأينا ان الكون يتألف من محاور ثابتة، لا تتبدل ولا تتغير، ومن مظاهر أو نسج متبدلة متطورة، فلا بد بالتالي أن يقابل الثابت من حقائق الكون بثابت من النظم والمبادىء وأن يقابل المتطور منه بمتطور من تلك النظم نفسها. ولا ريب أن الشريعة الإسلامية (وهي من وضع خالق الكون ذاته) وافية بهذا الذى يقرره العقل الإنساني أتم الوفاء. ففيها أحكام ومبادىء ثابتة لأنها ذات صلة مباشرة بمحاور كونية ثابتة لا تتبدل. وفيها أحكام وفروع كثيرة هي عرضة للتطور والتغيير لأنها منوطة بنسج وقائع كونية متطورة.

فحرمة الربا إنما كانت حكما مستمرا ثابتا لا يتغير ، لأنها مرتبطة بواقع كوني هو الآخر لا يتغير، وهو أن القيمة ظل تابع للمنفعة الإنسانية، فما ينبغي أن تنمو القيمة أو تتسامى في جوهرها إلا حيث تنمو المنفعة و تزداد أهميتها. ومهما تطورت الدنيا فإن هذه الحقيقة لا تتطور.

وأحكام الشريعة الإسلامية كلها، لا تخرج عن الانتماء إلى أحد هذين المثالين: ثابت لا يتبدل، لأنه مرتبط بنظيره من وقائع الكون وسنن الحياة الآلهية أو معرض للتطوير والتغيير، لأنه مرتبط بما لا استقرار له من شؤون الكون والحياة. وإننا لنلاحظ هذه الحقيقة عندما نتأمل في مصادر الشريعة الإسلامية الأصلية منها والتبعية فإن معظمها منفتح على تطورات الكون والحياة والتأثر بها والدوران معها. فالحكم القياسي يذهب ويأتي حسب مصير علته. والأحكام المترتبة على قاعدة الاستصلاح أو دليل الاستحسان أو مبدأ سد الذرائع أو ما يقضي به العرف – كلها عرضة للتبدل والتطور حسب تبدل مناطاتها ومحاورها المرتبطة بها.

---

[1] ـ مختصر دراسة التاريخ 3 : 192 .

8-6- هل ظلم الاسلام المراة؟

8-7-1- مقدمة

في الجاهلية كان العرب يحتقرون النساء إلى الحد الذي كانوا يعمدون فيه إلى وأد بعض بناتهم خوفا من العار، قال تبارك وتعالى: **{ وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت }** التكوير. وكانوا يعتبرون البنات عيبا ومنقصة، قال الحق تعالى: **{ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون }** [النحل: 58،59]، هذا في بلاد العرب اختصارا ... أما عند الأمم الأخرى فالأمر يتراوح بين طقوس تحتم عليها أن تحرق إذا مات زوجها، كما عند الهندوس، إلى اعتبارها مكان الرجل كما في بلاد آسيا قديما؛ فهي التي تتولى الحروب هناك، وإلى بلاد أخرى لا تعتبرها ذات روح . حتى في هذا الزمان وفي ظل الحضارة الغربية المادية حيث تعتبر رسميا مساوية للرجل، تمارس عملية احتقار المراة عبر استخدامها في الدعايات وقضاء الشهوات العابرة ومساواتها مع الرجل جسما وهو مخالف لتكوينها الجسمي؛ والادعاء بأنها قادرة على تحمّل المشاق وكل هذا على حساب مهمتها الأصلية الموافقة لفطرتها؛ من تربية الأطفال والمحافظة على البيت .. فالنتيجة هدم البيت وضاعت المرأة والرجل، وهدمت الأسرة. وأصبح الإنسان الذي عبد المادة الناتجة من الآلة الصناعية كالآلة تماما: لا مشاعر إنسانية ولا صفات بشرية. وجاء الاسلام وكرم المراة واعطاها حقوقا كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا اما الامور التي فيها شبهة الظلم فممكن تفهم بشكل عام على ضوء القواعد التالية.

8-7-2- الله ليس بظلام للعبيد.

الظلم لا يتصور من الله لأنه رب العالمين ومالك كل الكون ومن يملك الشيء حر بالتصرف فيه. فالمفروض ان نتقبل احكام الله فينا ولو لم تناسب هوانا. وقد افضنا في شرح هذه الفكرة سابقا.

8-7-3- الاسلام يفهم نفسية المراة

وان كان اكثر الرجال عنده كبرياء فطرية قد تصعب عليه فكرة التسليم بما لا تهوى نفسه فإن النساء في العادة يتقبلن شعورهن بالضعف وحاجتهن للحماية اكثر من الرجال. لذلك نرى ان نسبة الايمان والتسليم عند النساء اكثر منها عند الرجال.. فكيف يكون هذا لو كان الاسلام قد ظلم المراة حقا؟ صحيح ان كثيرا من النساء المسلمات قد لا يلتزمن بكل تعاليم الدين ولكن هذا ناتج عن الضعف البشري اكثر مما هو رد لاحكام الله او الاعتراض عليها..

8-7-4- مساواة مطلقة أمام الله.

حينما نتكلم عن الإسلام فلنتذكر ان رب العالمين يقول "**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**" لذا فاهتمام الاسلام ينصب على توحيد الله ويوم الحساب اما الدنيا فهي دار امتحان لا تستحق ان تنال أهمية الا بالقدر الذي تنفعنا به لدخول الجنة. فإذا كان العمل الصالح هو المقياس الأساسي.. فما يهمني ان فضل الله بعض خلقه على بعض بإمتيازات وحقوق دنيوية. يقول رب العالمين: " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من <u>ذكر وأنثى</u> وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا <u>إن أكرمكم عند الله أتقاكم</u> إن الله عليم خبير**". وهذه الآية تكرس المساواة المطلقة امام الله بين الجنسين. ومن هنا فان كثير من رجال المسلمين يتمنون ان يكون لهم عشر مرتبة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة.. فكيف ندعي ان الإسلام فضل الرجل على المرأة مطلقا ونعمم هذا الامر؟؟؟

8-7-5- العدل لا يعني المساواة: مراعاة الاسلام للفروق بين الجنسين.

لنتذكر قاعدة مهمة الا وهي ان المساواة بين غير المتماثلين هو ظلم. فكيف تريد المرأة ان تتساوى مع الرجل وهي مختلفة عنه في الطبائع الفكرية والنفسية و الجسدية؟؟ أليس هذا هو عين الظلم؟

8-7-6- الغنم بالغرم:

حينما نقول ان الله ميز بعض مخلوقاته عن بعض في أمور الدنيا فهذا لا يكون تفضيلا مطلقا بل هو ابتلاء.. فمع كل غنم هناك غرم.. من ميزه الله ومنحه المال وضع عليه مسؤوليات اكبر وأصبحت لديه هواجس أكثر وفتنة اكبر.. فإذا نظرنا مثلا الى قضية تعدد الزوجات مثلا.. هل القضية فيها متعة جنسية فقط؟ اليس الزواج مسؤولية ايضا؟ الا يتفكرون ولو للحظة لم لا تبلغ

نسبة التعدد اكثر من واحد بالالف مع ان الكثير من الرجال قادرة على التعدد عاطفيا وجسديا؟ ان المسوؤلية التي يحملها هذا الرجل تجاه اربع اسر هي اكبر بكثير من متعة لن ينال منها الا سويعات في الاسبوع (ان كان هدفه الجنس فقط).. متعة ستصبح روتينية مع الوقت.

8-7-6- بعض الأمور تصل بطريقة مشوهة.

من قال ان الإسلام يبيح للرجل ان يفعل ما يشاء قبل الزواج في حين يقيد المرأة؟؟ لا يفرق الإسلام إطلاقا بين عقوبة الرجل والمرأة في الزنا.. ولكنها فروق اجتماعية فحسب.. وحتى الغرب لا زال يفرض نظامه الأخلاقي على المرأة فقط. فشتائم الغرب هي ابن العاهرة.. و ليس ابن العاهر.. حتى الآن يعتبر الرجل الذي يقوم بعلاقات نسائية كثيرة دون جوان وكازانوفا وجيغولو فيما تعتبر المرأة ساقطة وعاهرة ومومس او في احسن الأحوال سهلة المنال.

8-7-7- الخلاصة:

ان موضوع ظلم المرأة قد يكون بابا للنقاش ولكنه ليس دليلا يستحق ان يجحد وجود الإله لأجله. فأي واحدة تجد في نفسها حرجا من القبول بحكم ما ممكن تختار واحدا من الحلول التالية.

1- تسلم به دون اعتراض.
2- تحاول البحث عن الحكمة بالتفكر او بالحوار.
3- تقول في نفسها لا بد واني فهمته خطأ.
4- تتذكر ان القرآن هو المقدس عند المسلمين وليس تفسير الناس له فقد يكون هذا التفسير ناتجا عن اجتهاد بشري لا يجعل الحكم في مرتبة يقينية.
5- ان كان الحكم فيه إجماع الأمة الإسلامية فلا تستطيع رده لكن ممكن الا تطبقه حتى يقوى إيمانها دون ان تجحد به فالمعصية أسهل من الكفر.

لكن ان يتخذ حكم من هذه الأحكام دليلا على إنكار وجود الله او انكار الدين الاسلامي.. فهذا غير منطقي.

8-8- قصة الاديان

8-8-1- مقدمة

يروي الاستاذ سلام الراسي الخبير في الادب الشعبي ان احد الملوك لما احس باقتراب دنو اجله ارسل الى العلماء في بلاده ليختصروا له ما قالته الاديان عن هدف وجود الانسان في الحياة فجاءوا له بعد ثلاث سنين بعشرة مجلدات، قال لهم الملك : انا كبرت في السن ولم يعد معي الوقت لاقرأ كل هذه المجلدات اذهبوا واختصروا اكثر.. فذهبوا وعادوا بعد سنة بمجلد واحد. لكن الملك كان قد خف بصره في هذه الفترة فكرر طلبه منهم ان يختصروا.. وفي هذه الاثناء سمع احد العامة بما يشغل بال الملك فقال لهم ادخلوني عليه فلما دخل قال له: يا جلالة الملك.. قصة الانسان على وجه الارض بسيطة: مولود، ملحود وبالجنة موعود. وهكذا اختصر هذا الحكيم هدف وجود الانسان بسطر واحد.

8-8-2- الملحد ينفي وجود الله

غير اننا لن ننجح في اختصار قصة الاديان في سطر واحد كما فعل هذا الحكيم انما سنحاول اختصارها في بضعة وريقات. بداية نبدأ مع الإلحاد الذي ينفي وجود الإله مطالبا ايانا بإثبات وجوده.. ويميل معظمنا الى الاعتماد على دليلي العلية والنظام، اما دليل العلية فينص ان كل متغير له علة لوجوده وبالتالي فلا بد والحال كذلك ان يكون للكون خالقا واما النظام فينص ان كل ما في الكون منسق ومنظم على نحو يحيل ان يكون هذا النظام بالصدفة. وعلى رغم قوة هذين الدليلين فهما لا يقنعان الملحد لأننا برأيه ننقل المشكلة الى مستوى اعلى بمعنى اننا نخترع بزعمه فرضية اسمها الله تنطبق عليها نفس الاسئلة التي سألناه عنها.. وهذه الفرضية في رأيه تطرح مسائل جديدة لا نعرف الاجابة عليها نحن ايضا. وهي الاسئلة التقليدية للملحدين عن الله؟ لماذا خلقنا؟ ولماذا يحاسبنا؟ لم خلق الشر؟ لم لا يظهر وجوده بشكل اوضح؟ لم اختلاف الاديان وتشاحنها؟

8-8—3 - وكيف يرد على دليلي العلية والنظام؟

يقول الملحد ان هذه القوانين هي قوانين عقلية جاءت من التجربة.. واننا لا نستطيع تطبيقها على الغيبيات.. فنحن حينما نسأل من صنع الكرسي فذلك لاننا رأينا الكراسي تصنع في المصانع.. ولكننا لم نر يوما الله يخلق شيئا فلا مبرر لتطبيق قانون العلية على شيء غيبي. واذا حشرت الملحد في الزاوية وطلبت منه اجابة او تفسيرا عن خلق الكون فقد يقول لك انها الصدفة او قد يعترف بوجود قوة حكيمة يسميها الطبيعة تسير الامور بهذه الطريقة. بمعنى آخر يعترف بوجود إله ولكن ليس إله الاديان السماوية انما قوة او طاقة كونية..

8-8-4- هل للملحد وجهة نظر فيما يقول؟

من وجهة النظر المنطقية فحجة الملحد واهية.. ولكن من حيث تأثيرها على الناس فهي مهمة وذلك لسبب بسيط يتمثل في كون الناس في العادة لا يثقون بقوة الحجج المنطقية المجردة.. فكثير من الامور قد تبدو منطقية اذا سمعتها ومن ثم يتبين لك بعد فترة انها لا ترقى الى مرتبة اليقين.. مثلا قبل اينشتاين لم يكن احد يتصور ان الزمن ممكن يتمدد ويتقلص وقبل علم الكوانتيك لم يكن احد يتصور ان هناك امكانية لأن يكون الضوء جزيئا و موجة في الآن نفسه.. وقبل علوم الرياضيات الحديثة لم يكن احد يتصور ان مجموع متوالية لا نهائية ممكن يكون منتهيا..

8-8-5- ماذا لو لم يرسل الله الينا الرسل؟

وكي نؤكد على صحة كلامنا فلنتخيل ان الله لم يرسل الينا الرسل.. هل كانت ثقتنا في وجود الله لتكون نفس الثقة الحالية؟ لا اعتقد.. اعتقد ان الشك كان سيداخلنا.. لأننا نثبت وجود شيء غيبي بمنطق عقلي صرف.. والامور المثبتة بالعقل والمنطق فقط دون الحس لا تحمل كبير اهمية حتى لو كانت صحيحة. اذا اخذنا قصة حي بن يقظان مثلا التي كتبها ابن طفيل عن طفل يولد في جزيرة وترضعه الذئبة ثم يكبر ويكتشف وجود الله عبر التأمل العقلي فقط نجد ان فيها بعض المبالغة فالانسان الذي يولد على جزيرة قد لا يفكر كثيرا في سبب وجوده بقدر ما يحرص على البقاء على قيد الحياة.. وفي غياب اي رسالة من الله الينا فإن التفكير في هوية الخالق والمجادلة حوله تصبح ترفا فكريا يمكن الاستغناء عنه من اجل الالتفات الى ما له فائدة مباشرة. طبعا لا يفوتنا ان نوضح ان الحال ليس هكذا بالطبع فالله اعلن عن وجوده وارسل الينا الرسل منذرين ومبشرين فانتقل الامر من دائرة الترف الفكري الى دائرة الهدف الوجودي. فمن يستمع للرسالة ثم يجحدها يخسر الآخرة وبالتالي اصبح للموضوع قيمة كبيرة تؤثر على مستقبل حياتنا ووجودنا.

8-8-6- الملحد لا يناقش ناحية اعلان الله عن ذاته ابدا للاسف

معظم الملحدين كما رأيتم وسترون خلال صفحات هذا الكتاب يكتفون بالنقاش الفكري الجدلي المجرد حينما يتحدثون عن الإله. وكأن القضية بيننا وبينهم هي فقط في هذه الناحية ويتناسون ان الله اعلن عن ذاته وان هذا هو السبب الاول لايمان المؤمنين به. قلة من المؤمنين – ان كنا نريد ان نكون صادقين مع انفسنا– وصلوا للايمان عبر التفكر المجرد بل اغلبنا تلقى الايمان عن اهله وقبل به لأنه متناسب مع فطرته وعقله وترسخ هذا الايمان مع الوقت عبر التفكر والحوار.. فحينما يعلمنا الاهل ان الله موجود وانه ارسل الينا الرسل نقبل هذا الكلام بدون جدال حتى اذا كبرنا وقرأنا خطاب الله الينا تيقنا من ان هذا الكلام لا يصدر الا عن حكيم خبير. والملحد لا يفكر ابدا بهذه الناحية فهو يفصل الامور عن بعضها البعض فيجادل في وجود الله بالطريقة الفكرية المجردة ويجادلنا في قضية النبوة عبر دراسة تاريخية لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم يجادلنا في الكتب السماوية عبر ذكر الشبهات ضد القرآن الكريم .. في حين اننا كمؤمنين لا نفصل بين هذه الامور الثلاثة فهي عندنا مترابطة متحدة.. فالله هو الذي ارسل الرسل وهو الذي انزل الكتب السماوية.

8-8-7- الدليل الاساسي على وجود الله اذن هو القرآن الكريم

الخلاصة التي خرجنا بها هي اننا كمؤمنين نوقن بان الله موجود لانه خاطبنا بالقرآن الكريم الذي يملك علينا تأثيرا لا يجعلنا نشك للحظة بأنه من عند غير الله ولكن كما في حالة اثبات وجود الله حيث اضطررنا ان نجادل في قانون العلية والنظام سنضطر في هذا المقام ان نجادل الملحد بقضية الإعجاز.. فنقول له ان اهم دليل ان هذا القرآن كتاب الله هو ان الله تحدى به البشر ان يأتوا

بسورة من مثله فعجزوا.. وطبعا هذه الحجة قد لا تقنع الملحد الذي لن يفهم اي حكم محايد سنقبل حكمه في موضوع التحدي.. فمن الذي سيحدد ان كانت السورة المنتحلة تماثل السورة الاصلية ام لا؟ يريد الملحد دليلا أوضح من هذا.. لذلك نجد ان الدليل الاقوى الي نثبت به وجود الله هو ان القرآن الكريم لا يمكن ان يكون من كتابة محمد صلى الله عليه وسلم.. وذلك لوجود الموانع التالية:

1- في ذلك نسبة الكذب الى هذا الرجل وهو لم يعرف الا بالامانة.
2- كيف يقوم كاذب بنهضة امة من الصحراء ليصبحوا ارقى امة في العالم.. وخلافا للمغول فان النهضة كانت قائمة على اسس فكرية وليس انتصارات عسكرية فالدول المفتوحة كانت تعتنق الاسلام وتبقى عليه حتى بعد انحسار الفتوحات عنها.
3- كيف لم يعرف اقرب الناس اليه من الصحابة رضي الله عنهم انه يكذب وضحوا بحياتهم من اجل عقيدة كاذبة؟
4- من اي جاء بالاخبار الغيبية في الماضي والمستقبل وهو امي؟
5- يجادل القرآن الكريم المحدين ومعتنقي الاديان الاخرى بحجج منطقية عميقة واحيانا فلسفية لا يمكن ان تخطر على بال رجل امي.

8-8-8- الحس والواقع اكبر برهان على ان القرآن لا يمكن ان يكون من عند غير الله.

قلنا سابقا ان الادلة المنطقية على رغم انها جازمة ويقينية الا انها صعبة على العقول لانها مجردة والانسان يميل في العادة الى تصديق الحس اكثر من العقل المجرد. فمثلا لو جادلت اي شخص منطقيا انه يستحيل وجود بطيخة مكعبة في العالم وجئت بعشرات الادلة المنطقية على ذلك كأن قلت اننا لم نر الا البطيخ المكور وان الطبيعة لا يوجد فيها اشكال مكعبة.. فهذه الأدلة كلها على وجاهتها تسقط في حال جاء احدهم ببطيخة مكعبة لأن الواقع والحس هو اقوى دليل في النهاية. وفي حالتنا فإن نسبة القرآن الكريم الى محمد صلى الله عليه وسلم هو ادعاء يكذبه الحس والواقع كما رأينا سوية بالتفصيل في فصول هذا الكتاب. وبالتالي فصدقية محمد صلى الله علي وسلم في تقديمه نفسه على انه رسول رب العالمين وان الكتاب الذي يتلوه هو كلام الله الذي انزله عليه ليدعو الناس به هي عمدة ادلتنا على وجود الله.

8-8-9- الاسلام يقدم باقة اجوبة متكاملة ومتجانسة على اسئلة الملحدين

رأينا خلال هذا الكتاب ان شبهات الملحدين كثيرة وان اهل الكتاب والعلمانيين قد يستيعينون احيانا بذه الشبهات ضدنا.. ولكن كل هذه الشبهات مهما تنوعت وتشعبت يرد عليها في العادة بجواب واحد حاسم: "**لا يسأل عم يفعل وهم يسألون**".. كل الشبهات في النهاية هدفها اثبات نقص صفة من صفات الكمال لإله المسلمين حتى اذا عجزوا عن ذلك وضعوا صفات كمال معينة في رأسهم مستندين الى هواهم وذوقهم الشخصي وطفقوا يحاسبون رب العالمين على اساس هذا النموذج المتخيل.. فيما كان المسلمون اكثر تواضعا ورضوا ان يحدد الله رب العالمين بنفسه صفات الكمال ولولا انه اخبرهم بها لما عرفوا كثيرا منها وحدهم فالطبيعة الانسانية على ما يبدو تتوقع من الإله جانب الرحمة فقط وكل ما يخص صفات الجمال ولكنها لا تلقي كبير اهتمام لصفات الجلال من غضب وانتقام وجبروت.

8-8-10- المشكلة لم تكن يوما في نوعية اسئلة الملحدين

فحتى الانبياء وهم اقرب البشر الى الله يعجزون ان يعرفوا ما في نفس الله فهذا عيسى عليه السلام يقول: "**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**" حتى الملائكة التي جبلت على الطاعة ("**لا يعصون الله ما امرهم**") تسأل عن الحكمة من خلق البشر فيجيبها رب العالمين انه يعلم مالا يعلمون " **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**".. لهذا نحن لا ندعي ان اسئلة الملحدين عن الله وصفاته هي اسئلة لا ترد الى الذهن او غير ذات قيمة فنحن ايضا نسأل ولكن نسأل لاستشفاف الحكمة لا لنجحد وجود الإله.. فكان الفرق بيننا وبينهم اننا قبلنا صفات الله كما اخبرنا بها واعتبرنا ان الكمال هي هذه الصفات ولله المثل الاعلى الا ترى ان من يحب امراة ما يجعل صفاتها هي مقاييس الجمال وليس العكس فما بالك برب العالمين وهو خالق البشر العظيم الكريم المتعال؟؟ وان كانت بعض صفات رب العالمين او احكامه اصعب من ان يحيط بها عقلنا القاصر فأين المشكلة؟ وكيف يجحد الانسان وجوده لمجرد أن صفاته لم تناسب الهوى الذي

كان في نفسه والذي وسوس به الشيطان له؟؟ وما الضرر من الخوف من الله؟ لم يعتبرها الملحد اهانة؟؟ الا يدرك ان هذا الخوف يحمل مفهوم الاحترام والتبجيل والتقديس.. وليس كالخوف من الوحوش مثلا او من الاشكال المرعبة..

8-8-11- خلاصة الخلاف: شتان ما بين جهلهم وجهلنا

كملخص لهذا الخلاف الشائك خلصنا بنتيجة بسيطة جدا يتفق عليها الطرفان المؤمن والملحد الا وهي ان كلاهما يعترف بجهله بناحية ما: هناك لا ادري كبيرة من جانب الملحد فيما يخص عجزه عن تفسير وجود الكون، خلق الانسان، الحكمة من وجوده، ظاهرة الانبياء في التاريخ، مصير الانسان بعد الموت.. وهي كلها كما ترى اسئلة جوهرية لا يسع المرء الفطن ان يرضى بجهله بها.. وفي المقابل هناك عجز من طرفنا ان نفسر له لماذا شاء الله بعض الامور وهو ما نعبر عنه بعبارة "**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**" .. ذلك اننا في احيان كثيرة نقف مثله عاجزين عن فهم الحكمة من هذه الامور.. وليس هذا موقفنا فقط بل هو موقف الملائكة والانبياء والصديقين الذي يرون في عجزهم عن فهم حكمة المشيئة دليلا على عظمة الله ودليلا على نقص المخلوق وعجزه وضعفه.. وهكذا تكون نفس الامور شبهة يكفر بسببها الكافر ودليلا يزداد به المؤمن ايمانا على عظمة الله.. وهذه عينة من القرآن الكريم توضح هذه المسألة الخلافية

"إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ" (البقرة 26)

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (المدثر 31)

"وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ" {التوبة 124- 125}

8—8—11- وما الخيار اذن؟

عليك اذن ان تختار بين منظومة فكرية متجانسة تملك اجوبة للاسئلة المصيرية وتقدم نفسها على انها الحق الثابت الذي لا يتزعزع وبين ان تختار منظومة مفككة متشككة –باعتراف معتنقيها- تعيش صراعا نفسيا وفكريا يوميا مع نفسها ومع الكون.. اما ان تكون ترسا يدور مع تروس الكون في حركة منسجمة واما ان تختار الدوران عكسها فتتكسر على اعتابها. ولا تظنن ان الحرية هي المكسب من وراء الالحاد كما يدعون فالملحد عبد لاهوائه وميوله وشهواته التي تجعله ينكر الحق ولو كان ملموسا لمس اليد.. لا تصدق ان الملحد يتبع العقل كما يدعي فهو قرر سلفا ان يصم اذنيه عن الاستماع والانصات للرأي المضاد.. اختار سلفا ان يفر من قراءة اي كلام ديني مفيد واصبح كل اهتمامه ان يقرأ ما يؤكد نظرته المسبقة عن الدين حتى لو من اعداء بني جلدته الذي يضمرون له الشر.. وان كان الملحدون يسخرون من كتاب حوار مع صديقي الملحد لانه بزعمهم ساق انتصارا وهميا على ملحد ضعيف فلا نجدهم بالمقابل يحاورون مؤمنا قويا متعمقا في دينه في نقاشاتهم بل يختارون النماذج التي فهمت الاسلام فهما سطحيا مبسطا ويتخذون من سوء تصرفاتها او فهمها للدين دليلا ضد الاسلام نفسه.

8-8-12- ولماذا يكون الاسلام وحده هو الصحيح؟

كل شيء مقنع حتى هذه اللحظة لكن يطرح تعقيب مهم الآن: "إن اتباع كل دين يظنون انفسهم على حق وبالتالي فكلهـــم خطـــأ".. هكذا يعقب الملحد على كلاما فنقول له: هذا منطق اعوج في الحقيقة فعلى هذا المنوال ان اضعت مفتاحك فـــي خزانـــه وفتحـــت ثمانين بالمائة من الادراج دون ان تجده فمعناها انه يستحيل ان يكون في الادراج الباقية..

طبقا للنظرة الاسلامية فأن كل الانبياء نزلوا بعقيدة واحدة وهي الاسلام، فلم ينزل الله دينا اسمه مسيحية او يهودية او محمدية لأن الدين لا ينسب للنبي ويتغير معه انما ينسب لله. قد تختلف الشرائع ولكن العقيدة واحدة. والإسلام معناه الخضوع المطلق لله وحده. واذا تتبعنا الأنبياء في القرآن الكريم نجد بأنهم كلهم دعوا الى الإسلام ولكن اتباعهم حرفوا دياناتهم والابناء ورثوا عن الآباء

وقال موسى ياقوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين – فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون – ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين

ثم إننا نملك ولله الحمد في جعبتنا الدليل على صدقية ديننا وعلى اختلافه عن بقية الاديان.. فالاسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقوم على الظن ولا على عقائد اخترعها البشر بل يقدم تفسيرا للاديان التي سبقته حيث يقدم نفسه كوريث شرعي لها فهو يقول ان كل الاديان السماوية او ما يعرف بأديان اهل الكتاب كان لديها نفس العقيدة والاختلاف كان محصورا في الشريعة فحسب ولكن للاسف حصل انحراف في عقيدة هذه الاديان بسبب انهزام الفريق الملتزم بالدين الحق امام المحرفين وهو امر لم يحصل في الاسلام الذي حافظ على نقاوة تعاليمه وصحة مصادره الاصلية ولا عجب فالله وعد بحفظ هذه الرسالة لانها آخر الرسالات.

8-8-13- وكيف تحاجون اهل الكتاب؟

حتى الآن ركزنا على الملحد لكن ماذا عن اهل الكتاب؟ كيف تردون على ادلتهم وشبهاتهم؟ للحقيقة حجج اهل الكتاب ضدنا هي بمجملها نفس حجج الملحدين وبذلك فقد كفينا انفسنا مؤنة الرد.. هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد بينا للتو نظرة الإسلام نحو الاديان السابقة عليه وتميزه عنها بأنه حافظ على اصالة مصادره دون ان تحور او يطالها التحريف البشري. وهكذا كما في حال حوارنا مع الملحد حيث اخترنا ان نتجنب الجدل في الامور الفكرية المجردة بامكاننا السير على المنوال نفسه مع اهل الكتاب فنترك الجدل في مواضيع التثليث عند النصارى والشعب المختار عند اليهود ونطرح عليهم سؤالا حسيا بسيطا ومباشرا مثل: هل تستطيعون ان تثبتوا لنا ان انبياءكم – الذي هم انبياءنا في الحقيقة– قالوا بهذه الترهات؟ اعتقد انهم سيعترفون –مهما ناوروا في بادىء الامر– انهم لا يملكون اي نص مثبت نقله عن الانبياء.. بل كل عقيدتهم مبنية على جهود بشرية شخصية وتأويلات وتحليلات كان الهوى والاستنساب عاملا مركزيا فيها.

الباب التاسع: القرآن الكريم يتحدث عن الاسلام

تمهيد

في الابواب السابقة ذكرنا كل ما في جعبتنا من ادلة عقلية على كون الاسلام هو الدين الحق. وهذا الباب لا يهدف الى اعطاء مزيد من الادلة العقلية انما لترسيخ ايماننا القلبي بصحة ديننا عبر تدبر جوانب ايمانية سامية من آيات الذكر الحكيم.

9-1- الرد على المخالفين من خلال القرآن الكريم

9-1-1- مقدمة

فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون(29)أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون(30)قل تربصوا فإني معكم من المتربصين(31)أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون(32)أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون(33)فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين(34)أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون(35)أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون(36)أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون(37)أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين(38)أم له البنات ولكم البنون(39)أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون(40)أم عندهم الغيب فهم يكتبون(41)أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون(42)أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون(43)

9-1-2- الشرح

لعل هذه الآيات القلائل من سوة الطور هي أبلغ رد على حقيقة الاختلاف بين دين الإسلام وبين غيره من الأديان.. قلنا فيما سبق: إن كل أسئلتنا لغير المسلم هي أسئلة مصيرية أساسية وإن أجوبته لهذه الأسئلة تحتوي الكثير من التناقض، بينما هم في المقابل لا يجابهون ديننا بحقائق تنقضه إنما هي مجرد شبهات. ومن الرائع فعلا أن نجد القرآن الكريم يحصر في هذه الآيات القلائل كل عملية الحوار الإسلامي مع الآخرين متناولا شبهاتهم، مجيبا عليها أحيانا ومتجاهلا لها أحيانا اخرى بما في التجاهل من استخفاف وتحقير.. مفندا دوافعهم لقول هذه الشبهات، وفي النهاية مطلقا عليهم رصاصة الرحمة عبر مجابهتهم بالأسئلة المصيرية التي سيعجزهم الرد عليها.

1- **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**

كيف ينكر النصارى واليهود والملحدون اليوم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟ انهم يقولون إنه مريض نفسي أو إنه كاذب وان إخباره عن بعض الأمور الغيبية هي من أعمل المتنبئين مثلا (الكاهن هو الذي يتنبأ بالمستقبل) .. ينفي القرآن الكريم هذه الحجة بدون ان يستفيض بالرد لانها من السخافة بمكان أن يرد عليها فليس هو بمجنون أبدا بل هو قائد عظيم عرف بالأمانة والصدق والعدو يشهد بذلك قبل الصديق.

2- **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون**

حيث يأخذون الناحية الأدبية من القرآن الكريم فيقولون إنه شعر.. وان الإسلام ظاهرة سطحية نستطيع انتزاعها من المسلمين بسهولة.. وان القضية قضية وقت.. هم يظنون اننا متعلقون بالدين تعلقا سطحيا بحيث يكفي أن يضغطوا لتغيير مناهج التعليم أو أن يأتوا إلينا بدمقراطية مزيفة حتى ننسى ديننا..

3- **قل تربصوا فإني معكم من المتربصين**

يرد عليهم القرآن الكريم بلهجة تحدي. ابذلوا ما في وسعكم اذن وستجدون انكم ستفشلون.. فالإسلام متجذر فينا ولا يموت بموت زعيم أو شخص.. وهنا لفتة جميلة.. وهي أن الرد استعمل حجة "الواقع أكبر دليل" فإن كان محمد "مجرد ظاهرة جوفاء" كما تزعمون فكيف ظلت دعوته حية في قلوب الناس؟؟

4- **أم تأمرهم أحلامهم بهذا**

وهنا يحلل القرآن الكريم أسباب كفرهم فيسأل: هل تأمرهم عقولهم بهذا؟ ألايدعي هؤلاء انهم عقلانيون، وانهم يتبعون العقل لا الدين.. وأين العقل في كل ما قالوه سابقا؟ وأين العقل في الرد على الحجج التي ستنهال عليهم فيما يلي..

5- أم هم قوم طاغون

يوضح القرآن الكريم أن السبب الحقيقي لانكارهم هو كونهم طغاة لا يقبلون الاحتكام لرب العالمين في شؤون حياتهم ويغلفون كفرهم بأعذار واهية.. لم تكن قريش لترفض دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحاربه لولا انها رأت الإسلام خطرا على مناطق النفوذ فيها.. فالتقسيم الجديد مؤسس على طبقية التقوى لا طبقية الجاه والمال والسلطان.

6- أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون

وهنا اشارة إلى الإتهام القديم الجديد بأن القرآن الكريم من تأليف محمد أو أن محمدا نقله عن غيره..

7- فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين

الرد على ذلك بسيط.. فليلبوا التحدي ويأتوا بمثل القرآن إذن ما دام الأمر بهذه السهولة..

8- أم خلقوا من غير شي

ينتقل القرآن من الدفاع إلى الهجوم.. علما أنه في الدفاع اعتمد اسلوب الدفاع الهجومي كما رأينا حيث حول كل شبهة إلى حجة ضدهم أو أداة توبيخ... وكأن القرآن الكريم يقول تلميحا لا تصريحا: هل انتهيتم من عرض حججكم الآن؟ الآن جاء دورنا.. هاتوا أجوبتكم على الأمور التي أخذها عليكم..

يوجه سؤاله إلى الملحد فيقول: من خلقك؟ معروف أن لكل مخلوق علة.. فما هي علة وجودك؟ هل العدم هو الذي أوجدك؟ معروف بطلان التسلسل اللانهائي.. الملحد يقول إن الإنسان أصله قرد.. طيب ان سلمنا جدلا بذلك.. من أين جاء القرد؟ من حيوانات أقل تطورا.. ومن أين أتت هذه الحيوانات؟ من خلايا.. والخلايا من أين؟.. لا مفر من وجود خالق في النهاية..

9- أم هم الخالقون

وبعد أن أبطل بطلان التسلسل الذاتي يبين القرآن بطلان الدور أو الحلقة المفرغة.. فلا تستطيع أن نقول إن الأشياء تخلق نفسها.. أو توجد نفسها بإرادة ذاتية لأن ذلك يوقعنا في مستحيل عقلي أيضا..

10- أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون

وفرضا ان الحجج العقلية لا تقنعهم.. من نحو أدلة العلة الاولى والسببية وما شابه.. فلينظروا إلى الأدلة الحسية.. هذا النظام في الكون وهذا الجمال وهذا التناسق الموجود في السموات والأرض.. من خلقه؟؟ هل يعقل انه جاء بالصدفة؟؟ هل يستطيعون الاعلان أنهم هم الذين خلقوا أمام إعلان الله أنه الخالق

11-أم عندهم خزائن ربك

بعد مخاطبة العقل والحس يخاطب القرآن الفطرة والوجدان.. فيسألهم من الذي يرزقهم؟ من الذي ينعم عليهم؟ من الذي يحميهم؟ أليس هو الله؟ أليس من الواجب إذن أن يؤمنوا به ويطيعوه ؟ وتخاطب أيضا اليهود الذين ادعوا انهم شعب الله المختار وانهم اولياء الله وأحباءه وانهم يحتكرون الحق وأن غيرهم من الأميين هم حيوانات بشكل بشر.. فيقول لهم: وهل ولاكم الله على خزائن نعمه ورحمته حتى تضيقوا على الناس؟؟ كما تخاطب أيضا عقلية نصارى القرون الوسطى حين كان البابا يبيع صكوك الغفران للناس وكأنه يمتلك مفاتيح الجنة!!!

12-أم هم المسيطرون:

أم إنهم يتخيلون أنفسهم رقباء ومفتشين على شئون الخالق ! فيتخذون الخالق ذا الجلال مسئولا. ويقولون هذا يعجبنا وهذا لا يعجبنا.. يتبعون الهوى. . يفصلون أديانا على مقياسهم.. وفي هذا تعريض بالفلسفة الوجودية التي تعتبر الإنسان هو الاصل وتعتبر أنه هو الذي خلق فكرة الإله بزعمهم..

13- أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين

هنا يخاطب القرآن من يدعي انه موحى إليه أو من يتكلم باسم الله ويخترع أديانا جديدة.. فيقول: أعطونا أدلة تثبت أنكم على حق.. أدلة محسوسة كالقرآن.. وهذه موجهة للفرق المنحرفة كالبهائية والمورمون وشهود يهوه والسيخ..

14- أم له البنات ولكم البنون

أو إنهم ينسبون إلى الله تعالى، الولد المضاد لوجود ذات الأحد الصمد، ويسندون إلى الملائكة، الأنوثة المنافية لعبوديتهم وعصمتهم وجنسيتهم ! فيظنونهم شفعاء لهم ! أين المنطق في هذا؟ وهذه موجهة للنصارى الذين يدعون البنوة لله ويصورون الملائكة بشكل اناث وإلى الصابئة الذين يقولون الملائكة بنات الله..

15- أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون

وهذه حجة لنا ضد المكذبين بالدين.. إن كان محمدا كاذبا كما تزعمون.. فأين هي المصلحة في كذبه.. هل رأيتموه يبحث عن الجاه والملك أم إنه عاش حياة زهد؟ ولم رفض في محطات عديدة الملك حينما عرض عليه؟

ليس المال المطلوب هو الذي يثقلهم.. إنما هي تكاليف الشريعة .. فهم يهربون منها ويرفضون وجود إله لأنهم يعرفون أن القبول بما أنزل على محمد معناها مجاهدة أهواءهم ونزواتهم وهم لا يريدون ذلك.. يريدون حياة لذة وشهوات ومتعة بدون ضابط..

16- أم عندهم الغيب فهم يكتبون

وهذه موجهة للفلاسفة الذين يخوضون في بحار الماورائيات والميتافيزياء ويجادلون فيها كانهم اطلعوا على الغيب.. جهل الفلاسفة أن عقولهم قاصرة أن تخوض في الغيبيات فضلوا وأضلوا..

17- أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون

هنا يفضح القرآن الكريم نوايا اعداء الاسلام فيقول انهم لا يريدون المحاجة والحوار والوصول الى الحق بل يريدون الكيد.. لذلك فهم يصبون سيل الشبهات صبا.. ولا يهتمون إن كانت منطقية أم لا ولا يبالون بقراءة الردود عليها.. غرضهم تشكيك الناس ليس إلا..

18- أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون

وهذه تخاطب الهندوس الذي يعبدون البقر ولهم ملايين الآلهة والمجوس الذين يتوهمون وجود إلهين مختلفين باسم خالق الخير وخالق الشر، وعباد الأوثان والأصنام ، والله يقول ردا عليهم في محكم التنزيل : "**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**". والحال : أنه إذا وجد في قرية مديران ، وفي مدينة واليان ، وفي مملكة ملكان لعمت الفوضى.

9-1-3- الخلاصة

1- الأديان التي توجه إليها الخطاب:

الملحدون، النصارى، اليهود، الصابئة، الهندوس، المجوس، الفرق المنحرفة، الفلاسفة، الوجوديون...

2- الأدلة العلمية المستعملة

- الواقع اكبر دليل
- بطلان التسلسل
- بطلان الدور
- البينة على من ادعى

3- الشبهات التي تناولها ورد عليها

- محمد كاذب
- محمد مريض نفسي
- محمد أديب وشاعر

4- الحجج التي ساقها ضد المخالفين

- من خلق العالم؟

- كيف يستقيم نسبة النقص إلى الإله؟
- كيف تجادلون في الغيب؟ وهل اطلعتم عليه؟ وما حجتكم الملموسة على ذلك؟

5- فضح نواياهم الحقيقية من وراء التكذيب

- يريدون الحفاظ على مراكزهم المبنية على السلطة والمال والجاه
- يفرون من التكاليف الشرعية لانها ثقيلة عليهم
- عندهم تكبر وطغيان واتباع للهوى

9-2- الفكر الفلسفي في القرآن الكريم

9-2-1- مقدمة

حينما نتكلم عن هذا الموضوع فغرضنا الاول هو اثبات دليل ملموس على ان القرآن الكريم هو كتاب الله. فإن كان المخالف قد يجادل في امور كثيرة فأنى له ان يجادل في موضوع قدرة انسان امي عاش في صحراء قاحلة ما بين رعاية الماشية ورحلات التجارة ان يأتي بمفاهيم فلسفية فكرية تتصدى لتلك التي نشأت في بلاد الاغريق بل وتتفوق عليها.

ويهمنا ان نذكر في هذا المجال انه حينما نتحدث عن الفلسفة في القرآن فنحن لا نقصد الضلالات والزيغ التي قام بها الفلاسفة على مر القرون والتي كانت نتيجة لاقحام العقل في امور غيبية لا يستطيع سبر اغوارها لأنه لا يملك الاطر اللازمة لذلك وانما نقصد كل آية في القرآن حثت على التفكر والتدبر و استخراج العبر، نحن نقصد كل آية احتوت على حجة او حوار عقلي ومنطقي ، نحن نقصد كل آية في القرآن حملت في ما وراء معناها المباشر معنى معنوي رمزي هو المقصود الرئيسي من الكلام دون نفي المدلول الحسي المباشر. على سبيل المثال عندما يتحدث القرآن عن إبليس الذي اغوى آدم عليه السلام لكشف سوأته فان المعنى المباشر الذي يتبادر الى الذهن هو ان إبليس يريد ان يكون آدم عاريا من اللباس وهو معنى صحيح الا ان المعنى الاهم –والذي اشارت اليه الآية بشكل رمزي– هو تعرية آدم المعنوية فكأن آدم كان محتميا بظل العناية الآلهية وكأن معصيته جردته من هذه الحماية فوجب عليه ان يهبط الى الأرض ليشقى ويكد في حياته وليخضع لاغواء الشيطان الذي سيقعد له ولابنائه في كل مرصد.

وفيما يلي عينة من هذه المفاهيم الفلسفية العميقة:

9-2-2- المفهوم الفلسفي للفطرة

الفطرة هي مجموعة المعارف التي حصل عليها الانسان من غير اكتساب خارجي، غير ان التمييز بين ما هو فطري وبين ما هو مكتسب ليس سهلا على الاطلاق.. فان كان الحال كذلك لم اهتم الحكماء والفلاسفة قديما وحديثا بمفهوم الفطرة؟ وما هي قيمته على ارض الواقع؟

الجواب مختص بعلم المنطق وتعريف المعرفة.. فقد حار الفلاسفة و العقلاء و العلماء كلهم من افلاطون الى ديكارت الى الغزالي الى كانت في مفهوم المعرفة. شك المفكرون في حواسهم كونها خادعة و نسبية لا يقوم عليها حكم راسخ ووضعوا العقل كأساس للحكم على حقيقة المسائل و صحتها و لكن العقل نفسه يحتاج الى دليل لإثبات صحة احكامه و طبيعي الا يستطيع العقل البرهان على صحة احكامه بالعقل نفسه و الا دخلنا في حلقة مفرغة لذلك وضعت تصورات كثيرة مختلفة في المظهر متحدة في الجوهر تفترض بأن حكم العقل صحيح كمسلمة لا بد منها كي تستقيم حياة الانسان الفكرية. اما كيف خرج المفكرون من هذا الشك في قيمة العقل فهو كالتالي:

قال ديكارت "انا اشك اذن انا موجود" و استدل من اثبات وجوده الى اثبات خالق له يتصف بصفات الكمال بحيث يستحيل ان يهبه (اي الانسان) عقلا يرى الحقائق بمنطق معكوس. و خرج الغزالي من شكه بنور قذفه الله في قلبه و هو الايمان. اما افلاطون فقد اخترع لنا قصة طريفة و لكنها مؤثرة لمن يفهمها على حقيقتها.

يقول افلاطون ان العالم الذي نعيشه هو عالم وهمي و ليس الا ظلالا لعالم مثالي موجود و يشبه هذا الامر بعبيد مكبلين باغلال في مغارة لا يستطيعون ان يديروا رؤوسهم للخلف أو أن ينظروا الى فوهة المغارة لأنهم مكبلين و لا تقوى ابصارهم على النظر الى

الضوء مباشرة فكل ما باستطاعتهم ان ينظروا اليه هو امامهم حيث يرون ظلال الموجودات خارج المغارة منعكسة على جدرانها. اذن بالنسبة له علاقة الحقائق في هذا الكون بالمثل العليا الموجودة في العالم المثالي كعلاقة الظلال المرتسمة على الجدران الى الذوات المتحركة الحقيقية خارج المغارة و بالتفكير و الخيال يستطيع الانسان ان يتفكر في الأصول التي تنبع منها هذه الظلال و يتذكرها اذ لا ننسى ان الانسان كان يعيش في عالم المثل قبلا و عندما يصل الى هذه الحالة يستطيع ان ينظر في حقائق الاشياء مهما كان نورها ساطعا و يفك اغلاله ليلتفت الى الخلف و يرى عالم المثل رؤية حقيقية. اسطورة مسلية قد لا ندري ما الهدف منها و لكنني ذكرتها لأمر واحد هو ان المعرفة عند افلاطون ليست تعلما انما تذكرا. و بها يحل اشكالية قيمة المنطق العقلي الذي حار فيه الفلاسفة و الحكماء. و الاسلام يستعمل نفس الاسلوب عندما يتكلم على الايمان فيقول بأن العمل العقلي الذي يستعمله الانسان ليكتشف به وجود الله ليس تفكيرا مبنيا على حقائق و مسلمات من عمل العقل نفسه انما من مسلمات وضعها الله فينا عندما كنا في عالم الذر "**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**" (الذي يقارن في قصتنا بعالم المثل) ذاك انه في الاسلام عندما خلق الله ارواحنا اخذ منا وعدا الا نؤمن بسواه و لكن بعضنا نسي هذا الوعد و كفر. قد يقول قائل بانه ما من انسان يذكر هذا الوعد و الجواب بان هذا الوعد موجود فينا دون ان ندري انه الفطرة الايمانية التي فَطر الله الناس عليها؛ إنه ذلك الشعور الطبيعي البصير الغامر، بأنَّ فوق الكائنات المحدودة المتناهية، كائناً غير محدود ولا مُتناهٍ، يُهيمِن على كل شيء ويُدبر كل أمر، يُرجَى ويُخشَى، ويُعظَّم ويُقصَد، شعور يَنبُع مِن أعماق الإنسان، ويُستَمَد مِن كيانه كله، لا من عقله وحده، ولا من وجدانه بمفرده، شعور يَجِدُه الإنسان في نفسه بغير تعلُّم ولا تلقين ولا اكتساب. وكلما كان الإنسان أَسْلَمَ فطرةً وأزكى نفسًا، رَقَّ حِجابه وتَفَتَّحتْ عينُ بصيرته، وارتفع عن جاذبيةِ الطين، وحَلَّق في أجواء الروح، وحينئذ يَشعُر بأن وجود الله يَملأ عليه أقطار نفسه، ويَغمُر كِيانه كله، فيُحِسُّ بأنه غيرُ محتاج إلى دليل على وجود ربه ـــ سبحانه ـــ خارج عن ذاته وكيانه هو، بل يَشعُر أن وجود الله أظهرُ من كل شيء، بل هو دليلُ كلِّ شيء، (**أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ**) (فصلت: 53).. في القرآن يصف الله عز وجل الرسول بالمذكر الذي يذكرنا بحقيقية الايمان و عواقب الكفر "**فذكر إنما أنت مذكر**". ولا ريب ان هذا المفهوم الفلسفي الفكري للفطرة لا يمكن ان يخطر بهذا الشكل على انسان امي عاش كل حياته في الصحراء.. اي نعم قد يستعمل مفهوم الفطرة في كلامه ولكن ليس من ضمن اطار هذا العالم الغيبي المسمى "عالم الذر".

9-2-3- المفهوم الفلسفي للامانة

في قوله تعالى : **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (الأحزاب 72)**. اتفق المفسرون ان المراد بالامانة التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه بعد ان اشفقت السموات والأرض ان تحملها. كل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمان به، والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته، وإلى عقله للوصول إلى الله. إن السماوات والأرض هذه الخلائق الضخمة الهائلة، التي يعيش الإنسان فيها أو حيالها فيبدو شيئا صغيرا ضئيلا تعرف بارئها وتهتدي إلى قوانينه بحكم خلقتها وتكوينها وتجري وفق هذه القوانين دون ان تتخلف دورتها جزءا من ثانية. يقول الله عز وجل: **ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين** (فصلت 11) فليس هنالك إذن إلا هذا الإنسان الذي يخضع لهذه القوانين مكرهاً في أغلب الأحيان. وهو ترس صغير جداً في عجلة الكون الهائلة؛ والقوانين الكونية الكلية تسري عليه رضي أم كره. فإن عاند هذه السنن الكونية تحطم وانكسر وان مشى مع الركب المؤمن الطائع فاز فوزا عظيما. ويقول الشيخ الشعراوي في تعريف كلمة الامانة: هب أن انسانا جاءك ومعه مبلغ كبير من المال. وقال أنا أريد أن أضع هذا المبلغ عندك أمانة. فستجد نفسك أمام أحد أمرين: إما أن ترفض أن تحمل الأمانة بان تقول لنفسك ان هذا اختيار صعب فقد أنفق المال فيما تغريني الحياة به ثم يأتي وقت السداد فلا أجده. أو قد توسوس النفس والعقل بأنك تستطيع أن تاخذ هذا المال وأنك قادر على أن تودعه عندك، وقادر على أن تخدمه فيما ينفعك ولكنك قادر أيضا حسب ظنك وعلمك أن ترد هذا المبلغ لصاحبه عندما يأتي وقت الحساب. اذن الأساس هنا هو الاختيار. فاذا قال الله سبحانه وتعالى "**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها**". فمعنى ذلك أن هذه

الأشياء كلها قد رفضت أن يكون لها اختيار في أمورها. وفضلت أن تكون مقهورة مسخرة لما يريده لها الله سبحانه وتعالى لماذا؟ لأنها جميعا خافت من عواقب هذا الاختيار. وما يمكن أن يؤدي بها الى معصية او الى مخالفة لأمر الله. ولكن الانسان بعقله قبل الأمانة. أي قبل أن يكون له اختيار. والانسان عندما حمل الأمانة أخذ حرية الاختيار في "أفعل ولا تفعل". أخذه وهو يحسب أنه قادر على أن يفعل ما يرضي الله وان يتجنب ما يغضبه ولكن اغراء الشيطان وبريق الدنيا وضعف النفس البشرية لم يكن في حسابه وبذلك كان ظلوما أي ظالما لنفسه في انه اعتقد فيها اكثر من قدراتها. وهذا هو الغرور الذي اذا دخل النفس خرج منها الايمان، الغرور الذي جعل قارون يقول : "**إنما اوتيته على علم عندي**". وكان جهولا لأنه جهل الحقيقة التي حوله في أن الله سبحانه وتعالى هو القادر المعطي المانع الرافع الخافض المعز المذل. لقد صور له جهله أشياء كثيرة فخلق آلهة ليعبدها من صنع يديه أي انه عبد ما يستطيع ان يصنعه ثم عبد الانسان نفسه ثم حاول أن ينكر وجود الله وأنطلق مع هوى نفسه جاحدا نعمة الله وترك الرسالات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى له ليبين له طريق الحق وطريق الحياة الطيبة الامنة واخذ يشرع لنفسه وحسب اهوائه فاصابه الشقاء في الدنيا وحلت به الكوارث وعاش عيشة ضنكا."

في المحصلة لا ريب هنا ايضا ان مفاهيم الامانة والتسخير والاختيار والسنن الكونية هي مفاهيم فلسفية بامتياز وغريبة عن تفكير رجل امي يعيش في الصحراء.

9-2-4- مفهوم العري والعورة

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما

لابد أن هناك لباسا كان على كل منهما ، وقال العلماء الكثير عن هذا اللباس مما لا يتسع لذكره هنا. وقد سميت العورة سوءة لأنها تسوء ، فلماذا تسوء؟ إن العورة سوءة باعتبار ما يخرج منها. وحينما كان آدم وحواء يأكلان من إعداد ربنا لم يكونا فى حاجة إلى إخراج فضلات ! لأن إعداد الله يعطى كلا منهما على القدر الكافي للحركة والفعل، ولكن حينما يخرجان عن مرادات الله فى الطعام ، ويأكلان غير ما أمر الله به ، ويمارسان اختيار الطعام بدأت الفضلات فى الخروج بما لها من رائحة غير مقبولة ، فكان ظهور السوءة لهما هو رمز إلى أن هناك مخالفة لمنهج الله سواء أكان ذلك فى القيم والمعنويات أم فى الأمور المادية ؟ لأن كل شيء يخالف فيه منهج الله لابد أن تبدو فيه العورة، فإذا رأينا أي عورة فى المجتمع فاعلم أن منهجا من مناهج الله قد عطل.

الفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوأتها الجسدية والنفسية ، وتحرص على سترها ومواراتها . . والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس ، وتعرية النفس من التقوى ، ومن الحياء من الله ومن الناس ؛ والذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة – في شتى الصور والأساليب الشيطانية الخبيثة – هم الذين يريدون سلب "الإنسان" خصائص فطرته ، وخصائص "إنسانيته" التي بها صار إنساناً . وهم الذين يريدون تسليم الإنسان لعدوه الشيطان وما يريده به من نزع لباسه وكشف سوأته ! وهم الذين ينفذون المخططات الصهيونية الرهيبة لتدمير الإنسانية وإشاعة الانحلال فيها لتخضع لملك صهيون بلا مقاومة . وقد فقدت مقوماتها الإنسانية ! إن العري فطرة حيوانية . ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان.

يابني ءادم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ءايات الله لعلهم يذكرون

فى قوله سبحانه وتعالى "**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا**" هذا أمر حسي . ويفيدنا ويزيدنا سبحانه " ريشا " إنه –سبحانه – لا يواري السوأة فقط، وإنما زاد الأمر إلى الكماليات التي يتزين بها، وهذه الكماليات هي الريش، أي ما يتزين به الإنسان، ثم قال الحق : "**ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون**" أي أنعمت عليكم باللباس والريش ، ولكن هناك ما هو خير منهما وهو "لباس التقوى" . فإن كنت تعتقد في اللباس الحسي أنه ستر عورتك ووقاك حرا وبردا وتزينت بالريش منه فافهم أن هذا أمر حسي ، ولكن الأمر الأفضل هو لباس التقوى، لأن مفضوح الآخرة شر من مفضوح الدنيا.

غني عن الذكر ايضا ان هذه المعاني عميقة جدا بالنسبة لمجتمع قبلي يعيش في الصحراء.

9-2-5- بعض الامثلة الرمزية التي تمر في قصة آدم عليه السلام ودلالاتها

قصة آدم عليه السلام بمجملها هي درس للبشر يتعرضون فيه لما تعرض له ابيهم آدم فكأن هذه التجربة هي رمز لكل تجربة يخوضها الانسان مع الشيطان. وكدلالة على هذا الارتباط يذكر بنو آدم في أول سورة الأعراف والمقصود أبوهم ، ويذكر آدم في آخر السورة ويقصد بنوه ! في أول السورة يقول **تعالى** " **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ..."وفي آخر السورة يقول الله جل شأنه في خطايا البشر وشركهم واعوجاج سيرهم "**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها . . .**" ثم يقول "**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون . أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون**".

ومن الامثلة على هذا الارتباط:

- وجود آدم عليه السلام المؤقت في الجنة مع انه خلق ليستعمر الارض ودلالة هذا الامر الرمزية على كونها موطنه الاصلي.
- تعليم الله لآدم عليه السلام الاسماء وتمييزه عن الملائكة بهذه الخاصية ودلالة هذا الامر الرمزية على التفوق الانساني بالعلم.
- الشجرة المحرمة رمز للحرام وسائر الاشجار رمز للحلال.
- كشف العورة لدى المعصية ودلالته الرمزية على الانحدار الاخلاقي عند المعصية وان كل عورة في المجتمع وراءها خرق لأمر وناموس إلهي.
- مسالك الشيطان للايقاع بنا كما تجلت في مسالكه للايقاع بأبينا آدم عليه السلام : التكبر، الحسد، العنصرية، اتباع الهوى، المنطق التبريري، الاغراء المتدرج، الترغيب بالممنوع، تزيين حب الشهوات من المال والسلطة والنساء، قلب المفاهيم، التمني بدون العمل، (المنطق التبريري،.) استغلال الدين لمصالح دنيوية.
- طرق الحماية من كيد الشيطان كما تجلت في افعال أبينا آدم عليه السلام ونصائح رب العالمين له: التقوى، التمسك بحبل الله، التوبة والاستغفار، تحكيم العقل والفطرة، النظر في حقيقة الأمور، اجتناب المنهيات والابتعاد عنها قدر الامكان.

9-3- منهج الحوار في القرآن

9-3-1- مقدمة

اعتبر الإسلام الحوار قاعدته الأساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته ، وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه ، وكما أنه لا مقدسات في التفكير ،كذلك لا مقدسات في الحوار إذ لا يمكن أن يُغلق باب من أبواب المعرفة أمام الإنسان ، لأنَّ الله جعل ذلك وحده هو الحجة على الإنسان في الطريق الواسع الممتد أمامه في كل المجالات المتصلة بالله والحياة والإنسان.

وقد أكَّدَ القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة فعرض القرآن لحوار الله مع خلقه بواسطة الرسل ، وكذا مع الملائكة ومع إبليس ، رغم أنه يمتلك القوة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة، كما أنَّ دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم، وقد أطال القرآن في عرض كثير من إحداثيات هذه الحوارات بين الرسل وأقوامهم، ولم يشجب القرآن في هذا الباب موقفاً كما شجب موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته: "**وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (9)**" [الجاثية:7-9] ولم يكن حديث القرآن عن الحوار حديثاً عَرَضياً بل اهتم به اهتماماً كبيراً من حيث المنهج والقواعد التي ينبغي أن يسير عليها ، وعَرَض لأساليبه ونماذج منه ، مما يعطي المتأمل فيه نظرية متكاملة عن الحوار من خلال القرآن الكريم.

9-3-2- منهج الحوار في القرآن:

تنطلق رحلة المنهج الحواري في القرآن من بداياته الأولى ، حيث لابد من أن يتكافأ الطرفان من حيث الاستعدادات النفسية وامتلاك القدرة على الحوار .. ومن ثَمَّ تُرسم قواعده التي سيسير عليها .. ويلتزم الأطراف بالخضوع لما يكشف عنه الحوار من

حقائق .. فإذا تم فإما أن يصل الأطراف إلى نتيجة واحدة فيكون قد نجح .. وإما أن لا يقتنع أحد الفريقين أو أن يعاند فإنه يمارس حقاً اعتُرف به بقبول الحوار .. وعندما ينتهي الحوار إلى هذه النتيجة فللمسلم رسالة يختم بها حواره تتمثل بتذكير الطرف الآخر بأنه مسئول عما وصل إليه .. تلك هي عناوين لتفاصيل قرآنية حول الحوار نذكر بعضها فيما يلي:

1- امتلاك الحرية الفكرية:

لابد لكي يبدأ الحوار أن يمتلك أطرافه حرية الحركة الفكرية التي يرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة ، فلا ينسحق أمام الآخر لما يحس فيه من العظمة والقوة التي يمتلكها الآخر ، فتتضاءل إزاء ذاك ثقته بنفسه وبالتالي بفكره وقابليته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمد ويتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر. لذلك أمر الله رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه "**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**" [[الكهف:110]

2- مناقشة منهج التفكير:

فإذا امتلك أطراف الحوار الحرية الكاملة فأول ما يُناقش فيه هو المنهج الفكري – قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيلها – في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية فلكل مجاله ولكل أصوله التي ينطلق منها ويمتد إليها : "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَ نَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**" [البقرة:170]

3- الابتعاد عن الأجواء الانفعالية :

من عوامل نجاح الحوار أن يتم في الأجواء الهادئة ليبتعد التفكير فيها عن الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير ، فإنَّه قد يخضع للجو الاجتماعي ويستسلم لا شعورياً مما يفقده استقلاله الفكري : "**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**" [سبأ:46] ، فاعتبر القرآن اتهام النبي بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي العدائي لخصومه ، لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء.

4- التسليم بإمكانية صواب الخصم :

ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي بأنَّ الخصم قد يكون على حق ، فبعد مناقشة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تأتي هذه الآية من سورة سبأ: " **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** "(24) [فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال ، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار "**قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**" (25) " فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرغم من أنه هو الصواب ، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله "**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**"(26)

5- التعهد والالتزام بإتباع الحق:

هذا ولا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الخصم ، بل لا بد من التعهد والالتزام بإتباع الحق إن ظهر على يديه ، حتى ولو كان التعهد بإتباع ما هو باطل أو خرافة إذا افتُرض أنه ثبت وتبين أنه حق : "**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**" (الزخرف:81)

6- الانضباط بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف :

فإذا تم الالتزام بهذه الأسس فإنَّ الحوار ينطلق معتمداً على قواعد العقل والمنطق والعلم والحجة والبرهان ، والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

فما أكثر ما يرد في القرآن "**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**" (البقرة:111 ، الأنبياء:24 النمل:64 ، القصص:75)، وقال تعالى مرشداً إلى اعتماد العلم والحجة في الحوار: "**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ**" [الحج:8 ، لقمان:20] "**هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**" [آل عمران:66] . وفي إتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة يأمر

الله موسى–عليه السلام: "**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)**" [[طه:42–44] ، ويأمر بإتباع الحكمة في الدعوة : "**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ (33) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)**" [فصلت:33–34] ؛ وتأكيداً لهذا المنهج ينهى الله المؤمنين عن إتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السبِّ والتسفيه لمعتقدات الآخر: "**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**" (الأنعام:108)

7– ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج :

إذا سار الحوار جادًّا وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف فلا بد أن يصلوا جميعاً إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب ، فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها فإنه بذلك يمارس حقاً أصيلاً كَفِلَه له رب العزة وسيكون مسئولاً عن ذلك أمام الله تعالى. وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال "**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ**" [هود:35] "**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**" (القصص:55)

8– التأكيد على استقلالية كلٍ ومسؤوليته عن فكره :

قبل الانفصال بين المتحاورين يتم التأكيد على استقلالية كل ومسئوليته عن نفسه ومصيره . إنها مسئولية فردية لا تداخل فيها : "**وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**" (يونس:41)، "**قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**" (25) "**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**" (26) (سبأ:25–26).

9– الإشهاد على المبدأ وعدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار :

وفي آخر الحوار يتم إشهادهم على المبدأ والتمسك به "**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**" (آل عمران:64).

ولا حاجة في أن يُتَابَعَ الخصم على ما بدر منه من إساءات في الحوار، وليكن العفو والصبر أساساً وخلقاً في التعامل مع الجاهلين: "**خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ**" (الأعراف:199)، "**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**" (طه:130 ، ص:17 ، ق:39)، هكذا يرشد المنهج القرآني في الحوار إلى إنهائه بمهمة وأداء رسالة يبقى أثرها في الضمير إن لم يظهر أثرها في الفكر إنه أسلوب لا يسيء إلى الخصم بل يؤكد حريته واستقلاليته ، ويقوده إلى موقع المسئولية ليتحرك الجميع في إطارها وينطلقوا منها ومعها في أكثر من مجال.

9–3–3– نموذج الحوار مع المشركين:

وصف القرآن حالة المشركين النفسية تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان موقفهم انفعالياً فجعلوا يردون بالتهم والتعجب ليريحوا أنفسهم من عناء التفكير بالاتكاء على تقليد الآباء:

[وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلا اخْتِلَاقٌ" (ص:4–7). فقابلهم الرسول بكل هدوء وطلب منهم إبداء الدليل على ما هم عليه من شرك: "**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**" (الأحقاف:4) "**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**" (الأنعام:148).

ولما عجز المشركون عن إقامة الدليل إذ مستندهم التقليد وإتباع الظن أقام الدليل عليهم "**أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)**" (الأنبياء:21–24) ، "**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**" (الإسراء:42). "**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**" (المؤمنون:91)

ولما لم يُجدِ الدليل العلمي العقلي على بطلان مُدَّعَاهم ، أتاهم بأدلة حسية مادية من الواقع تثبت بطلان ألوهية الأصنام "**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِي فَلا تُنْظِرُونِي**" (الأعراف:191-195) (195)، "**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً**" (الفرقان:3) "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**" (الحج:73)

كانت هذه بعض إحداثيات الحوار مع المشركين تجلت فيها معالم الاستقلالية التامة والحرية المطلقة التي أعطيت للمشركين حيث قُوبل توترهم وردهم العنيف بالدعوة إلى إبداء الدليل العلمي، وإذ عجزوا عنه أقيم عليهم الدليل العلمي والواقعي على بطلان دعواهم دون أن يتعدى ذلك إلى أي شائبة من شوائب الإكراه المادي أو النفسي.

9-3-4- الخلاصة

لقد كشفت لنا معالم المنهج الحواري في القرآن انه منهج لا يهدف أكثر من دعوة الناس إلى التعرف على الحق واكتشاف التي هي أقوم ، فالحوار وفق المنهج القرآني لاينطلق من منطق الوصاية على الآخر أو مجرد التعريف بما عند المحاور، إنما هي قضية بحث عن الحق أين كان، وهذا لا يعني أن المسلم عندما يدخل في حوار مع الآخرين قد تخلى عن تصوراته، إنما الموضوعية تتجلى في الاستعداد التام للتخلي عن جميع التصورات وتبني نقيضها إذا ما اتضح أنَّ الحق مع الرأي الآخر وهذا الاستعداد ليس مجاملة إنما هو تعهد يعبر عن مصداقية المسلم في اتباع الحق ، وهو تكليف إلهي صريح في محاورة الآخر "**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**". وإذا عرفنا هذه الأسس القرآنية لنجاح الحوار أو على الأقل عدم تحوله إلى الضد من أهدافه السامية ، عرفنا أسباب التردي والفشل في مختلف الحوارات التي تجري في واقعنا بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين وغيرهم، فهي حوارات يغلب عليها منطق الوصاية وإثبات الوجود، لذا فهي أبعد ما تكون عن القصد إلى الحق، وهذا طبيعي إذا فقد المحاور أهم أسس الحوار وهو الحرية الفكرية التي يستطيع الفرد من خلالها اتخاذ قراره الفكري.

9-4- القرآن الكريم يرسى القواعد الاساسية لمناقشة المخالف

9-4-1- مقدمة

حينما بدأنا كتابة هذا الكتاب انطلقنا بشكل عام من منطلق فكري بحت لأننا نحاور قوما لا يعترفون بالاسلام ولا نبيه ولا كتابه وخلال حوارنا مع اصحاب هذه الشبهات وقراءة ردودهم التي لا ننكر ان بعضها يستحق النظر توصلنا الى قواعد فكرية عامة تلخص نظرة الاسلام وحججه وأدلته وهذا طبعا بعد استشارة اهل العلم ومطالعة كتبهم وبعد كثير من التدقيق والتمحيص.. وشيئا فشيئا بدأنا الارتقاء بوضع القواعد فوجدنا ان بعضها مقدم على بعض فالقاعدة التي تجيب شبهة اساسية تختلف عن القاعدة التي تجيب شبهة فرعية. وهكذا تجمع لدينا في النهاية عدد محدد من القواعد والأدلة العامة تصلح للاجابة على كل شبهات المخالفين. ولم يكن مفاجئا لنا ان نجد هذه الادلة والحجج في فقرة صغيرة من القرآن الكريم.

9-4-2- الآيات

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ {23} أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ {24} وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {25} وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا

فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ {30} وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {31} وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ {32} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {33}

9-4-3- القواعد الفكرية الاساسية للرد على المخالفين

1- الدليل العقلي على وحدانية الله:

وهذه رد على الديانات الوثنية: **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**

2- اختصاص الله بمعرفة الحكمة الحقيقية من وراء كل الامور

وهذه رد على اكثر شبهات الملحدين كما مر معنا: **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**

3- البينة على من ادعى

اين الدليل العقلي على ألوهية غير الله؟ هذه رد على من ادعى ان المسيح عليه السلام ابن الله: **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**

4- اين الدليل النقلي على الوهية غير الله؟

هذه رد على من ادعى ان المسيح عليه السلام ابن الله، في اي كتاب ذكر ذلك؟ **هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي**

5- عقيدة الانبياء واحدة:

هل يعقل ان يأتي الله بانبياء يدعون الى عقيدة توحيده ثم يأتي بنبي يكسر القاعدة؟ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**

6- ليس له ولد.

هل يليق بالبشر ان يكون الها؟ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**

7- لم يدع الالوهية الا الله

وهذه رد على من يخترع اديانا من هواه وينصب الهة لم تدع لنفسها الالوهية: **وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**

9-4-4- الاعجاز العلمي

وبعد ذلك يذكر القرآن الكريم طائفة من اهم آيات الاعجاز العلمي في القرآن الكريم

- الأرض والنجوم والكواكب كانت مجتمعة في بدء خلق الكون ثم انفصلت عن بعضها البعض عقب الانفجار الكبير: **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**
- تحتوي الاجسام الحية على نسبة كبيرة من الماء فاكثر من ثلثي وزن الانسان مثلا مكون من الماء ويقول العلماء انه يستحيل ان تكون هناك حياة على اي كوكب ان لم يكن عليه ماء: **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**
- الجبال اوتاد تثبت الارض: **وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**
- الغلاف الجوي يحمي الارض: **وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**
- الشمس والقمر لهم مسارات يسيرون فيها: **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**

الباب العاشر: تأصيل الرد على الشبهات

تمهيد

هذا الباب الاخير في الكتاب ومهمته هي مراجعة ما مر معنا من قواعد وتطبيقها على الشبهات التي يطرحها المخالفين في مقالاتهم واكثرها لم يمر معنا سابقا والهدف هو ان نتعلم كيف نقارع المخالفين بالحجة والمنطق دون الدخول معهم في تفاصيل هذه الشبهات التي تبدو للوهلة الاولى كثيرة جدا من حيث العدد ولكن اكثرها يعود الى اصول سبق اشبعناها تمحيصا في كتابنا.

10-1- الخطورة الحقيقية للشبهات على الناس

10-1-1- مقدمة

الخطر الاساسي من الشبهات والذي يقوده النصارى واللادينيون بشكل اساسي ليس في كونها قد تفلح في تبديل الدين بل انها تنجح في تشكيك الناس بالاسلام وادلتنا على ذلك:

10-1-2- كيف يتكلم بالمنطق من لا يملك اي منطق في عقيدته؟

النصرانية دين لا منطقي في اساسه فلا ينفع ان تستخدم الاسلوب المنطقي في محاربة الاسلام في دين لا يقوم اساسا على المنطق بل على العواطف. ان كل ما يدعونه من شبهات منطقية ضد الاسلام لا يمكن ان يكون اكثر من نقطة في بحر امام لامنطقية التثليث او لا منطقية اخطاء الكتاب المقدس التي يعترفون بها وينسبونها الى بشرية كتبة الوحي. (وما قلناه عن النصرانية ينطبق على الالحاد الى حد ما كونه يفشل في تفسير اصل الكون بطريقة منطقية).

10-1-3- الشبهات لتي تطرح ضد الاسلام موجود ما هو اقسى منها في كتابهم المقدس

كل الشبهات التي تذكر ضد الاسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم (الحرب، التعدد، الطلاق، القصاص) موجودة وبصيغة اكثر قساوة في كتاب العهد القديم الذي يشكل جزءا من الوحي الالهي عند النصارى. صحيح ان بعض النصارى يعتبرون انه بمثابة الملغى تطبيقيا بقدوم السيد المسيح ولكن هذا لا يغير في الامر شيئا.. فنحن لا نهتم بمقارنة الافعال نفسها بل نرد تهمة وحشية اله الاسلام المزعومة والتي شكلت بنظر النصارى الدافع الاساسي لرفض الاسلام.. نحن نسأل اليست هذه التصرفات موجودة يا ترى في العهد القديم؟ وبالتالي هل كان اله العهد القديم وحشيا؟ اذا كان الجواب نعم وصلنا حقنا ذلك ان إله العهد لقديم هو إله النصارى نفسه.

10-1-4- تعاليم النصرانية غير قابلة للتطبيق

ان جل انتقاداتهم للاسلام مبنية على مقارنة تصرفات المسيح عليه السلام بتصرفات محمد صلى الله عليه وسلم علما انه كما يعلم أي قارىء بسيط بأن التجربتين مختلفتين في الظروف. وعندما ياتي أي انسان ليطبق تعاليم المسيح يجد انها غير قابلة للتطبيق. ثم ان هناك امر آخر.. اين النبوغ في التعاليم المثالية التي نسبوها للمسيح؟؟ لم علينا ان نؤمن بالنصرانية؟ فقط لأن المسيح دعا الى المحبة والتسامح؟ وبم تتفوق النصرانية على البوذية؟ ولم لا نخترع دينا جديدا يتفوق على الاثنين في التسامح. لم لا نمنع مثلا قطف الزهور لانها كائنات حية تتعذب؟؟ لم لا ندعو الى الانسلاخ عن أي شهوة او أي تعبير انساني للوصول الى السمو الروحي؟؟ وهناك امر آخر ايضا يلاحظ في الدعوة النصرانية وهو كون المحبة مزيفة.. يشعر القارىء بها.. وكأنها مجرد سنارة لتعليق السمكة.. حينما تدعو الانسان الى دينك فقلبه يستشعر بما تكنه له.. يكره النصارى المسلمين ونبيهم فكيف يدعون ان قلبهم عامر بالمحبة؟؟ علما اننا لم نطلب منهم يوما ان يحبوننا ولكن ان يكونوا موضوعيين فحسب.

10-1-5- الالحاد والعلمانية هو الرابح من هجوم النصارى ضد الاسلام

كثيرا ما تجد منتجات تتنافس على صفقة ما فيربح منتج منافس آخر يستفيد من الحرب بينهما.. ان حرب النصرانية ضد الاسلام لا تنجح الا بتحويل بعض المسلمين الى علمانيين او انصاف ملحدين... ذلك ان النصرانية كما رأينا تنتقد ذاتها حينما تهاجم اسس

الاسلام. كما ان تحول المسلم الى نصراني ليس سهلا اجتماعيا بخلاف تحوله الى علماني او لا ديني فهذا سيبقى من ضمن خياراته الشخصية التي يحتفظ بها لنفسه (في الاصل يمكن ان يكون هذا المسلم مسلما بالاسم فقط نتيجة غياب التربية الدينية).

10-2- المرتكزات الاساسية لهذه الشبهات من حيث الاسلوب.

10-2-1- مقدمة

معظم المقالات التي تهاجم الاسلام تكتب على نسق واحد واسلوب موحد، دعونا نلقي نظرة على هذا الاسلوب.

10-2-2- اسلوب التكثيف في الهجوم والشتائم

نجد مثلا في المقال الواحد عشرات الشبهات ضد الاسلام وكل شبهة منها تحتاج الى صفحات لتفسيرها. هذه الطرق يقصد منها اغراق الخصم بالحجج لإسكاته لا الوصول الى الحق عبر الحوار. اذ يستحيل ان يرد على كل هذه الشبهات في مقال صغير.. وفي هذه الحال ننصح القارىء اللبيب ان يمسك باسخف شبهة منها لاثبات سطحية كاتب هذه الشبهات. طبعا هذا من حيث المنهجية غير منطقي في العادة فالأفضل ان تجيب على اقوى الشبهات ولكن عندما يكون أسلوب الهجوم رخيصا لا يمكن ان تستعمل المنطق معه بل ترد عليه بالمثل.. وحينما يعمد الخصم الى الشتائم والاستهزاء فعلام تجيبه؟ نحن لا نقول نرد بالمثل في هذه الحالة. ولكن نقول ان عليك فضح اساليبه لا مضمون كلامه الذي لا يساوي شروى نقير. جميعنا يذكر حين اندلاع ازمة سلمان رشدي ان الغرب طالبنا بالحوار واحترام الرأي الاخر.. ونحن نسأل اين الحجج في سخافات سلمان رشدي؟؟ انها مجرد شتائم مجموعة ضمن دفتي كتاب.

2-10-3- اسلوب تسليط الضوء على حادثة فرعية والمبالغة

وهذه طرق مستعملة بكثرة خاصة عند الغربيين وليس فقط في نطاق الشبهات ضد الدين بل في اي امر آخر حيث يركزون على نقطة فرعية من الاسلام او احيانا من تصرفات المسلمين التي لا علاقة بها في الاسلام وينطلقون منها لمهاجمة كل الدين. مثال يسلطون الضوء على حادثة فريدة كذبح صحفي اميركي على يد متشددين اسلاميين او رجم امراة افريقية بتهمة الزنا. واحيانا يرجعون الى الوراء فيتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بالعنف لانه امر باغتيال شخص ما وينسفون من تاريخه كل المبادىء الانسانية العادلة التي نادى بها. ان تقول ان بعض تصرفات الاسلام فيها وحشية فهذا امر نناقشك به.. قد تقنعنا او نقنعك.. ولكن ان تقول ان تاريخ المسلمين ماضيا وحاضرا هو دموي برمته دونا عن سائر الشعوب والامم فهذا تجني رخيص لا يقبله أي عقل منصف ولا يستحق ان نرد عليه.

10-2-4- اسلوب الاجتزاء خارج السياق

غالبا ما يأتي مقترنا بالاسلوب السابق اذ لا يكتفي الخصم بتسليط الضوء على جزئية معينة في الاسلام لا تعبر عن فلسفته الشاملة بل ينسى او يتناسى كل ما يرتبط بها من احداث بررت هذا الفعل. فهو مثلا ينظر الى الاعمال الاستشهادية ولا يرى جرائم الاحتلال التي ادت اليها.. ينظر الى هجوم الرسول صلى الله عليه وسلم على قافلة لقريش او على اليهود او على الروم وينسى ان قريش اخرجت الرسول صلى الله عليه وسلم من وطنه بعد ان اضطهدت اتباعه وان اليهود خانوا المسلمين خيانة عظمى كادت تتسبب باستئصالهم وان الروم كانوا يهددون العرب في كل مناسبة على مدى قرون..

10-2-5- اسلوب يحق لنا ما لا يحق لغيرنا

رغم ان الغربي تخلى عن الدين في كثير من جوانب حياته الا انه ما زال ينظر اليه نظرة طوباوية بمعنى انه يعتبر ان الدين مقدس وراق وسام حتى لو لم يكن هو ملتزما بتعاليمه. لذا لا تستغرب ان يأتي الغربي ويقول لك : انا لست متدينا فيحق لي اذن ان اقوم بما يحلو لي.. اما انت فمتدين فعليك ان تصبر على كل ما اقوم به من افعال شنيعة بحقك. من تطبيقات ما نقول ان وثيقة المثقفين الاميركيين دعت الى حظر القتل باسم الله منتقدة بذلك العقيدة الجهادية الاسلامية ولكنها لم تحرك ساكنا لادانة القتل بأسم الشيطان الذي تقوم به القوى الاستعمارية الجديدة.

10-2-6- اسلوب الالتفاف الادبي

هذا من خصائص العلمانيين العرب الذين تشبعوا بالثقافة الغربية حتى الصميم فتجد مقالاتهم دائما تبتدأ بنفس الاسلوب. يبدأون بذكر انجاز غربي تقني كاختراع كاميرا بحجم الاصبع ويقارنون هذا الانجاز بكلام شيخ مغمور افتى بشيء غريب من منظار عصرنا مثل فتوى رضاعة الكبير. ويخلصون في النهاية ان سبب التخلف هو الدين وان الحل هو بالنظام الغربي. وطبعا اذا قرأنا المقال كله فلن نفهم ما الرابط بين هذا وذاك؟ المقال بمجمله يستند على صيغ وتعابير أدبية تهزأ من الدين وتعظم الغرب ولكن لا توجد فيه أدنى حجة منطقية.

10-2-7-الاسلوب الفكري الثقافي المتعالي

يستعمل المتنورون كلمات لا تدور على السنة الناس العاديين وكثير منها من اختراعهم وذلك لخلق شعور بدونية معينة لدى القارىء يسيطرون من خلالها عليه. فالإنسان حتى لو لم يفهم هذه الكلمات يعجب بهذه المصطلحات ويظن كاتبها فهيما: ايدولوجيا.. ادلجة.. ميتافيزيا..

10-2-8- استعمال مصطلحات العقل والمنطق والفكر

يستعمل المتنورون عبارات تركز على المنطق والفكر للايحاء بأنهم منطقيون في كل ما يخطونه متناسين ان عبارة "لنتكلم بمنطق" وحدها لا تكفي للدلالة على كون الكلام منطقيا فهي عبارة مستعملة من الكل.

10-2-9-الرسائل المبطنة والخفية

لا يقوم العلماني بنقد القرآن والرسول والدين مباشرة بل يعمد الى مصطلحات مبهمة مثل الخطاب الاسلامي والفكر الديني، ومن ثم وبعد التمهيد النفسي يعمد الى مهاجمة الاسلام نفسه بدون مواربة في جمل مشرذمة هنا وهناك.

10-3- الرد على مقال ملحد:

10-3-1- مقدمة:

فيما يلي سنناقش مقال شيطان امة "مكانك قف" الذي كتبته كاتبة ملحدة في احد المواقع على النت.

10-3-2- مضمون المقال

كم مرةً جربت أن تلعب لعبة " الاختباء" في صغرك ؟.. أن يغطي احدهم عينيك بشريطٍ قماش ، ويجعلك تركض خلفه حتى تسقط او تمسكه؟ ماذا كان شعورك وأنت تسير غير مبصرٍ ولا تعرف هدفك؟ أجل ، هو شعورٌ بالعجز ، بالشلل ، ولو للحظات ! إذن ، كيف تشعر الامة الاسلامية اليوم بعد سيرٍ لاربعة عشر قرناً وهي لا تأكل ولا تشرب ولا تفقه سوى من صحراء الماضي؟ وأين هي " خير امة انزلت للارض"؟ ام انها لازالت مصرةً على المشي حافيةً عارية في الظلام ؟ إنه حقاً لأمرٌ غريب فاليوم نجد انه اذا تعطل احد الروبوتات او الحواسيب فسنستطيع اعادة برمجته من جديد وبكل سهولة ، لكن كيف يا ترى سنستطيع اصلاح ما افسد الدهر في عقولٍ ادمنت الكسل ، التخلف، الرجعية والموت؟ فهي تنفست عبر مئات السنين من رئتي نصٍ استباح الغزو وجمع النساء كالخراف " فانكحوا ما طاب لكم وما ملكت ايمانكم" ! قيل لي في صغري عندما كنت طفلة ساذجة يوماً ان علي ان ادافع عن كل ما جاء في كتاب ديني المقدس ولا يهم ان فهمته ام لا ..المهم ان ادافع ويجب علي ايضا " نصرة اخي ظالماً او مظلوماً " فقدوتي لا بد وان تكون محمد شئتُ ام ابيت وهو كان مبدعاً بالسيف ، فحتى اني اذكر قوله " رزقي تحت سيفي" .. عجيبٌ هو امر معلمة الدين التي حاولت وبكل قواها ان تجبرني على حضور حصة الدين وان تجعلني احفظ الآيات القرآنية رغماً عن انف شكي وعدم ايماني ، فقد كنت شغوفةً بقراءة الادب والفلسفة ولم تكن يعنيني كثيرا حفظ تلك الاية التي تحثني على حمد الله وطاعته رغم عدم تأكدي من وجوده اصلاً ! أجل ، اعترف اني كنت طالبة مجتهدة وذكية جدا ولم احصل على اقل من تقدير " ممتازة" إلا في حصة الدين فقد كنت اُطرد دوماً بسبب " نقاشي وسؤالي الكافر" كما نُعتُّ آنذاك .. فان كان المرء فضولياً مثلي ويحب معرفة " البيضة مين باضها والدجاجة مين جابها " فأي ديانةٍ هذه التي تقمع الإنسان وتمنعه من البحث والتمحيص ؟ وإذا كنا " خير امة اخرجت الى الارض" وقد توصل قرآننا الى كل الحقائق المطلقة ، فلم نحن اليوم صرنا امة " مكانك قف " ؟

سيتحذلق بعض الشيوخ والمتدينين ليقولوا " لأننا شعب تخلى عن دينه وسار في ركب الحضارة والحداثة واتبع اهواءه " ، وهنا لا املك سوى ان استعيذ من الجهل والحماقة ، فكيف تريدون مني ان اصدق ان الله " إن وُجد" كان سيسمح بإهانة المرأة المسلمة الى هذا الحد ؟ ام ان علي ان اصدق ان قوانين البدو في الجزيرة العربية قبل اربعة عشر قرناً ستصلح لعصرنا هذا بعد ان مات محمد ودفنت معه تعاليمه التي سنها خصيصاً على قياسه وحده !! نحن امة " مكانك قف " لاننا امة جبانة ، تخشى التحليل والبحث والسؤال ، فحين يصير مسرح حياتنا متمحوراً على مفترق طرق بين مخافة الله التي تجعلنا نعيش في جلباب الماضي ونسيان حاضرنا ومستقبلنا ، وبين لادينيتنا واتباعنا لطريق الشيطان (هذا ان كان هنالك شيطان اساساً) هو همنا الشاغل ..فعلى الدنيا السلام ! سأفترض جدلاً اني مقتنعة 100% بوجود الخالق ، اين هو؟ وإذا كان هو من خلق هذا العالم ولم يخلق العالم بالانفجار العظيم ، ألا يفترض بي ان افكر ان هنالك خالق لهذا المسؤول عن هذه المنظومة الكونية ؟ فالقاعدة العلمية تنص على " ان لا شيء يولد من العدم " إذن لماذا اقبل ان اُقنع نفسي ان هنالك خالق خلق العالم وهو وُجد من اللاشيء ؟ لنقل انه كذلك..اين هو الدليل على ان كل هذه الآيات القرآنية هي إلهية وليست من صنع البشر؟ حقاً انه لأمرٌ عجيب ان تصب كل الآيات في مصلحة محمد وحده..و"ليولع كل العالم بكاز " فيحق له ان يحتل ويغزو..ويحق له خيرات كل بقاع الارض بادعاء نشر الاسلام ، ويحق له وحده إتيان المرأة حتى وهي حائض..ويحق له الزواج بالعديد من النساء ...وتحرم على بقية امة المسلمين . لماذا تجمد المسلمون بفكرهم وامجاد ماضيهم بعد ان طغى النص القرآني على عقول الجهلاء وعلى مدار مئات السنين؟

لقد لعبت اللغة دوراً كبيراً ، فاللغة القرآنية كما قال ادونيس " هيمنت على عقول الناس بوصفها خاتماً للوحي وشكلت اعجازاً على الصعيد الكتابي " وكيف ذلك ؟ حين يؤمن البشر بانقطاع الوحي وبمطلقية الحقيقة فان الفكر يرفض تصديق انه قادر على الخلق والابداع وهنا تكمن الطامة الكبرى ! لقد كان اهم اهداف النص القرآني وعلى مر العصور الغابرة احياء الشيطان وغرز مئات السكاكين في رحم التساؤلات ، حتى يكبت الإنسان القارئ ويرسم في فكره ان الشيطان هو طريق الخطيئة وان من يتبع خطاه فسيهلك في النار ومن هنا نبعت تربية اطفال المسلمين الفاشلة التي حقنتهم بالخوف من الوريد الى الوريد ومنعت عنهم التساؤل والشك ، وبما ان علماء النفس عرّفوا الخوف على انه " قلقٌ نفسي لا يخضع للقدرة العقلية ومن الصعب السيطرة على هيمنته العصبية الانفعالية " فقد استطاع الاسلام اللعب على هذا الوتر وبفنية متقنة ، وهكذا فقد اختزنت في عقول اجيالٍ بعد اجيال بلايين الشحنات من الخوف والقلق موهمةً اياهم انهم طالما ابتعدوا عن " ابليس المزعوم" وطالما اتبعوا النص القرآني بحذافيره (والذي له اصلاً مئات التأويلات والمعاني) فهم بألف خير !! لطالما كان الانسان باحثاً ولاهثاً وراء الاساطير والخرافات وبها قد يجد اجاباتٍ عدة لا يستطيع الوصول اليها في عالمه الواقعي ، لذا فحين يعجز المرء منا عن ان يفسر امراً ما في عقله فهو يلجأ " لخرافة الشيطان" على سبيل المثال ، حتى لو تعارضت مع منطقه ، فحدوده الفكرية تقوده الى تصديق وهم الشيطان والذي هو بمثابة اكثر الحلول مثالية في معتقداتنا الدينية !

إذن من هو هذا " الشيطان "؟

هو مجرد فكرة موجودة لدى اغلب الشعوب ، وعادة ما يطلق عليه اسم " ابليس " ، أي من " البَلَس " والتي هي في لغتنا العربية بمعنى اليأس– فهو يئس من رحمة ربه ، او بمعنى افسد بين البشر ، او هو تلك الحية المصورة في الفولكلور الأوروبي ، فهو تلك الافعى التي اغوت حواء بأكل التفاحة حسب حكاية آدم وحواء. لكن الغريب هنا هو كيف استطاعت هذه الخرافة السيطرة على كل هذا الكم الهائل من البشر وعلى مر السنين؟

من المعروف ان لدى كل فرد منا الوعي واللاوعي ، وحسب علم النفس الحديث فحتى الكذبة اذا عاشها المرء طويلاً فسيصدقها بعد حين ، لدرجة انه سيتخيلها موجودة في وعيه حقيقةً وواقعاً . إذن ، فالشيطان هو فكرة تخزنت في اللاوعي منذ اكثر من الف سنة لدى اجدادنا وآبائنا وانتقلت إلينا وتكررت على مر العصور ، فتحولت من وهمٍ الى حقيقةٍ تخيفنا ، ترعبنا ، لا وبل تلهو بنا ايضاً ، ولهذا فالمسلم يعلق كل حياته على اجنحة وسواس الشيطان الوهمية وبسير مغمض العينين تائهاً ، جاهلاً ، واهماً ان هنالك قوة شر تحركه ، وهو مجرد متلق مغلوب على امره ..فلا حل لديه سوى بالهداية الدينية !! فإذا كان الشيطان هو من سيقودني الى متعة كأس من الخمر المحرم في الاسلام (رغم عدم وجود آية صريحة بذلك...والآية والوحيدة التي حثت على الابتعاد عنه

هي " ان الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه "..وهنا ذكر اجتنبوه..أي ابتعدوا عنه وليس حرام عليكم) فسأتبع قول المسيح عندها : " قليلٌ من الخمر يفرح القلب "... وان كان الشيطان هو ذاك الذي سيمتعني بنشوةٍ بعد كتابة كل قصيدة فأهلا وسهلا به متى شاء ... واذا كان الاسلام وحده من يوهمني بأن كل الكتب السماوية الاخرى محرفة ووحده القرآن ليس كذلك ...فلحسن حظي اني مللت من الخرافات حتى قبل ان اولد !

10-3-3- الشبهات المطروحة في هذا المقال

- **من خلق الله:** فالقاعدة العلمية تنص على " ان لا شيء يولد من العدم " إذن لماذا اقبل ان أُقنع نفسي ان هنالك خالق خلق العالم وهو وُجد من اللاشيء ؟
- **نسبة الظلم الى الله:** " إن وُجد" كان سيسمح بإهانة المرأة المسلمة الى هذا الحد ؟
- **نسبة اهانة المراة الى الاسلام:** " إن وُجد" كان سيسمح بإهانة المرأة المسلمة الى هذا الحد ؟

الادعاء ان الاسلام هو سبب التخلف: فلم نحن اليوم صرنا امة " مكانك قف " ؟ سيتحذلق بعض الشيوخ والمتدينين ليقولوا " لأننا شعب تخلى عن دينه وسار في ركب الحضارة والحداثة واتبع اهواءه

ادعاء ان الاسلام يحث على الاتباع والتقليد: عندما كنت طفلة ساذجة يوماً ان علي ان ادافع عن كل ما جاء في كتاب ديني المقدس ولا يهم ان فهمته ام لا.

- **ادعاء ان الرسول يحق له ما لا يحق لغيره:** ويحق له وحده إتيان المرأة حتى وهي حائض..ويحق له الزواج بالعديد من النساء ...وتحرم على بقية امة المسلمين
- **شبهة العنف في الاسلام:** فقدوتي لا بد وان تكون محمد شئتُ ام ابيت وهو كان مبدعاً بالسيف
- **اتهام القرآن الكريم بالعنصرية:** ... واذا كان الاسلام وحده من يوهمني بأن كل الكتب السماوية الاخرى محرفة ووحده القرآن ليس كذلك
- **اتهام المسلم بالتحجر والعجز عن النقاش والانشغال بالتكفير:** حين يؤمن البشر بانقطاع الوحي وبمطلقية الحقيقة فان الفكر يرفض تصديق انه قادر على الخلق والابداع وهنا تكمن الطامة الكبرى
- **اتهام الشريعة بانها غير قادرة على التجديد:** ام ان علي ان اصدق ان قوانين البدو في الجزيرة العربية قبل اربعة عشر قرناً ستصلح لعصرنا هذا
- **اتهام القرآن الكريم بأنه حمال اوجه:** " وطالما اتبعوا النص القرآني بحذافيره(والذي له اصلاً مئات التأويلات والمعاني)
- **الاحتجاج بعلم النفس لتفسير ظاهرة الدين:** فالشيطان هو فكرة تخزنت في اللاوعي منذ اكثر من الف سنة لدى اجدادنا وآبائنا وانتقلت إلينا وتكررت على مر العصور
- **ادعاء ان الالحاد هو مرادف للثورة والحرية:** عجيبٌ هو امر معلمة الدين التي حاولت وبكل قواها ان تجبرني على حضور حصة الدين وان تجعلني احفظ الآيات القرآنية رغماً عن انف شكي وعدم ايماني ، فقد كنت شغوفةً بقراءة الادب والفلسفة ولم تكن يعنيني كثيرا حفظ تلك الاية التي تحثني على حمد الله وطاعته رغم عدم تأكدي من وجوده اصلاً !
- **اتهام الاسلام بالحجر على حرية الفكر وتحريم التساؤل:** فأي ديانةٍ هذه التي تقمع الإنسان وتمنعه من البحث والتمحيص
- **التشكيك في حفظ القرآن دون غيره من الكتب السماوية:** واذا كان الاسلام وحده من يوهمني بأن كل الكتب السماوية الاخرى محرفة ووحده القرآن ليس كذلك

الاسلام اساطير والالحاد علم: ...فلحسن حظي اني مللت من الخرافات حتى قبل ان اولد !

10-3-4- الردود على الشبهات بشكل مختصر

1- بالنسبة لسؤال من خلق الله؟

لا يقارن رب العالمين بالمخلوقات فهي تحتاج لخالق لأنها متغيرة اما خالق الخلق فلا تنطبق عليه هذه القوانين التي وضعها ومن يفكر بهذه الطريقة يكون كلعبة الزنبرك التي تظن ان صانعها يتحرك بالزنبرك..

2- نسبة الظلم الى الله

مستحيل ان يكون رب العالمين ظالما لان الظلم هو التعدي على الحقوق والحال ان الله لا قيود تقيده فهو متصرف في ملكه.

3- نسبة اهانة المراة الى الاسلام

القضية ذوقية.. ففي مفهوم الغربيين التعري تحرر وتكريم وفي مفهومنا الستر هو التكريم.. في مفهومهم المساواة مع الرجل تكريم وفي مفهومنا المساواة معه ظلم.. فالشبهة مدفوعة اصلا لانها قضية ذوقية وليست دليلا او حجة على شيء.. ونحن نقول هذا مع يقيننا بان الحق هو فيما اختاره الله للمرأة و ان ليس هناك دين كرم المراة كما كرمها الاسلام.

4- بخصوص ان الاسلام سبب التخلف

نرد بامرين:

- الاسلام حث على طلب العلم ولا يعاب على الاسلام ان ترك المسلمين هذه الوصية

- لم تحكم الدول العربية بالاسلام اصلا بل بالعلمانية والالحاد.. فكيف تعتبر الكاتبة ان الاسلام هو سبب التخلف في حين ان من يسيطر على البلاد العربية هم الملحدين والعلمانيين من امثالها؟.

5- الادعاء ان الاسلام يحث على التقليد

لا يعاب على الاسلام ان وجد من ابنائه من يحبذ التقليد على عكس ما يأمره به دينه. فالاسلام جاء لينهى عن التقليد الأعمى إذ قال تعالى: **(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)!!**

6- يحق للرسول ما لا يحق لغيره

ادعاء باطل فالرسول له خصوصية في بعض الامور القليلة وبعضها فيه مشقة مثل الوصال في الصوم.. والزواج من اكثر من امراة كان لحكمة فصلناها في مكانها اما قضية اتيان المراة وهي حائض فلا اساس لها وهي دلالة على جهل الكاتبة بامور ديننا

7- شبهة العنف

هل يحق للإمبراطوريات الإحتفال بانتصاراتها واحتلالها لأراضي البشر واستعبادها للأمم، ولا يحق للمسلمين نشر الاسلام وتحرير العباد من عبودية العباد الى عبودية رب العباد؟ هل يحق لسائر الامم ان تحرر اراضيها ولا يحق للمسلمين استرداد حقوقهم وأراضيهم والدفاع عن أنفسهم ومواجهة من يتربص بهم؟؟ هل الهجوم والظلم مقبول والدفاع عن النفس ظلم وعنف؟؟!!

8- قضية حفظ القرآن من دون سائر الكتب

هناك ادلة مادية ان القرآن لم يحرف في حين حرف غيره من الكتب وقد افضنا في ذكرها ولا نظن احدا يجادل فيها .. بالتالي ليست القضية اتهام منا بل هو امر مثبت من اهل هؤلاء الكتب.. والحكمة في حفظ القرآن الكريم دونا عن سائر الكتب هي في كون الاسلام آخر الرسالات السماوية فوجب حفظها لعدم وجود نبي يصحح الانحراف في حال حصوله.

9- **اتهام الشريعة بانها غير قادرة على التجديد:**

أحكام الشريعة الإسلامية كلها، لا تخرج عن الانتماء إلى أحد هذين المثالين: ثابت لا يتبدل، لأنه مرتبط بنظيره من وقائع الكون وسنن الحياة الآلهية أو معرض للتطوير والتغيير، لأنه مرتبط بما لا استقرار له من شؤون الكون والحياة. وإننا لنلاحظ هذه الحقيقة عندما نتأمل في مصادر الشريعة الإسلامية الأصلية منها والتبعية فإن معظمها منفتح على تطورات الكون والحياة والتأثر بها والدوران معها

10- **اتهام القرآن الكريم بأنه حمال اوجه**

قد يكون أمر حمل القرآن للأوجه صحيحا بالنظر إلي الآيات المتشابهات التي تحتمل أكثر من فهم, والمنحرفون الذين في قلوبهم زيغ دائما يعتمدون في استدلالاتهم علي المتشابهات ويعولون عليها, ويتجاهلون الآيات المحكمات- اللاتي هن أم الكتاب وأصله - والتي تشكل العمدة في الفهم والاستنباط وإليها ترد المتشابهات, وإليها يرجع المتنازعون في التفسير والاجتهاد. والحكمة من الخلاف الفقهي الناتج عن اختلاف التفاسير هي ان يكون للامة سعة ومرونة في فهم الاحكام وتطبيقها.

11- الاحتجاج بعلم النفس لتفسير ظاهرة الدين: كون الانسان مفطور على الحاجة لرب يحميه او يشعر بوجود مصدر خارجي للشر لا يعني البتة ان هذه الامور غير موجودة فعلا.. ارأيت ان كنت في الصحراء وشعرت بحاجة للماء هل نقول ان الماء لا وجود له بدليل انك شعرت بالحاجة له؟ هل ندعي انك اخترعت فكرة الماء؟ أرأيت ان ولدت في جزيرة نائية ولم تعرف جنس النساء ولكن شعرت بحاجة لوليف رقيق تسكن اليه فهل هذا دليل ان جنس النساء غير موجود؟؟ نحن نرى وعلى العكس مما يرى الملحد ان هذه المشاعر الفطرية هي اكبر دليل على وجود الله فالله هو الذي زرع فينا هذه الحاجات او الافكار الفطرية.

12- ادعاء ان الالحاد هو مرادف للثورة والحرية: الحقيقة هي ان كل انسان عبد فالملحد هو عبد للهوى و للشهوات وللشيطان الذي يزين له سوء عمله والمؤمن عبد لله ونحن لا نرى في عبودية الله ذلا بل نفتخر بذلك.. في مطلق الاحوال ليس في اتهامنا بهذا الامر اي دليل فنفسية المؤمن مغايرة لنفسية الكافر بالله ولا احد يعيب على الولد تعلقه بأمه وطاعته لها ولا أحد يعيب على المرأة اكبارها لزوجها واحترامها له وطاعتها له فبالأحرى الا تعاب علينا عبوديتنا للذي خلقنا وانعم علينا.

13- اتهام الاسلام بالحجر على حرية الفكر وتحريم التساؤل: هذا اتهام باطل لا اساس له من الصحة فقد اشرنا من قبل ان الاسلام ينهى عن التقليد الاعمى ويحث على التفكر واعطينا امثلة عن اسئلة الملائكة والانبياء اما الاسئلة المكروهة في الاسلام فهي الاسئلة التي تهدف الى التملص من الاحكام او الهاء العقول بما لا يفيدها في دنياها وآخرتها.

14- الاسلام اساطير والالحاد علم: بينا ان الاسلام يحث على العلم ويستند اليه ويتواءم معه اما الالحاد فهو يناقض العلم في محطات عديدة ويتهرب من المنطق ويتبع الهوى ويعجز عن تفسير كثير من الامور التي يفسرها الاسلام بطريقة تقنع العقل والقلب والروح.

15- اتهام الاسلام بالعنصرية: ان نقد الاسلام لانحرافات اليهود والنصارى ليس عنصرية لأنه ينتقدهم على اشياء منفكة عن خلقتهم قادرين على تغييرها.. أرايت لو انك انتقدت شخصا لجنسه ولونه واصله و طبقته الاجتماعية فهذه عنصرية لانها امور ليست بيده اولا وليست مما يعاب ثانيا.. اما ان انتقدته على كفره وسوء عمله وصده عن سبيل الله وظلمه فهذه انتقادات للشر الذي يحمله والذي يستطيع ان يتخلص منه بارادته ان اراد او اقتنع.. ثم ان الملامة تصدر من رب العالمين نفسه وليس منا نحن فكيف نحاسب رب العالمين على كلامه وهو الغني الحميد المستغني عن عباده الذي لا يسأل عما يفعل؟؟ علما ان رب العالمين لا يحابي طائفة لمجرد انتماءها لأسم ما فالعبرة بما وقر في القلب وما صدقه العمل لا بالاسم والانتماء الكاذب. :**"ليس بأمانيكم ولا أماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به"**.

10-4- الرد على مقال علماني

10-4-1- مقدمة

فيما يلي سنناقش مقال "خطر الفكر الديني" الذي نشر في موقع ايلاف المعروف وهو لكاتب علماني.

10-4- 2- مضمون المقال

ثمة منظومة فكرية قدّمها العرب والمسلمون، خلال تاريخهم الإشكالي والدامي الطويل، والممتد منذ ألف وأربعمائة عام، والذي يتفاخرون به كإنجاز فريد، ويعتبرونه، كبديل مقدس، ووحيد ولا غنى عنه البتة، وعلى حد زعمهم، لمجمل التراكم الفكري والفلسفي وخلاصة التجريب الإنساني العظيم، لم تفلح في خلق مجتمع وردي ومثالي كما يروج بعض الحالمين المخدرين، أو في إيجاد صيغة منطقية وتكاملية ثابتة تحكم العلاقة بين الإنسان والواقع وشتى المشكلات التي تعترض سير حياته. بل ظلت، في الغالب، ترتكز على أسس متغيرة وقابلة للتحول ومتبوعة حصراً للمصلحة والحساب السياسي، ووفقاً لأهواء ورغبات من تصادف أن وقف على رأس الهرم السياسي. وقد أسهمت الإشكالات النصية الكثيرة والمبهمة أحياناً، وتوابعها السياسية الخلافية، في غوص العرب والمسلمين في لجة عميقة، ولا قرار لها من الجدل والصراع المرير على صغائر ومواقف كانت في الغالب دنيوية، ولم يتم حصول أي إجماع عليها حتى يومنا هذا. ومن هذه الخلافات والاختلافات في الرؤى ووجهات النظر انبثقت الفرق "الضالة" و"المارقة" و"الرافضة"، وتقلصت الفرق "الناجية"، إلى فرقة واحدة، لا ثان لها، ولا أحد يعرف، بالآن، وبالضبط، من هي، وإن

كان الكثيرون ينسبون أنفسهم إليها بكل يسر وبساطة ويـُـخرجون الآخرين من كل ملة وإيمان ودين ويقين وينعتونهم بأشنع الألفاظ والأقاويل.

لقد فاقمت تلك الإشكاليات النصية والتفسيرية والرؤيوية من حدة الانقسامات والخلافات في المجتمعات العربية والإسلامية إلى حد فـُـصمت فيه كلية عرى المجتمعات، وتحللت فيها إلى طوائف هزيلة وملل ونحل متناحرة وعصبويات فئوية وقبلية وعشائرية متباغضة، وتآكلت كل مفاهيم الوطنية والوحدة المجتمعية والانتماء. وازدادت سطوة الجهلة ونفوذ التكفيريين وعمليات التخوين المتبادلة المنطلقة من كل حدب وصوب، وانتهت معها وإلى الأبد، وبحمد لله وفضل منه، أسطورة الأمة الواحدة القائمة على أساس واحد توافقي متين. والأنكى من ذلك هو ذاك الإصرار على التمسك بتلك "الثوابت" الافتراضية والمنطلقات الفكرية الغيبية التي لم تثبت جدواها ونجاعتها في بناء مجتمع سليم، ولم تفلح لا في بناء إنسان معافى ولا قويم، ولا إنتاج حضارات ومجتمعات يمكن لها أن تصمد في وجه عوامل التمدد العولمي المتغول، يمكنها من أن تنافس في هذا السباق الدولي العظيم، بل تخلفت وصارت في أسفل السافلين، اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، وفي شتى الميادين. وتتجلى تلك الدعوات بالرفض المطلق الغريب لكل ما هو مستحدث وجديد على الفكر الإنساني، أو الأخذ بأسباب النهوض الحقيقي بالتوازي مع إصرار مذهل وعجيب على البقاء في دائرة تلك المجاهيل المظلمة والمناخات المتجمدة وترديد نفس تلك الترانيم، وتقديس ذات الأقانيم. وهذا بالضبط ما يفسر هذا الخوف المشوب بالتوتر من الآخر وثقافته التي يبدو أنها بدأت تسيطر وتثبت جدواها وتأتي على ما تبقى من مصداقية الفكر التقليدي القديم. وطالما أن تلك الثوابت لم تحقق أية نتائج ملموسة تنعكس خيراً ورفاهاً فلا يعرف بالضبط السر الكامن وراء التمسك بها اللهم سوى استمرار الأوضاع الراهنة المزرية على ما هي عليه إلى أبد الآبدين بما في ذلك من مصلحة كبرى لقوى النهب والتشليح والتجويع.

والخطر الأكبر للفكر الغيبي هو في تخطي الواقع بشكل اعتباطي وتجاهله، ورد كل الظواهر الحياتية الضاغطة ومتناقضاتها الحادة وأوضاعها المزرية، كالفقر والجوع والاستغلال والظلم والاستعباد والفقر، إلى رغبة ربانية سامية لا تجوز المجادلة فيها أو النقاش حولها. وأن مصير الإنسان مقرر ومقدّر في عوالم بعيدة لا أرضية لا يملك حولها لا حول ولا قوة ولا سبيل لتغيير الواقع إلا برغبة سماوية وما عليه إلاّ الاستسلام، وأن السلطات الحاكمة هي مرسلة ومباركة من السماء ولا تجوز مساءلتها، ولنا أن ندرك حجم الخدمات الجليلة التي يسديها مثل هذا الافتراء والاستهبال لاستدامة البغي والظلم والطغيان وتشريعه. **كما أثبت الفكر الديني عجزه وعدم قدرته على حل أبسط الطبيعية التي لا تحتاج**، فصلوات الاستسقاء مثلاً، لم تنجح البتة، ولم تكن الحل في استمطار السماء وإيتاء الغيث لأراضي المقدسات الصحراوية والتي تنعم بقحط وجدب وجفاف مزمن، فيما تغرق بلاد بوذا بالأمطار، وحتى الفيضانات على مدار العام، وإن كان الإسلامويون يردون ذلك إلى غضب من الله لا علاقة له، طبعاً، بظاهرة النينيو، أو الاحتباس الحراري الذي بات يغير من مناخ الكرة الأرضية برمتها ويشكل تهديداً جدياً لها.

وفي أدبيات الخطاب الديني المعهودة، وبكل ما فيها من تبسيط وتجهيل وتسطيح، كلام كثير وكبير عن فضل العرب والمسلمين على العالم، وأن كل علوم الغرب والمخترعات الحديثة كانت بفضلهم وقبل أن يكتشفها، و"يلطشها" هذا الغرب الملعون الماكر فيما بعد وأسس بناء عليها أعظم الحضارات قاطبة في تاريخ البشرية. وحوّل رجل غريب الأطوار والأطروحات مثل زغلول النجار القرآن إلى كتاب للفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية وعلم الفلك والرياضيات والمثلثات والهندسة الفراغية، وأن كل مسائل الكون وحلولها موجودة فيه. وهذا الطرح الغريب في حقيقته لا يخلو من إساءات كثيرة وجارحة بحق لعرب والمسلمين أنفسهم، وينطوي على مغالطات إن كان ما يقوله صحيحاً، لأن الأمر يعني فيما يعنيه بأن المسلمين، وبكل بساطة، جاهلون بما لديهم وبما في كتابهم من كنوز علمية، ولم يستطيعوا أن يكتشفوا تلك الأسرار العلمية العظيمة الموجودة بين أيديهم منذ بضعة عشر قرناً حتى أتى الكفار واكتشفوها لهم، وأن قراءتهم للقرآن لا تتعدى مجرد استظهار وتلاوة شفهية بدون إدراك لقيمته العلمية الكبيرة التي عززتها اكتشافات الغربيين.

وما إن تتفتح عيون الطفل في هذا الصقيع المهترئ على هذا العالم حتى يحقن بالحقد والكراهية ضد الآخر عبر الموروث الديني المليء بالخلافات والجدل البيزنطي العقيم والأقاويل والأباطيل، ويحاط بكل ذاك التراث الأليم من الفرقة والانفصام والتشتت

والاقتتال والثأر العنيف، ويدخل عندها في متاهات من التضليل والتخريب والتشويه النفسي بحيث لا يعد قادراً على التكيف مع الواقع والمحيط وأقرب المقربين. وتتشكل لديه قناعات راسخة عبر ذات الضخ والحشو التعبوي القميء بتفرده وعصمته وبأفضليته على الآخرين وأحقيته بالتالي بالوصاية عليهم واستعبادهم والنظر إليهم من منظور فوقي استعلائي عنصري بغيض وبما يترك ذلك من أثر سلبي وعدم ثقة وتفاعل مع المحيط الخارجي.

إن أي احتكاك للقيم البدوية والقبلية والعشائرية والفكر الغيبي مع المفاهيم الحداثوية والعقلانية المنطقية المعاصرة التي توصلت لها البشرية بعد تجارب ثرية، سيفضح، ولا شك، القيم والمفاهيم والرؤى الثقيلة العاجزة والمتحجرة ويعريها وينسف أسس وجودها. ومن الجدير ذكره أن شعوبنا المؤمنة المنكوبة تتكئ في حياتها، ومصدر عيشها، ووجودها، وأمنها الذاتي على أولئك "الكفار" و"الملحدين" الذين لا تكف عن شتمهم آناء النهار وأطراف الليل الطويل. ولو كانت تلك البني المعرفية والقيمية التي يصر أصحابها على إعادة إنتاجها قد أفلحت في تحقيق أي نوع من الرفاه، والازدهار، أو جلبت لهذه الشعوب أي نوع من الأمن والسلام الاجتماعي، لما كنا نجد غضاضة أو حرجاً البتة في إظهار إيجابياتها وضرورة تعميمها على بقية سكان الكوكب الأرضي للنهل منها، ولما تجرأنا على الاقتراب منها، أما وأنها على هذا الحال الوضيع، ويريد البعض إسباغ نوع من التفضيل والتقديس عليها، فهي ستصبح ولا شك مرمى للنقد والتجريح من الجميع.

لقد صدق من أوصى صاحبه بألا يجادلهم بالقرآن فهو حمال أوجه، والفكر الديني يحفل بالكثير من المناطق الرمادية والتي يصعب الوصول فيها إلى محددات واضحة المعالم. فهنا مثلاً، دعوة للجهاد والقتال وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، وهناك دعوة للمهادنة وللسلام والإيثار والهدنة والتطبيع. وهذا فصل ومثل واضح عن التسامح وفضل النسيان، وآخر، ليس ببعيد عنه، عن ضرورة الثأر والانتقام واستباحة دماء الآخرين تحقيقاً لرغبة ومشيئة ربانية. وهنا نرى الله رؤوفاً عادلاً ورحمناً لطيفاً رحيماً، وهناك نراه مقتدراً جباراً قهاراً ومهيمناً وخير الماكرين، فعلى أي جانبيك تميل؟ وعلى هذا المنوال يمكن إيجاد الكثير من المتناقضات التي يحفل بها الخطاب الديني والتي تستخدم وتستغل لأغراض دنيوية خاصة تسبغ على التجاوزات السياسية والانحرافات السلوكية العامة طابعاً من الملائكية وهالة من التقديس، وأن كل ما يتم هو وفق ورضا الفقه الغيبي. وأن هذا الفكر صالح، فعلاً، ودون مبالغة، لكل زمان ومكان بسبب من "مرونته" الفائقة، وعدم حسمه للكثير من المسائل، وإجابته على الكثير من الأسئلة المهمة والملحة بعقلانية ومنطق، بحيث صار يمتطي صهوة الدين أي مغامر طامع متشاطر ويدلي بوجهة نظره في أعقد المسائل الحياتية إشكالية مستنداً على أسانيد مروية وهشة في التراث والتاريخ. إنها المتاهات الكبرى التي لا يخرج المرء منها بأي جواب شاف وعليل.

10-4-3- تحليل هذا المقال من حيث الاسلوب

وقد اشرنا من قبل لهذه الاساليب الملتوية وبينا تهافتها بحيث يكفينا ان نعرض للأمثلة فقط.

1- **الاسلوب الفكري الثقافي المتعالي**

مثال: "الإشكالات النصية، التراكم الفكري والفلسفي، التجريب الإنساني العظيم، لإشكاليات النصية والتفسيرية والرؤيوية، الضخ والحشو التعبوي القميء بتفرده وعصمته"

2- **تشديد المقال على استعمال مصطلحات العقل والمنطق والفكر**

مثال: منظومة فكرية، التراكم الفكري والفلسفي، صيغة منطقية ، وفي المقابل يستعمل المقال كل مصطلحات الجهل في حق الدين والمتدين: "وبكل ما فيها من تبسيط وتجهيل وتسطيح" – " مع إصرار مذهل وعجيب على البقاء في دائرة تلك المجاهيل المظلمة والمناخات المتجمدة "

3- **الرسائل المبطنة والخفية**

مثال: يبدأ المقال بنقد الخطاب الديني ("في أدبيات الخطاب الديني المعهودة" – "كما أثبت الفكر الديني عجزه وعدم قدرته على حل أبسط الامور الطبيعية" – " الموروث الديني المليء بالخلافات والجدل البيزنطي العقيم والأقاويل والأباطيل") ومن ثم يهاجم

القرآن نفسه. (لقد صدق من أوصى صاحبه بألا يجادلهم **بالقرآن** فهو حمال أوجه، والفكر الديني يحفل بالكثير من المناطق الرمادية والتي يصعب الوصول فيها إلى محددات واضحة المعالم.)

10-4-4- الشبهات المطروحة في المقال

- **دموية المسلمين دونا عن سائر الامم:** ثمة منظومة فكرية قدّمها العرب والمسلمون، خلال تاريخهم الإشكالي والدامي الطويل، والممتد منذ ألف وأربعمائة عام.
- **السخرية من فكرة الامة الواحدة:** "وانتهت معها وإلى الأبد، وبحمد لله وفضل منه، أسطورة الأمة الواحدة القائمة على أساس واحد توافقي متين"
- **السخرية من فكرة القضاء والقدر، الدعاء، و التدخل الالهي في الكون:** كما أثبت الفكر الديني عجزه وعدم قدرته على حل أبسط الطبيعية التي لا تحتاج، فصلوات الاستسقاء مثلاً، لم تنجح البتة، ولم تكن الحل في استمطار السماء وإيتاء الغيث لأراضي المقدسات الصحراوية والتي تنعم بقحط وجدب وجفاف مزمن، فيما تغرق بلاد بوذا بالأمطار، وحتى الفيضانات على مدار العام،
- **فشل المسلمين في خلق عالم مثالي كما يروجون:** "لم تفلح في خلق مجتمع وردي ومثالي كما يروج بعض الحالمين المخدرين"

10-4-5- ردود سريعة على الشبهات

- **دموية المسلمين دونا عن سائر الامم:** طبعا ادعاء فارغ لا يحمل اي قيمة وقد سبق ورددنا عليه.
- **السخرية من فكرة الامة الواحدة:** هذا خلط بين الامر والمشيئة. امر الله الانسان ان يؤمن وامرنا ان نكون امة واحدة.. ولا يقدح في هذا الامر كون اكثر الناس لا يستجيبون للحق. ان عدم التزام الناس بالاوامر الآلهية لا يعني سقوط عظمة هذه المفاهيم. فالله لا يضره كفر الكافر ولا تنفعه عبادة مؤمن.
- **السخرية من فكرة القضاء والقدر، الدعاء، و التدخل الالهي في الكون:** الاسباب العلمية هي الكيفية التي يسير فيها الله الكون فلا تعارض بين الاثنتين. العلم يفسر الكيفية ولا يفسر لماذا تجري الامور هكذا وليس بشكل آخر. والدعاء ليس امرا حتى يستجيب الله لكل من دعاه بل هو توسل من الانسان الى الله والله يختار ما هو الاجدى للانسان.
- **فشل المسلمين في خلق عالم مثالي كما يروجون:** اذا لم يأخذ المريض الدواء فكيف سيشفى؟ حينما طبق الاسلام نجح نجاحا عظيما، ولكنه لا يطبق اليوم. ثم ان الدنيا دار تدافع وليست دار سعادة دائمة فلا يمكن ان نعيش في نعيم دائم بل الصراع هو جزء من هذه الحياة.

10-4-6- الخلاصة

حاولنا ان نسبر في الرد على هذا المقال الخطوط العامة المتشابهة لكل الفكر التنويري المزيف حيث نجد دائما ان اللباس لباس ثقافي تنويري عميق ولكن المضمون والخلفية سطحية لأبعد حد، اذ لا يجوز الحكم على الاسلام او القرآن بتصرفات يدينها القرآن الكريم نفسه. فكل ما ذكر عن تعصب وغلو وارهاب و اتكالية وجهل وقنوط ومحدودية التفكير هي امور حاربها الاسلام قبل ان يحاربها المتنورون المزعومون ولا يوجد أي رابط عقلي او منطقي يوافق على ربط هذه التصرفات التي حفل القرآن بالتعريض لها وذمها الى الاسلام نفسه.

10-5- تطبيق: هل فشل الإله في إيصال رسالته؟

10-5-1- مقدمة

كي نختبر معلوماتنا فيما مر معنا من فصول الكتاب سنحاول الرد على بعض الشبهات التي يطرحها علينا الملحدون بطريقة السؤال والجواب.

10-5-2- سؤال: لماذا اعتنق اكثر الناس الاسلام بعد ان قويت شوكته؟

يسأل الكاتب: لماذا لم يبدأ الناس في التحول فعليا إلى الإسلام إلا بعد الهجرة ؟..أي عندما قويت شوكة المسلمين وأصبح هناك مغانم وسبايا وأسلاب تسيل اللعاب و ليس لبلاغة و سحر القرآن أو أي إعجاز. لماذا لم تنجح الدعوة التي إستمرت 13 سنة إلا في جذب أقل من مائة شخص ، مائة شخص فقط ، أي ثمانية أشخاص في السنة تقريبا !! منهم زوجات وعائلة وأقرباء وأصدقاء الرسول صلى الله عليه و سلم !!؟

كيف لم يجد الإعجاز القرآني من أكثر الناس قابلية التأثر به، أي من الناس الذين يتكلمون العربية ويقدرون البلاغة حق قدرها، ويعرفون حق المعرفة العواقب الوخيمة الحتمية لعدم إتباع الدعوة!!؟

هل كان الناس أغبياء...و يعاندون بأمور مصيرية كهذه حيث يرضون لأنفسهم الخلود في النار!!؟

جواب: اغلب الناس تتبع الهوى لا العقل

ونحيل الكاتب الى كلام قد كتبه بنفسه: (ألا يعرف الله أن خلقه البشر لا يغيرون العقائد التي ولدوا عليها إلا بمنتهى الصعوبة ؟ألا يعرف أنهم يميلون لتقليد آبائهم ؟ وأن أغلبهم لا يتعب نفسه بالبحث ولا يملك القدرة العقلية على ذلك أصلا ؟ ألا يعرف أن الأغلبية تميل فطريا إلى تكذيب أي شخص يخرج عن مألوفها؟ ألم يكن يستطيع اتباع طريقة أفضل من ذلك في هدايتنا؟ هل يعجزه ذلك؟ ألم يخلق هو عقولهم وهو الأدرى بكيفية إقناعها؟)

وفي هذا ابلغ دليل ان طبيعة الانسان تنجرف وراء الهوى اكثر من العقل.. فالكاتب اجاب نفسه بنفسه.. لكن هنا يطرح سؤال آخر وهو: هل فشل الله في مهمة هداية البشر؟ سؤال طرحه الكاتب بالفعل كما سنرى.

10-5-3- سؤال: هل فشل الله في مهمة هداية البشر؟

يسأل الكاتب بعد تعداده للامور السابقة التي تميز طباع البشر

(عندما أفكر في ذلك لا أستطيع إلا الخروج بأحد الاحتمالين التاليين:

1 – أن الإله، بمعرفته بطبيعة البشر، يتعمد الإيقاع بهم وتضليلهم برسائل غامضة ومتضاربة وغير مقنعة إلا لمن ولد على أحدها إلا في ما ندر، وهو يفعل ذلك كي يضع أكبر عدد منهم في النار وهذا كان هدفه منذ البداية.

2 – أن الإله فشل فشلا ذريعا في إيصال رسالته الحقيقية.

في كلا الحالتين توجد مشكلة جدية مع هذا الإله، فإما هو غير عادل أو غير قادر على نشر رسالته، وفي كلا الحالتين خالفنا أحد صفاته التي وصلنا إليها بالمنطق المحكم في الخطوات السابقة.)

جواب: الإله غني عن العالمين

وفقا للقناعة الاسلامية فإن الاحتمال الثاني مرفوض تماما ولو ان الكاتب اطلع على الاسلام من مصادره لوفر على نفسه مشقة طرح هذا الاحتمال و لوفر علينا مشقة الرد عليه فالله في اكثر من مناسبة يعلن مسبقا ان نتيجة الامتحان هي ان اكثر الناس سيضلون.. "**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**" وقد تناولنا في مقال منفصل <u>اسباب رجحان نسبة الكفر على الايمان</u> فالرجاء العودة الى الموضوع. لكن هل هذا معناه ان الاحتمال الاول هو الصحيح؟

10-5-4- سؤال: الا يمكن ان يجد الله طرقا افضل للكشف عن وجوده وايصال رسالته؟

يقول الملحد: مما وصلنا من الأدبيات الإسلامية نستنتج أن أكثر الناس لم تتأثر إطلاقا بهذا "الإعجاز" على ما يبدو، بل أكثر من ذلك فقد أشبعوا محمدا سخرية، والحل الوحيد إزاء هذا "الجحود" كان في مهاترتهم وسبابهم ووصفهم تارة بالبهائم وتارة أخرى بالمجرمين وغيرها من الألفاظ التي لا أعتقد أنها تليق بإله مطلق القوة أمام مخلوقات لا حول لها ولا طول. وبرأيي أنه كان من الأفضل بكثير للإله أن يبعث معجزة أكثر إقناعا مع نبيه عوضا عن الدخول مع مخلوقاته في مهاترات.

جواب: الايمان لا يكون الا بالغيب

مهما كانت المعجزة قوية فالمرء قادر على تكذيبها.. قال تعالى **(ولو فتحنا عليهم باب من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)** الا ان كان المقصود بالمعجزة القوية ان يصبح هناك كشف مباشر يتحدث فيه الله

الينا مباشرة لكن في هذه الحال اين مفهوم الايمان؟ هل سمعنا احدا يقول: انه يؤمن بأن التفاحة حلوة المذاق؟ طبعا لا فكلامه ليس له معنى.. لأن التفاحة امر محسوس ومذاقها شيء مجرب والايمان لا يكون الا بشيء غيبي.. ثم ان الحياة امتحان والامتحان يكون في شيء غيبي، فاذا كنت امتحنك و الكتاب مفتوح امامك فعلام يكون الاختبار؟ اذا كنت ارى الجنة و النار والملائكة امامي فعلام الامتحان بالايمان بهم؟ لذلك يصفنا الله عز وجل بالمؤمنين بالغيب " **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**".

10-5-5- سؤال: هل يتعمد الله الايقاع بالناس؟

يقول الكاتب: أن الإله، بمعرفته بطبيعة البشر، يتعمد الإيقاع بهم وتضليلهم برسائل غامضة ومتضاربة وغير مقنعة إلا لمن ولد على أحدها إلا في ما ندر، وهو يفعل ذلك كي يضع أكبر عدد منهم في النار وهذا كان هدفه منذ البداية.

جواب: الانسان مخير في كفره وايمانه

وهنا ايضا يحيلنا الكاتب الى موضوع سبق وطرحناه وهو لماذا يعاقب الله الكافر على كفره ما دام هو قد شاء له ذلك؟ وأجبنا يومها بتفصيل نختصره ها هنا: ان الله شاء ان يكفر اكثر الناس وعلم بذلك.. لا خلاف في ذلك بين المسلمين.. فكل ما جرى ويجري في الكون من امور يجري بعلم الله وضمن مشيئته.. لكن هذه المشيئة لا تصلح ان تكون شماعة نعلق عليها اخطاءنا لأننا لا نعرف ماذا شاء الله لنا: الكفر ام الايمان.. فالمطلوب منا العمل.. كذلك ان التحجج الدائم بالمشيئة لتبرير الكفر يقتضي ادعاء ان الانسان مسير لا مخير.. والواقع والحس يثبت ان الانسان مخير في امور وله ارادة حرة فيها ومسير في امور اخرى فالادعاء ساقط بدليل الحس والمشاهدة.

10-5-6- لكن لم شاء الله ان يكفر اكثر الناس؟

سيقول الملحد انا لا اجادل في مسؤولية الانسان الفردية ، نعم اقنعتمونا ان الفرد لا يستطيع ان يدعي انه كافر لان الله شاء له ذلك.. ولكن في النهاية انتم اثبتم ان الله شاء ان يكفر اكثر الناس.. فلم شاء ذلك؟؟

جواب: لا يسأل عما يفعل

اعرف انه جواب يقض مضجع الملحدين ولا يستطيعون ان يفهموه ولكن لا نملك جوابا غيره.. وننصح الملحد ان يبادر الى الايمان كي لا يكون من الاكثرية الهالكة بدلا من ان يجادل ويماري.. وحينما يصل الى يوم الحساب يستطيع ان يسأل الله هذا السؤال اذا اراد كما سألت الملائكة عن الحكمة من خلق البشر.

10-5-7- لكن كيف اؤمن بإله إعترفت لتوك انه ظالم؟

يقول الملحد لكن انا لا اعترف اصلا بهذا الإله لأنه ظالم والظلم يناقض العدل الذي وضعتموه كصفة لازمة للإله.. فالله:

- يعرف الشر الذي حدث وسيحدث ويستطيع منع ذلك متى شاء ولم يفعل.

- ويعرف مصير كل إنسان سلفا ومع ذلك خلقه ليعاقبه أو ليكافئه. (أرجو ألا يفكر أحد بتفسير ذلك بالتشبيه الممل عن أستاذ المدرسة الذي يعرف من سينجح ويرسب قبل الامتحان، فأستاذ المدرسة لم يخلق عقل التلميذ وبيئته ولا يستطيع تغييرهما حتى لو أراد).

- ويعاقب الذنوب المنتهية بعقوبات لا نهائية، مع أن أبسط مقومات العدل أن تكون العقوبة على قدر الجريمة.

جواب: الظلم هو ان تتصرف فيما لا يخصك

لا يعد الله ظالما مهما فعل فبما اننا خلق الله جميعا فهو له مطلق الحق في ان يتصرف بنا كما يشاء ولكنه وعدنا ان يثيب المؤمن ويعاقب الكافر. اما عن قضية الذنوب المنتهية فعقيدتنا ان تقييم خطورتها يعود لله نفسه الذي يرى ان هذه الذنوب تستحق عقوبة لا نهائية لأنها بحق الإله الذي لا حدود لعظمته. ونذكر ان رب العالمين لا يعاقب احدا لم يرسل له نذيرا.. " **وَمَا كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً** " وفي القرآن الكريم يظهر واضحا ان جميع من استحقوا اللعن والنار الابدية هم من كابر وكذب الانبياء والرسل بعد ان وضحت الدعوة على حقيقتها امامه.. لذلك نسأل أي انسان: هل انت طفل ام راشد؟ سيقول لك انا راشد فنقول: الاسلام ينذرك بنار ابدية ان لم تؤمن به.. فهل انت مستعد لهذه النار سيقول لك بيقين: نعم..انا مقتنع ان الاسلام خاطىء.. فنقول له اذن كن

رجلا وتحمل مسؤولية قرارك. ولا تكن كهذا الطفل الذي طلب من ابيه ان يشتري له لعبة فاخبره الاب انها ستتكسر لانها من زجاج ومع ذلك اصر فلما انكسرت بكى الطفل فساله الاب لم تبكي؟ الم اقل لك انها ستتكسر.. اجاب الطفل: لم سمعت كلامي؟؟ انا مجرد طفل.

10-5-8- وكيف تقولون ان الاسلام دين الرحمة؟ اين الرحمة اذن؟

جواب: الله عنده صفات جلال وصفات جمال والرحمة تكون للمؤمن

يتصف اله الاسلام بصفات الجمال مثل الرحمة والمغفرة واللطف والانعام وايضا بصفات الجلال مثل العزة والغضب والانتقام والجبروت والكبرياء و رحمة الله عزوجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم. والرحمة إنما تكون لتائب كما قال عز وجل : "**واني لغفار لمن تاب** " وقال : "**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون**".

10-5-9- لم يقنعني ما سبق من كلامك..

الجواب: مهمتنا الشرح وليس الإقناع

ليست مهمتنا ان نقنع الملحد كيف يرضى عن الله؟ فهو يبحث عن إله يناسب هواه. الله موجود وتكلم عن ذاته ودلنا على صفاته.. نحن لم نخترع هذا الإله ولم نثبت وجوده عقلا فحسب.. بل هو موجود.. ونحن نشرح للملحد ماذا قال عن نفسه وعن صفاته.. وهو ان لم يؤمن به يتحمل نتيجة خياره .. يقول رب العالمين: "**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**" وكل يتحمل نتيجة خياره... لكن دعونا نتذكر ان حوارنا في الاصل هو حول ادعاء الملحد ان الله غير موجود وحيث اعطانا ادلة على ذلك ونحن الى الآن لم نجد في الدرر التي اتحفنا بها لا حجة ولا دليلا .. بل قضية ذوقيات فحسب..

10-5-10- وماذا عن الاعجاز الذي تتكلمون عنه؟ اين هو؟ لم لا يقدره اكثر الناس؟

يقول الملحد: كيف لم يجد الإعجاز القرآني من أكثر الناس قابلية التأثر به، أي من الناس الذين يتكلمون العربية ويقدرون البلاغة حق قدرها، ويعرفون حق المعرفة العواقب الوخيمة الحتمية لعدم إتباع الدعوة!!؟ هل كان الناس أغبياء...و يعاندون بأمور مصيرية كهذه حيث يرضون لأنفسهم الخلود في النار!!؟

جواب: الاعجاز البياني يحدده المختصون

في كل علم يوجد مختصون يحددون الابداع .. ارايت اذا جلبت اناسا عاديين فهل يفهمون في فن بيكاسو مثلا ام يرونه مجرد خربشات؟ وفي المواضيع الدينية نجد ان سحرة فرعون هم الذي عرفوا فقط ان ما جاء به موسى عليه السلام لم يكن سحرا لأنهم يعرفون قدرة الساحر.. لذلك طبيعي الا يقدر عامة الناس اليوم اعجاز القرآن البلاغي لأنهم بعيدين عن البلاغة ..

10-5-11- لكن جبران مبدع ايضا في ادبه فهل هذا معناه ان كتبه معجزة؟

هل تعتبر البلاغة بحد ذاتها إعجازا يجعلني أصدق أنها آتية من إله ؟ لماذا هذه المعاملة الخاصة لبلاغة القرآن ؟ لماذا لا يعتبر جبران خليل جبران أو المتنبي أنبياء إذا كانت البلاغة يمكن أن تكون إعجازا ؟ ما هي المعايير العلمية التي تجعل هذه البلاغة إعجازية وغيرها ليست إعجازية ؟

جواب:الاعجاز يكون في التحدي

الاعجاز ليس في البلاغة فقط بل في تحدي القرآن الكريم الناس والجن ان ياتوا ولو بأية من مثله ومع هذا فلم يفلح احد حتى اليوم في ذلك مع وجود الداعي لذلك. وعلى حد علمنا لم يتحدى جبران الناس ان ياتوا بمثل قصة من قصصه ولو تحداهم لاستطاعوا.

10-5-12- لكن هل هذا معناه ان القرآن لا يؤثر الا باللغويين الفصحاء؟ وماذا عن العامة؟

الجواب: الاعجاز البياني للخاصة انما الاعجاز التاثيري فهو للناس كلها

ان اي شخص يقرأ القرآن بروحية محايدة لا بد وان يتأثر به ذلك ان القرآن الكريم يتكلم بفوقية مطلقة وتحدي وثقة في الذات.. (انظر تجربة جفري لانج مع القرآن الكريم).. وكما قلنا من قبل لا يوجد كتاب في العالم يدعي انه منزل من عند الإله.. الا يكفي هذا الادعاء حتى يلقي في النفس رهبة و خشوعا؟

10-5-13- لكن لم لم يؤثر هذا الاعجاز في الناس ان كان هذا هو الحال؟

يقول الملحد: كيف لم يجد الإعجاز القرآني من أكثر الناس قابلية التأثر به، أي من الناس الذين يتكلمون العربية ويقدرون البلاغة حق قدرها.

الجواب: من قال ان من سمع به لم يتأثر؟

الشواهد على تأثر الكفار بالقرآن من السيرة اكثر من ان تحصى.. لدرجة ان الكفار كانوا يصمون آذانهم عند قراءته خوفا من ان يتأثروا.. واذا سمعوا واعجبوا كانوا يدعون انه سحر يسحرهم به محمد.. ويكابرون ويجحدون بمنطق "**وجحدوا بها واستقينتها أنفسهم ظلما وعلوا**"

10-5-14- وهل يعقل ان يدخل الانسان نفسه النار وهو يعرف انها حق؟

يقول الملحد: ايعقل انهم يعرفون حق المعرفة العواقب الوخيمة الحتمية لعدم إتباع الدعوة ولا يتبعونها!!؟ هل كان الناس أغبياء...و يعاندون بأمور مصيرية كهذه حيث يرضون لأنفسهم الخلود في النار!!؟

الجواب: هم مدمنون على الشهوات ويحتكمون للهوى بدلا من العقل.

تختلف مشارب الناس في مواجهة قضية الايمان فمنهم من ينكر وهو موقن بالحق ولكن لا يستطيع الا ان يكابر.. ومنهم من هو ضال لا يعرف الحق لانه لم يحاول البحث عنه.. وعلى رغم غرابة الموقف الاول الذي يعرض صاحبه فيه نفسه للنار عامدا فهو موجود ذلك ان بعض البشر هم كالانعام بل هم اضل سبيلا.. يا ترى لو قلت لك هل يعقل ان تقتل ام اولادها فهل ستصدق؟ هل يعقل ان يقتل رجل ما الناس بشكل عشوائي لانه رسب في امتحان؟ هل يعقل ان يحتجز وحش بشري ابنته في قبو ويغتصبها يوميا وينجب منها؟ هل يعقل وجود القاتل التسلسلي الذي يقتل ليتلذذ بمنظر الدم؟ هل يعقل ان يقتل تاجر كبير خصمه لاجل الاف الدولارات ويعرض نفسه لحبل المشنقة في حين انه يملك ملايين الدولارات؟ كل هذه الاحداث غير منطقية ومع ذلك حصلت فلم نستكبر ان يرفض الانسان الايمان مع يقينه انه حق؟ ولا ننس بأن العقاب الأخروي على قسوته غيبي بمعنى ان الانسان لا يستشعر وجوده في كل لحظة بل فقط اذا وضع هذه الفكرة في بؤرة الشعور عنده والحال ان الكافر الجاحد يتهرب من هذه الفكرة ويصرف تفكيره عنها كما يفر الثور من الاسد.

10-5-15- لم دخل كثير من المسلمين الى الاسلام بعد ان قويت شوكته؟

لماذا لم يبدأ الناس في التحول فعليا إلى الإسلام إلا بعد الهجرة ؟..أي عندما قويت شوكة المسلمين وأصبح هناك مغانم وسبايا وأسلاب تسيل اللعاب و ليس لبلاغة و سحر القرآن أو أي إعجاز.

الجواب: شوكة الدين ضرورة لرفع الظلم

من الظلم اتهام كل من دخل الى الاسلام بعد ان قويت شوكته على انه دخل طمعا بالمغانم. فهؤلاء يكونون منافقين ويتخلفون عند اي معركة فيها خطر الموت كأمثال المنافقين في المدينة الذين تخلفوا في معركة احد.. وايضا هؤلاء انقلبوا على الدين حين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بحروب الردة.. اما سواهم فآمنوا فعلا بالاسلام ولكن ساعدتهم الظروف التالية التي لا تتوفر الا بوجود شوكة للدين.

1- حين وجود الشوكة يحظر الدجل الاعلامي الخبيث المضاد للدين.

2- حين وجود الشوكة يؤمن كثير من الناس ان هذا الدين ربما يكون على حق والا لما انتصر وبهذا يعكفون على دراسته.

3- حين وجود الشوكة يستطيع الناس المقتنعون والخائفون ان يؤمنوا دون ان يخافوا من طغيان السلطة الحاكمة.

كخلاصة منا لهذا الحوار مع الملحد نجد اننا نوافقه في كثير مما قال ولكن لا نرى الحجة في كلامه. فحتى لو دخل اكثر الناس الاسلام بعد النصر.. فهل هذه تهمة ضد الاسلام؟ لقد اوضحنا من قبل طبيعة الانسان الميالة الى الجبن والخوف واتباع الهوى والغرائز.

10-5-16- سؤال منا للباحث عن الحق: من المقنع في الحوار؟

بعد ان انهينا الحوار مع الملحد نبين هدفنا الاساسي الا وهو هداية الباحث عن الحق الى الاسلام، فنحن نعرف صعوبة احتمال ان يقتنع معنا الملحد بكلامنا لأنه في الأصل لا يريد ان يفهم طريقة تفكير المؤمن بل يتصرف وفقا لمعلوماته التي استقاها من مصادر اعداء المسلمين. فهل يا ترى نجحنا في ذلك؟ فلنترك الباحث يجيب.

جواب:الاسلام دين متجانس يملك تفسيرا لكل شيء

قد يقول الباحث عن الحق: اذا تكلمت كشخص محايد استطيع ان ارى انكم تفوقتم عليه في الرد واثبتم فعلا ان الاسلام دين متجانس لا يمكن ان يخرق من أي زاوية فهو متكامل ومتماسك عكس الالحاد الذي يبدو مفككا ومشرذما وضعيف الاطلاع جدا في الثقافة الاسلامية.. ولكن..

10-5-17- سؤال من الباحث عن الحق لنا: لم اتيقن من الاسلام بعد.

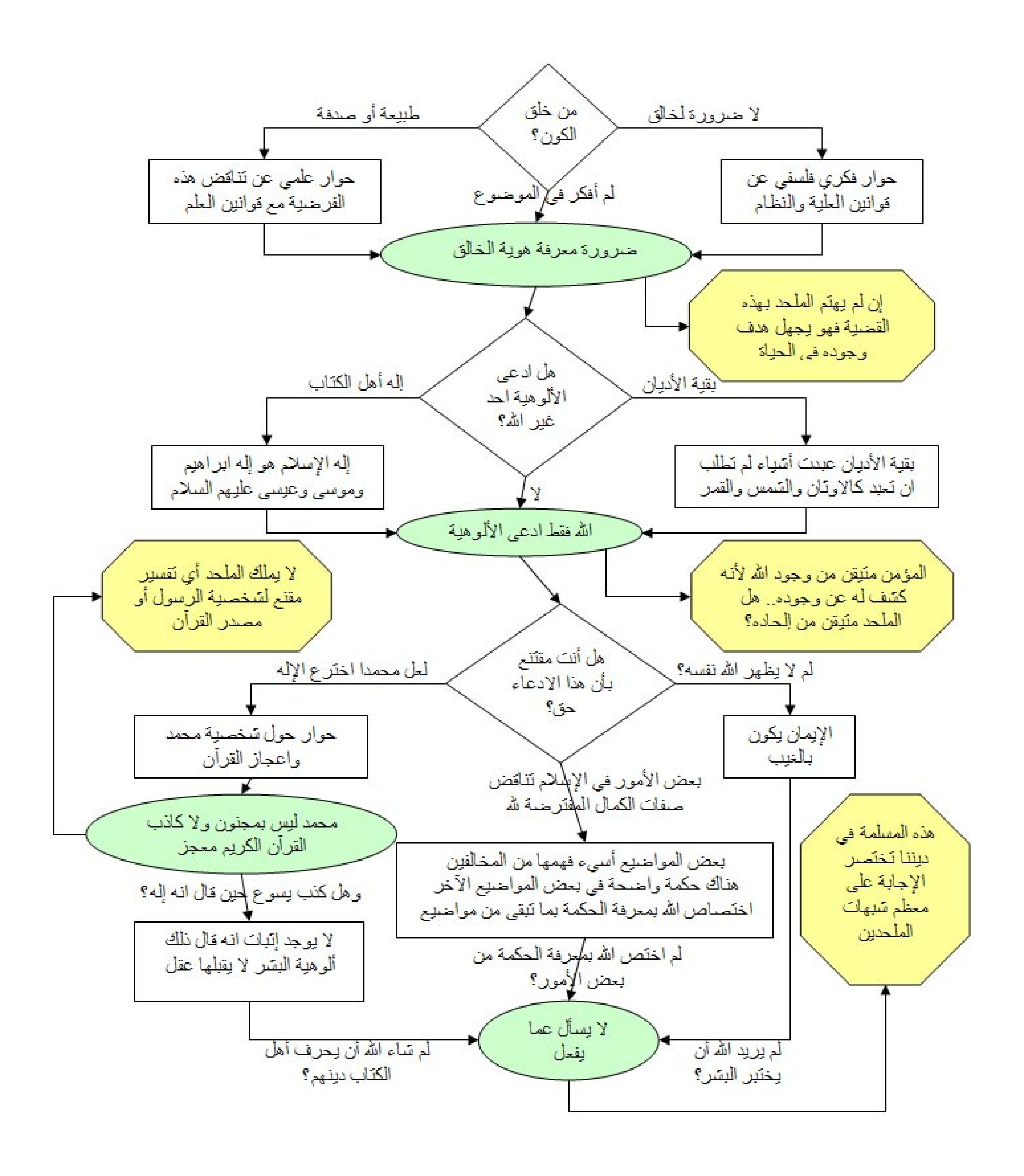
ذكرت فيما سبق النقطة الايجابية لكم.. لكن مع ذلك لا استطيع ان ادعي اني مقتنع بالاسلام بعد.. فما ادراني انه حين يرد عليكم الملحد لن اغير رايي؟؟ فالانسان يبدو مقتنعا بامور كثيرة حتى يقرأ الرد عليها.. ايضا ما ادراني ان هذا الملحد الذي تجادلون ليس ضعيفا؟

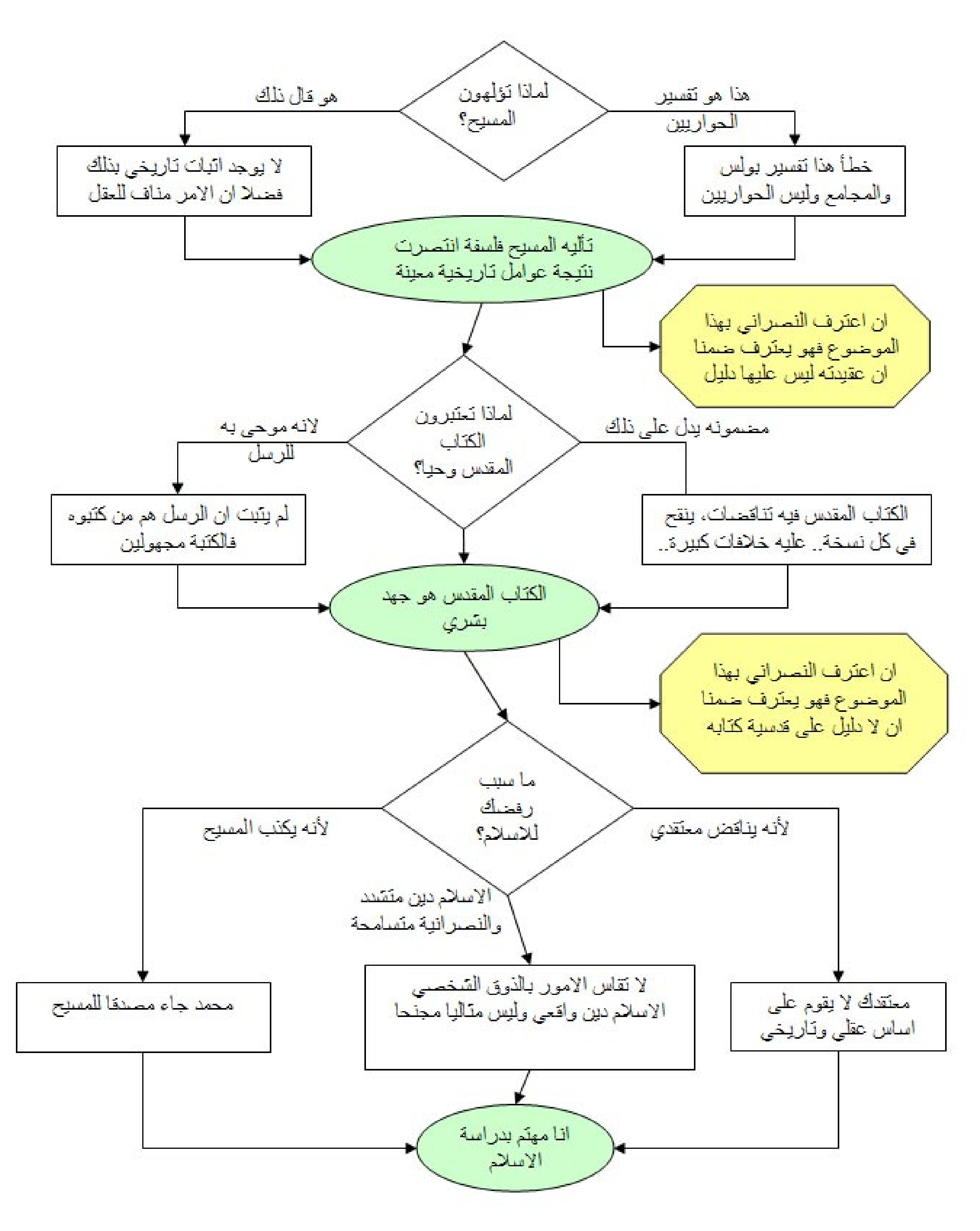
جواب: هدفنا هنا ليس اقناع الباحث بل ارشاده لاهمية الموضوع

نحن نرضى منك ان تعترف لنا ان منطق الايمان ومنطق الالحاد في هذا الحوار متساويين، لكن فكر معي قليلا.. يقول الاسلام ان من لا يؤمن به يستحق نارا ابدية.. وبالتالي الموضوع خطير.. ارأيت لو قالوا لك ان هناك احتمالا 50 بالمئة ان تصاب بمرض خطير ما.. الا ينشغل بالك وتبحث عن وقاية من هذا المرض؟ ما نريد اثباته هو ان الاسلام وعلى عكس ما يروج له الملحدون هو دين يستحق ان ينظر اليه لكننا نعترف ان اليقين لا يمكن ان يأتي ابدا من وراء مثل هذه الحوارات بل من وراء دراسة القرآن الكريم وتدبره.. (ننصح بقراءة كتاب "يوسف ايها الصديق افتنا" للكاتب)

خرائط هذا الكتاب

- الخرائط تسهل علينا فهم الفصول والابواب ومراجعتها
- تسهل علينا اثناء الحوار ان نكتشف نقاط الضعف عندنا في الادلة
- تسهل علينا كشف مكمن الشبهة الرئيسية عند الملحد.
- الخريطة تحاول استكشاف نقاط نقد الملحدين لديننا والشكل البيضاوي يعبر عن حقيقة اسلامية علينا ان نقود الملحد لها.
- اما الشكل المسدس فهو اسئلتنا نحن للملحد عن عقيدته.
- وملخص الخريطة ان الملحد لا يملك تفسيرا مقنعا للكون ولا اجابة عن الاسئلة المصيرية بخلاف المؤمن الذي تتمحور كل شبهات المخالفين ضده حول ناحية اختصاص الله وحده بمعرفة الحكمة من بعض الامور.


من خلق الكون؟
طبيعة أو صدفة
لا ضرورة لخالق
لم أفكر في الموضوع
حوار علمي عن تناقض هذه الفرضية مع قوانين العلم
حوار فكري فلسفي عن قوانين العلية والنظام
ضرورة معرفة هوية الخالق
إن لم يهتم الملحد بهذه القضية فهو يجهل هدف وجوده في الحياة
هل ادعى الألوهية احد غير الله؟
إله أهل الكتاب
بقية الأديان
لا
إله الإسلام هو إله ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
بقية الأديان عبدت أشياء لم تطلب ان تعبد كالاوثان والشمس والقمر
الله فقط ادعى الألوهية
لا يملك الملحد أي تفسير مقنع لشخصية الرسول أو مصدر القرآن
المؤمن متيقن من وجود الله لأنه كشف له عن وجوده.. هل الملحد متيقن من إلحاده؟
هل أنت مقتنع بأن هذا الادعاء حق؟
لعل محمدا اخترع الإله
لم لا يظهر الله نفسه؟
حوار حول شخصية محمد واعجاز القرآن
الإيمان يكون بالغيب
بعض الأمور في الإسلام تناقض صفات الكمال المفترضة لله
محمد ليس بمجنون ولا كاذب القرآن الكريم معجز
بعض المواضيع أسيء فهمها من المخالفين هناك حكمة واضحة في بعض المواضيع الآخر اختصاص الله بمعرفة الحكمة بما تبقى من مواضيع
هذه المسلمة في ديننا تختصر الإجابة على معظم شبهات الملحدين
وهل كذب يسوع حين قال انه إله؟
لا يوجد إثبات انه قال ذلك ألوهية البشر لا يقبلها عقل
لم اختص الله بمعرفة الحكمة من بعض الأمور؟
لا يسأل عما يفعل
لم شاء الله أن يحرف أهل الكتاب دينهم؟
لم يريد الله أن يختبر البشر؟



لماذا تؤلهون المسيح؟
هو قال ذلك
هذا هو تفسير الحواريين
لا يوجد اثبات تاريخي بذلك فضلا ان الامر مناف للعقل
خطأ هذا تفسير بولس والمجامع وليس الحواريين
تأليه المسيح فلسفة انتصرت نتيجة عوامل تاريخية معينة
ان اعترف النصراني بهذا الموضوع فهو يعترف ضمنا ان عقيدته ليس عليها دليل
لماذا تعتبرون الكتاب المقدس وحيا؟
لانه موحى به للرسل
مضمونه يدل على ذلك
لم يثبت ان الرسل هم من كتبوه فالكتبة مجهولين
الكتاب المقدس فيه تناقضات، ينقح في كل نسخة.. عليه خلافات كبيرة..
الكتاب المقدس هو جهد بشري
ان اعترف النصراني بهذا الموضوع فهو يعترف ضمنا ان لا دليل على قدسية كتابه
ما سبب رفضك للاسلام؟
لأنه يكذب المسيح
لأنه يناقض معتقدي
الاسلام دين متشدد والنصرانية متسامحة
محمد جاء مصدقا للمسيح
لا تقاس الامور بالذوق الشخصي الاسلام دين واقعي وليس مثاليا مجنحا
معتقدك لا يقوم على اساس عقلي وتاريخي
انا مهتم بدراسة الاسلام

تم بعون الله